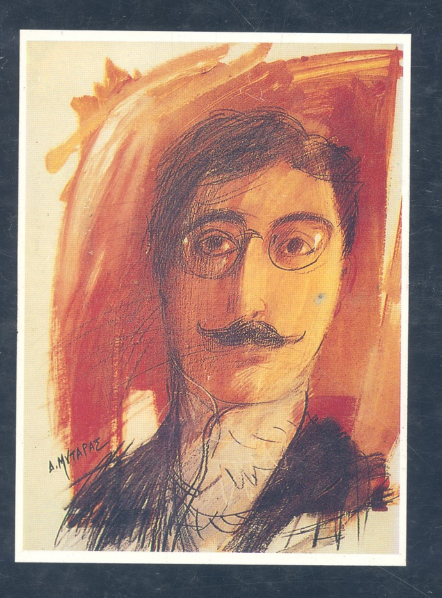
ديوان كافافيس

شاعر الإسكندرية

(١٨٦٣ - ١٩٣٣)



الترجمة الكاملة عن اليونانية

للدكتور نعيم عطية

ديــوان كافافيس

شــاعر الإسكنــدرية

(١٨٦٣ - ١٩٣٣)

الطبعة الثالثة

الترجمة الكاملة عن اليونانية

للدكتور نعيم عطية

إهـــــداء

الى الأستاذ الدكتور مجدى وهبة ،
والى الشاعر اليونانى كوستى موسكوف،
لتشجيعهما الأخوى على المضى فى المغامرة الابداعية ،

وأيضاً الى كل من أحب شاعر الاسكندرية ،
وترجم ونقل وكتب عنه ،
أهـدى هذه الترجمة .

أما جناب بانديليس منجليدس
سفير اليونان بالقاهرة ،
فله منى كل اعزاز وتقدير .

ن. ع.

مقـــــدمه

ان قسطنطين بيتروس كافافيس الذى مات بالاسكندرية فى مساء التاسع والعشرين من ابريل عام ١٩٣٣ ودفن بها شاعر متفرد لا يضارعه من شعراء وطنه أحد . واذا ذكر الشعر اليونانى الحديث فقد تغنى الاشارة الى شاعر عن الاشارة الى عديد من الشعراء الآخرين . أما كافافيس فلا يعدله أحد . انه شاعر مجدد أصيل تغنى بما لم يتغن به غيره فى جرأة ميزته فى الشعر اليونانى خاصة وفى الشعر العالمى عامة . وقد ترجمت قصائده الى العديد من اللغات الأجنبية ، منها الفرنسية والالمانية والايطالية .

على مقربة من حى كوم الدكة بالاسكندرية .. فى شارع ليبسيوس الرافد الصغير المتفرع من « طريق الحرية » بيت قديم كتب عليه رقم ٤ وثبتت على بابه لوحة رخامية تحمل العبارة الآتية : « فى هذا المنزل قضى السنوات الخمس والعشرين الأخيرة من حياته الشاعر السكندرى ق . ب كافافيس » .

وتروى احدى الشاعرات اليونانيات عن زيارتها لكافافيس فى بيته فتقول : لما نزلت بالاسكندرية سألت عن داره ، فقيل لى : أنه لا يحب الاختلاط بالناس .. وعندما دخلت غرفة استقباله كان الضوء خافتاً شحيحاً .. كان يحب الضوء الخافت – ضوء شمعة أو مصباح غازى – ولا يستخدم الكهرباء .. ولما الفت عيناى الظلمة رحت أتأمل كافافيس .. كان نحيفاً .. شاحب اللون .. ضعيف البصر .. أشعث الشعر .. أنيق الملبس .. على وجهه مسحة من الحزن .. وفى عينيه جاذبية عميقة .. تلمع فى نظراته أسرار قديمة .. ويأتى صوته من بعيد .. من أغوار الزمن السحيق .. ولما ودعته وانصرفت .. أضحيت وأنا أنزل الدرج الرخامى غير متأكدة من لقائه والجلوس اليه .. خيل الى أن كل شىء كان حلماً .. فصوته وشكله ولقاؤه كان أشبه بحلم ولى .

هذا كافافيس الذى امتلأت صفحات رباعية الاسكندرية للروائى المعاصر

لورانس داريل بالحديث عنه ، والاشارة اليه على أنه روح الاسكندرية النابض .. لكن من هو الشاعر كافافيس الذى صوره فناننا الكبير محمد ناجى ضمن الشخصيات المبرزة فى تاريخ الاسكندرية وذلك فى لوحته التذكارية الكبيرة عن هذه المدينة ؟ من هو حقاً شاعر الاسكندرية قسطنطين ب. كافافيس ؟

ولد كافافيس بالاسكندرية فى السابع عشر من أبريل عام ١٨٦٣ واتخذها وطناً له . وقد عاين فى صباه غزو الانجليز الغادر لها وقذفها بالقنابل عام ١٨٨٢ . انه على خلاف كثير من أجانب ذلك العهد تألم لمصاب مدينته العريقة وذكره غزوها بغزو الرومان لها فى سالف الزمان . ولم تطاوعه نفسه عندما شب عن الطوق على الهجرة من الاسكندرية الحبيبة رغم الدعوات التى وجهت اليه للاقامة فى أثينا . ولقد كتب فى أحدى قصائده بعنوان « المدينة » يقول : أن قلبه مدفون فى الاسكندرية منغرس فيها فأينما جال بعينه رأى العديد من سنى حياته التى قضاها وبددها فيها .

ذكريـــات الصبــا :

وقد ظل كافافيس يحتفظ من صباه بذكرى أمه على الدوام فى أعماقه .. كانت أمرأة جميلة أنيقه .. بل كانت آناقتها وأبهتها وجواهرها ملفتة للانظار . ظلت صورتها ماثلة أمامه . كانت رائعة الجمال حقاً ... رشيقة الخطى .. شديدة العناية بزينتها معجبة بنفسها .. تختال فى حجرات البيت .. وتقضى الساعات الطوال أمام مرآتها .. بل وقد ملأت أرجاء البيت بالمرايا .. كانت تحب أن ترى صورتها ... وقد ظل الشاعر يذكر أنها يوم أن ماتت .. فى الخامسة والستين من عمرها .. كانت تتجمل أجمل زينة أستعدادا للذهاب لإلتقاط صورتها عند أحد كبار المصورين فى المدينة .

كان كافافيس يهيم حبا واعجابا بأمه ، كان مفتونا بها . ولم يكن فى نظره ثمة امرأة أو فتاة بلغت ما بلغته أمه من جمال . ولقد وضع هذا الجمال حائلا سميكا بينه وبين نساء العالم أجمع عندما صار فيما بعد رجلا له مطالبه

العاطفية ، بل ظلت تطارده رغبة خفية ملحة فى أن يتقمص شخصيتها .

وكانت أمه تبادل أبنها الحب وتدلله كثيراً . كانت أمرأة ولود ، أنجبت تسعة أبناء فى أقل من خمسة عشر عاما .. فقد كانت فى السادسة والثلاثين من عمرها عندما مات زوجها عام ١٨٧٠ .. ولم تنجب أمه غير ابنة واحدة هى أخته هيلينى التى لم تعش طويلاً .. وجاء هو فى أعقابها .. ومن ثم كان بالنسبة لأمه آخر العنقود .. كما يقولون . ان آخر العنقود طفل مدلل فى أغلب الحالات ، وكان هذا حال كافافيس ، فلم ينعم طفل بحنان أمه قدر ما نعم كافافيس ، وقد زاد من تدليلها له أنه كان عزاءها عن أبنتها الوحيدة التى فقدتها غضة الاهاب .. كانت تلبسه ملابس البنات . وتمشط شعره وتضفره وتعقصه بأشرطة حريرية ملونة .

كانت تعامله معاملة البنات .. طوال صباه .. وكان لا يفارقها أينما ذهبت . ويركب عربتها الأنيقة التى تجرها الجياد .. ويجلس فى حضنها .. فيقول الناس : ما أجمل تلك الطفلة الجميلة ، ما أسعدها بحنان أمها الجميلة أيضاً !

ولما كانت مثل هذه الرعاية البالغة من جانب الأمهات تؤثر فى شخصية الأولاد عادة : فقد بدت هذه الآثار جلية على كافافيس ، فقد شب صبياً خجولا منطويا .. لا يعتمد على نفسه فى شىء . كل رغباته مجابة . تسارع أمه إلى تلبية طلباته .. وتحشد الخدم لخدمته . وقد تعلم القرأة والكتابة فى المنزل .. كانت له مربية ومدرس خاص يقيمان فى بيتهم بشارع شريف فى الاسكندرية . وقد أجاد كافافيس منذ نعومة أظفاره الانجليزية والفرنسية إجادة تامة .

ظل كافافيس حبيس البيت ، يحيا حياة الترف حتى السادسة عشر من عمره .. وقد أتاحت حياة الدعة لروحه أن تهيم .. فأشبع نهمه الى القرأة والاطلاع .. وفى وحدته وعزلته بين جدران البيت الفسيح تحت الثريات الوضيئة وعند النوافذ التى تتسلل من ستائرها أشعة الشمس حملته كتب الآداب والعلوم والتاريخ الى آسفار بعيدة .. ورحل الى عوالم قصية كان يعود منها فيجد أمه

تغمره بحنانها وتكبله برعايتها .. فلا يستطيع الفكاك .

على أن الصبى كافافيس لم يكن يريد أن يتحرر من نفوذ أمه فلم يكن يطيق البعاد عنها .. كان سليب الإرادة .. تملأ أمه حياته وكيانه .. واذا ما مد الصبى يده بشىء من خفيف العون أسرعت اليه تقول : دع عنك هذا يا جميلى الصغير .

وإذا كان كافافيس قد حدثنا الكثير عن أمه ، فلأن أباه لم يكن ذا تأثير كبير عليه . وكان الشاعر كافافيس فى السابعة من عمره عندما مات أبوه فى العاشر من أغسطس عام ١٨٧٠ عن خمسة وستين عاما . ودفن بمدافن الأسرة فى الشاطبى .. لم تكن صلة الابن بأبيه كبيرة ، ولم يكن الأب يكترث بصغيره كثيراً ، فقد ولد له بعد ثمانية من الاولاد .. شبع من تدليلهم .. وكان الأب فى سنواته الأخيرة غارقاً فى مشاكله .. منصرفاً الى تدبير أمور معاشه .. فبعد أن كان قد جنى ثروة كبيرة من أعماله التجارية تدهورت أحواله المالية فى أخريات أيامه ، فمات تحت وطأة الحسرة ، ولم يترك لأسرته ثروة تذكر .. بل أن الأبن فى أكثر الأيام لم يكن يميز أباه فى زحمة المترددين على البيت من التجار ورجال الأعمال .. وكان الأب يغيب عن الدار كثيراً وعندما يسأل الأبن أمه عنه ، تأخذه بين ذراعيها ، وتغرقه فى قبلاتها . كانت أمه تنسيه فى الواقع كل شىء .. بل كانت هى كل شىء بالنسبة له . ولكن هل كان الأب والأم شخصيتين متنافرتين ، حتى يجد الصغير نفسه مرتبطاً أوثق ارتباطاً بأمه ؟ كلا، كان الأب والأم زوجين متحابين ، ومتفاهمين فى حياتهما . انحدرت الأم من أسرة يونانية ثرية بالأستانة فى تركيا . وكان الأب الى جوار ثقافته بارعاً فى شئون التجارة والمال . نزح الى الاسكندرية عام ١٨٤٥ فى الثلاثين من عمره ، واستقر بها يمارس تجارة المنسوجات والاقمشة التى كان يستوردها من أخيه بأنجلترا . ثم أشتغل أيضاً بتجارة الحبوب والمحاصيل وانشأ كثيراً من محالج القطن .. وامتلأت حياته بالأعمال والمشاريع والصفقات . وحقق من ذلك ثروة كبيرة .. وفى عام ١٨٤٨ عاد الى أسرته بالأستانة وتزوج الأم وكان أسمها خاريكليا .. الفتاة الجميلة الثرية ..

وقد لحقت به فى الاسكندرية عام ١٨٥٠ حيث توافرت على رعاية بيته وتربية أبنائها العديدين .. ويذكر كافافيس أمه سجينة الدار الكبيرة تدبر شئونها على أكمل وجه .. ولا تضن براحتها وشبابها على اسعاد أبيه وتنشئة أخوته .. ما يربو على عشرين عاماً هانئة مثمرة قضتها أم الشاعر بجوار أبيه الى أن مات وقد تبدد الكثير من ثروته . بقى شىء آخر يذكره كافافيس عن أبيه ، ويعتز به أيضاً . كان أبوه واحدا من الطبقة الأولى من اليونانيين الذين توخوا شرف المبدأ فى خدمة الجالية وخدمة هذا الوطن الذى تعيش على أرضه الخيرة ، ولم تنس فضله عليها وظلت معترفة بجمائله .. ولهذا فقد كان أبوه واحدا ممن لم يجاروا بلاط الخديوى اسماعيل فى غيه وجنونه ، ولا الطامعين الجاحدين الذين حوطوا به ، وانصرفوا الى إبتزاز أموال هذا البلد وإمتصاص خيراته . ومن ثم ظل الشاعر بدوره أمينا لمبادىء أبيه مناصبا العداء للطبقة الوليدة الجشعة التى جاءت مع المحتل وأثرت من فتات مائدته .

كافافيس فى المدرسة :

بقى كافافيس حتى السادسة عشر من عمره حبيس البيت هائم الروح بين كتبه الحبيبة ، وقد توفرت له كل أسباب الراحة .. لكن ماذا كان انطباعه عندما خرج الى معترك الحياة ؟ رأى الصبى نفسه يخرج لأول مرة الى معترك الحياة عندما الحقته أمه بالمدرسة التجارية بالاسكندرية .. فوجد نفسه خجولا هيابا متحفظا من زملائه الذين كانوا مرحين ضاحكين رغم أنه كان متفوقا عليهم بسبب سعة اطلاعه وكثرة قراءاته .. وقد التقى كافافيس فى المدرسة على الأخص بشخصية أثرت فيه كثيراً .. هى شخصية ناظر المدرسة الأستاذ قسطنطين بابازى وكان حاصلا على درجة الدكتوراه فى التاريخ والفلسفة من الجامعات الألمانية .. كان صارما .. يحب النظام والطاعة .. ولا يمل من الاشادة بالبطولات اليونانية عبر التاريخ .. وقد حبب تلميذه المتعطش الى المعرفة فى دراسة التاريخ الذى كان يهواه من صغره .. حتى أنه فى الثالثة عشرة من عمره أراد أن يعد قاموساً تاريخيا .. وقد نمى فيه أستاذه بابازى ميله الى قراءة كتب

المؤرخين ..

بعد المدرسة :

أضطر كافافيس أن يهاجر مع أمه وأسرته الى الأستانة ، بعد أعتداء الانجليز الوحشى على الاسكندرية .. ورحل للأقامة عند جده .. على ان الشاعر ما لبث أن عاد الى « مدينته » سنة ١٨٨٥ ونظرا لأن أحوال أسرته المالية كانت قد ساءت اشتغل مترجما فى تفتيش الرى وكان تحت إدارة الانجليز . وقد تدرج فى سلم الوظيفة فأصبح فى أبريل عام ١٨٩٢ كاتبا بمرتب سبعة جنيهات ، ثم بلغ مرتبه أربعة وعشرين جنيها فى يناير عام ١٩١٣ . وفى أبريل عام ١٩٢٢ استقال من عمله وخلد الى العزلة ، فقد كانت أمه قد ماتت عام ١٨٩٩ وفارقه من بعدها أخوته وأحباؤه . وأحس من بعدهم بالوحشة .. لكنه ظل ملتصقا بمدينته لا يغادرها رغم الدعوات الكثيرة التى وجهت اليه من الاوساط الادبية فى آثينا ، وعلى الاخص من الشاعرين الكبيرين « أنجلو صيقيليانوس » (١٨٨٤ – ١٨٩١) و« لامبروس بورفيراس » (١٨٧٩ – ١٩٣٥) .

« اليوم الرتيب يأتى فى أعقاب يوم رتيب آخر مماثل . الأمور ستحدث ، ثم ستحدث من جديد . ويضحى الغد بذلك كما لو لم يكن فيه من الغد شىء » .

هذه أبيات من قصيدة كافافيس بعنوان « ملل » .. لكن اذا كان اليوم الرتيب يأتى فى أعقاب يوم رتيب آخر مماثل . ويضحى الغد كما لو لم يكن فيه من الغد شىء ، فماذا نستطيع أن نفعل ؟ يجيب الشاعر على ذلك فى قصيدته « قدر امكانك » فيقول :

« لو لم يكن بامكانك أن تصنع حياتك كما تريد ، فعلى الأقل حاول ما استطعت ، الا ترخص من شأنها بكثرة الاحتكاك بالناس ، وبالافراط فى حركاتك وكلماتك .. حتى تمسى حياتك ضيفاً ثقيلا عليك » .

اعتكف كافافيس فى منزله ولزم صومعته خافتة الضوء ، فهو لا يحب ثرثرة

الناس ولا العقول الجوفاء .. اذا زاره ضيف يحبه أضاء له شمعة ثانية والا شمعة واحدة . فاذا ضاق بالضيف أطفأ الشمعة ايذانا بأنفضاض الجلسة .

بداية التجربة الشعرية :

بدأ كافافيس يكتب الشعر منذ وقت مبكر . ربما بعد عودته من الأستانة عام ١٨٨٥ . وعلى وجه التحديد عام ١٨٨٦ .

ولم ينشر كافافيس قصائده فى ديوان كما فعل أغلب الشعراء فلم يكن مهتما بالشهرة فى وقت من الاوقات ، ولم ينشر فى الصحف والمجلات سوى القليل من شعره . كان يكتب قصائده على قصاصات من الورق يوزعها على أصدقائه ومعارفه .. مكتفيا بذلك ..

وتفيض كثير من قصائد كافافيس بنغمة من الحزن الرصين والحسرة الخفية على ما فات من أيام العمر ولياليه ، والآسى من ترقب غد لا أمل فيه . ان أيام الغد تقف أمامنا مثل صف من الشموع الموقدة ، شموع صغيرة ذهبية حارة ومفعمة بالحياة ... الأيام الماضيات تبقى فى الخلف خطا حزينا من الشموع المطفأة .

كان الماضى محط أنظار كافافيس . وتلعب الذكريات فى شعره دورا سحريا . أنه يصغى على الدوام الى ذكريات من مات من الأحباء والاصدقاء والأقارب .. ويتصور أنه يسمع فى السكون الأصوات الحبيبة ، أصوات اولئك الذين ماتوا ، أولئك الذين هم بالنسبة اليه ضائعون مثل الموتى . يخيل اليه أنها تكلمه فى أحلامه احيانا ، وأحيانا فى الفكر يسمعها عقله . ومع أصدائها تعود برهة أصوات من قصائد حياته الأولى ، مثل موسيقى بعيدة فى الليل تخبو .

وتفد الذكريات عادة الى الشاعر بالليالى فى هدوء البيت الذى خلا من غيره . ولم يعد يشاركه فيه سوى أطياف الشباب الذى ولى . يوقد المصباح فى

التاسعة ويجلس دون أن يقرأ ودون أن يتكلم وحيدا فى هذا البيت ؟ وتفد الذكريات .. غرف مغلقة تفوح منها العطور .. متع عابرة .. شوارع لم تعد معروفة .. ودور للهو اندثرت وكانت حافلة بالحركة .. ومسارح ومقاه كان لها وجود ذات يوم .. وكما تفد الذكريات السعيـدة تأتـى أيضـا الذكريات الحزينة .. الفراق .. وحداد الأسرة على من مات من أفرادها .. أحاسيس ذويه .. وأحاسيس موتاه .. ولم يكن يقدرها من قبل حق التقدير .. ويمضى الوقت سريعاً مع موكب الذكريات .. تمضى السنين متراجعة مدبرة الى غير رجعة ، ولا يبقى منها سوى أطياف تجىء كل ليلة عندما يوقد المصباح فى التاسعة . وها هى قصيدة أخرى من قصائد الذكريات عنوانها « البحر فى الصباح » يقول فيها كافافيس :

« فلأقف هنا ولأرى أنا أيضا الطبيعة مليا ... شاطىء بحر رائع ، أزرق أصفر فى صباح سماؤه صافية .. كل شىء جميل مفعم بالضياء .. فلأقف هنا ، ولأخدع نفسى بأنى أرى هذه حقا ولا أرى خيالاتى ، ومتعة وهمية » .

ويختلط فى هذه الأبيات الواقع بالذكرى ، وتخشى روح الشاعر المتشبثة بالماضى من أن يكون ما تراه عيناه فعلا مجرد خيالات ، وأن يكون سابحا فى ذكريات الماضى ، فيخيل اليه أن الطبيعة الفاتنة المحيطة به انما هى متعة وهمية .. مثل حلم رائع ما زال مستحوذا عليه رغم أنه قد أفاق منه . كانت بالشاعر لهفة متقدة وظمأ لا ينطفىء الى لحظات من الواقع مضت وولت ..

ومع الماضى الذى ولى ، والذى يفلت من بين أصابع الشاعر ، مثل رمال منسابة يأتى الى قصائده الندم على حياة كان بالامكان أن يحياها على نحو أفضل . ويزخر كثير من أشعاره بذلك الاحساس المضنى ، بل أنه في بعض اللحظات – كما فى قصيدته « أسوار » – يتصور خصوما شريرين بنوا حوله اسوارا ضخمة عالية ، سجنوه فيها بلا تحفظ ولا حسرة ولا حرج . وجلس فى معقله يائسا ، لا يفكر فى شىء آخر ولو أن عقله يمزقه ما حدث ، لأن عليه أن يقوم بالعديد من أشياء فى الخارج . ولكن كيف كان يستطيع أن يمنعهم وهو لم

يسمع جلبة بنائين ولا صوتا قط . أضحى سجين تلك الأسوار ولا يستطيع التحرر من اسارها . وكم منا تحوطه الاسوار وتشل حركته !

لكن كافافيس يعود فيغوص فى أعماق المأساة الانسانية . وينتحل للفرد الاعذار ازاء مغريات الحياة القوية التى تجرف فى تيارها كل محاولات الارادة للتخلص من أسباب الندم . فالانسان يقسم من آن لآخر أن يبدأ حياة أفضل ، لكن عندما يأتى الليل بنصائحه ومصالحاته ووعوده - عندما ياتى الليل بعنفوانه ، بعنفوان الجسد الذى يرغب ويطالب ، الى الفرحة المحتومة يعود خاسرا من جديد.

يتمنى الشاعر أن تنفتح فى الغرف المظلمة - التى يحيا فيها أياما ثقالا - نوافذ فيها العزاء . لكنه تارة لا يجد أثرا لهذه النوافذ ، وتارة يعترف بعجزه عن العثور عليها رغم وجودها ، وتارة أخرى يفضل ألا يجدها ، فهو يخاف منها « فربما كان النور عذابا جديدا . من يدرى كم من أشياء ستظهر ؟ ! » .

ولا يرفض كافافيس الحياة تماما ، لكنه يرى أن روعة المصير الانسانى ليست فى الهدف ، بل فى السبيل الى ذلك الهدف ، ويفرغ فلسفته هذه على الأخص فى قصيدته « اثياكا » - وهى من أشهر قصائده - ونجده يلجأ فيها الى أوديسية هوميروس ، وينتقى منها أسطورة أوديسيوس ، الذى لقى فى سبيل العودة الى جزيرته « اثياكا » كثيرا من المشاق والأهوال والمغامرات التى يحكيها لنا هوميروس . وماذا كانت الجدوى من كل مشاق الطريق ؟ لقد عاد أوديسيوس ليجد جزيرته جرداء ومعارفه قد انفضوا عنه ، وزوجته الجميلة الوفية قد هرمت وشاخت وزال عنها حسنها ورواؤها . ولكن اذا بدا الهدف لا يستحق فى النهاية كل ما بذل فى سبيله ، فان عزاء الانسان يكون فى مغامرة الوصول الى الهدف .

كثيراً من ابطال كافافيس عرفوا هذه الحقيقة . وفى قصيدته « الطرواديون » التى كتبها عام ١٩٠٠ يقف بأعجاب أمام أهل طرواده الذين ناضلوا فى اصرار وعزم دفاعا عن مدينتهم وهم موقنون بأنها ساقطة فى يد

العدو الهائل لا محالة . ان لحظات الأمل اليائس .. لحظات البطولة رغم الهزيمة .. لحظات اثبات الوجود الانسانى رغم كل القوى الغاشمة .. هى لحظات شعرية حقيقية .. وقد كان كافافيس يبحث كثيرا عن هذه اللحظات فى أعماق التاريخ .. ولا يهتم فى هذه اللحظات بالأخلاقيات الطنانة .. مثل الشجاعة والورع والأمانة .. بل هو يركز الانتباه على البطولة الصامته .. على قدرة الانسان أن يحول هزيمته أمام القوى المادية الى انتصار روحى .. وقد يندثر المنتصرون الاشداء بعتادهم وسلاحهم وينساهم التاريخ ، بينما يبقى المهزمون الذين لم ينكصوا عن الهدف .... ذكرى عاطرة على مر الأجيال .

اسكندرية كافافيس



١٠ شارع ليبسيوس بالأسكندرية حيث اتخذ الشاعر سكناً له فيه ، الشقة ذات الشرفة البادية فى الصورة . وقد صار أسم الشارع الآن شارع شرم الشيخ وتحولت شقة سكن كافافيس الى متحف له .



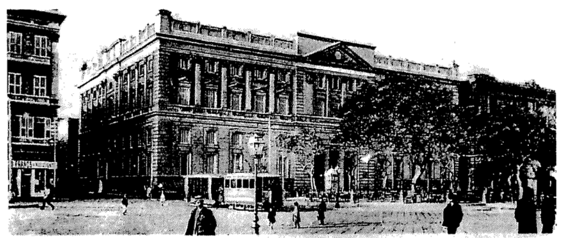
محطة الرمل بالأسكندرية فى العقد الأول من القرن الحالى



شارع العطارين بالأسكندرية



مبنى مكاتب شركة كوك بالأسكندرية عام ١٨٩٨ وقد عمل اليكساندروس كافافيس
مديراً لهذا الفرع من ١٨٩٨ منقولاً من فرع بورسعيد



ميدان « القناصل » بالأسكندرية فى أخريات القرن الماضى وأوائل القرن الحالى .
وهو «ميدان المنشية» الآن وقد بدات فيه مبنى المحاكم المختلطة



شارع رشيد بالأسكندرية عام ١٩٠٤ .وإلى اليمين مبنى شركة كوك



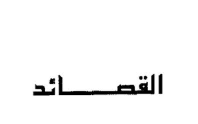
كازينو الرمل ، وكان معروفاً بأسم كازينو سان ستيفانو ، وقد أنضم كافافيس عام ١٨٩٧ إلى عضويته



شارع الرمل بالأسكندرية حيث اقامت أسرة كافافيس ما بين عامى ١٨٨٧ - ١٨٩٩



مبنى البورصة بالأسكندرية



القصائد

(١)

رغبـــات

مثل أجساد جميلة ، لم تدركها الشيخوخة ،
ذرفت عليها الدموع ، وهى توارى ضريحاً فخم البناء ،
على الهامات نضدت ورود ، ونثر الياسمين عند الأقدام .
مثل أجساد كهذه هى الرغبات التى ولت
دون وفاء ، دون أن يقدر لها قط
ليلة من ليالى المتعة ، ولا حتى صباح من أصبحتها
العامرة بالضياء .

(٢)

أصــوات

أصوات خفية حبيبة ، أصوات أولئك الذين ماتوا ، أو أولئك الذين هم بالنسبة الينا ضائعون مثل الموتى ، تتكلم فى أحلامنا أحيانا ، وأحيانا فى الفكر يسمعها العقل .

ومع أصدائها تعود برهة أصوات من قصائد حياتنا الأولى ، مثل موسيقى بعيدة فى الليل تخبو .

(٣)

دعــاء

ابتلع اليم فى أعماقه بحارا .

ولم تعلم أمه بالخطب فمضت تشعل أمام العذراء شمعة طويلة ، حتى يظل

الجو صحوا ويعود ابنها سريعاً .
وراحت الأم ترهف السمع للرياح ، وتقيم الصلوات وتبتهل .
على أن صورة العذراء المنصته خيم عليها حزن وكآبة ،
فهى تعرف أن الفتى لن يعود .

(٤)
أولى درجات السلم

جاء الشاعر الشاب أفمينيوس ،
ذات يوم الى ثيوكريتوس يشكو :
« سنتان مرتا الآن ، وأنا أكتب
والى غير قصيدة غزلية لم أتوصل ،
عملى المتقن الوحيد هى .
واحسرتاه ، أرى سلم الشعر عالياً
عاليا جداً أراه .
ومن هذا الدرج الذى أقف عنده هنا
لن أرقى ، أنا المسكين ، أبداً
قال ثيوكريتوس : « هذا الكلام تجديف
غير لائق
وان كنت عند أولى الدرجات ، فيجدر بك
ان تفخر بذلك وتسعد
فليس بالقليل أنك قد وصلت الى هنا
والذى أنجزت هواك شرف كبير
وهذا الدرج الأول

عن عامة الناس يبعد كثيراً

وكى تطأ قدمك ذاك الدرج

يجب أن تكون بحق

فى مدينة الفكر مواطنا

ومن الصعب فى تلك المدينة

بل ومن النادر أيضاً أن يقبلوك مواطنا

ففى السوق تجد واضعى قوانين

ليس بإمكان أفاق أن يخدعهم

ليس بالقليل أنك قد وصلت الى هنا

والذى انجزت هو لك شرف كبير .

(٥)

رجل عجوز

فى أغوار المقهى ، الملئ بالضوضاء ، يجلس رجل عجوز الى منضدة محنياً ، يحملق فى صحيفة أمامه ، وحيداً ، بغير رفيق يؤنسه .

وتحت وطأة ما تجلبه الشيخوخة من نسيان واهمال ، مضى يفكر كم كانت سعادته ضئيلة فى السنين التى كان متمتعاً فيها بالفتوة ، والوسامة ، ورجاحة العقل .

يعرف أن العمر تقدم به ، يشعر بذلك ، ويراه . ومع ذلك ، فأيام الشباب تبدو له ، كما لو كانت بالأمس القريب . كم كان الزمن قصيرا . كم كان الزمن قصيراً !

تأمل كم خدعه صوابه ، وكم كان على الدوام يصدقه . وياله من جنون ان صدق ذلك الكذاب ، وهو يقول « غداً . لديك من الوقت متسع » !

يذكر كم شهوة كبت ، وكم فرحة ضحى بها . يحاسب صوابه غير الحكيم

عن كل فرحة أضحت الآن ضياعا .

... ولكن من فرط ما فكر وتذكر ، ثقلت رأس العجوز . ونام متكئا على منضدة المقهى .

(٦)

شمــوع

أيام الغد تقف أمامنا مثل صف من الشموع الصغيرة الموقدة ، شموع صغيرة ذهبية حارة ومفعمة بالحياة .

الأيام الماضيات تبقى فى الخلف خطا حزينا من الشموع المطفأة ، وأقربها ما زال الدخان ينبعث منها ، شموع باردة ذائبة ومحنية .

لا أريد أن أراها ، فمرآها يبعث الشجن فى نفسى ، ويشقينى أن أذكر نورها الأول ، فأنظر قدما الى شموعى الموقدة .

لا أريد أن التفت ورائى خشية أن أبصرها فيتملكنى الرعب ، وأنا أرى الخط المظلم يمعن فى الطول ، والشموع المطفأة سرعان ما تتزايد .

(٧)

ثيرموبيليس

المجد لأولئك الذين فى حياتهم ، صمدوا ، ومضوا يحرسون ثيرموبيليس ، دون أن يتزحزحوا عن واجبهم لحظة .

سبلهم مستقيمة ، وعادلة أعمالهم كلها . وان لم تخل أيضاً عواطفهم من الرقة ، وقلوبهم رحيمة .

ان أوتوا ثراء ، فهم يفيضون كرما ، وحتى فى فقرهم يجودون من القليل الذى لهم .

يبذلون كل عون بامكانهم أن يبذلوه .

بالصدق دائمـا يتكلمـون ، لكنهـم أيضـا متسامحـون ، حتـى مـع مـن لا يصدقون .

المجد ثم المجد لأولئك الذين بامكانهم أن يرصدوا الغيب (وكثيرون منهم على ذلك قادرون) ويعرفوا أن افيالتيس فى النهاية سينتصر ، وان الفرس آخر الأمر سيمرون .

(٨)

الذى أقدم على الرفض الحاسم

يأتى يوم على الناس عليهم فيه أن يتخذوا القرار الحاسم . فيقولوا «نعم» أو يقولوا « لا » . والمرء الذى تكون « نعم » جاهزة فى أعماقه يبرز توا . واذ يقولها يمضى فى طريق الشرف مؤمنا .

ومن يقول « لا » لا يندم . ولو سئل ثانية لقال « لا » من جديد . ولكن ذلك الرفض ، مع صوابه ، يهدمه طوال حياته .

(٩)

أرواح العجائز

فى أجسادها العتيقة المهدمة تجلس أرواح العجائز . مسكينة ، كم هى حزينة . كم هى ضجرة بالحياة التعيسة التى تحياها . كم ترتعد خشية أن تفقدها ، فكم تحب الحياة تلك الأرواح المبلبلة المتناقضة التى تقبع فى جلودها البالية الهرمة ، مثيرة للضحك والرثاء .

(١٠)

ايقــاف

أعمال الآلهة ، نوقف جريانها نحن ، الأبناء المتعجلون ، ناقصو الخبرة ،

للحظة العابرة .

وفى قصور اليفسينوس وفثياس يبدأ ذيتيس وذيمترا أعمالا مباركة ، فى خضم نيران ملتهبة ودخان كثيف . ولكن على الدوام تنقض ميتانيرا ، من ناحية الغرف الملكية ، فزعة شعثاء الشعر ،

وعلى الدوام ، يتدخل بيليفس ، وقد تملكه الخوف .

(١١)

النوافــــذ

فى هذه الغرف المظلمة التى أمضى فيها أياما ثقالا ، أروح وأغدو باحثا عن النوافذ .

عندما تنفتح نافذة سيكون هذا عزاء . لكن النوافذ لا أثر لها ، أو أننى غير قادر أن أعثر عليها .

وربما كان من الأفضل ألا أجدها ، ربما كان النور عذابا جديدا . من يدرى كم من أشياء جديدة ستظهر .

(١٢)

أهل طروادة

ما أشبهنا بأهل طروادة ، نحن المغلوبين على أمرنا .

نحقق بعض النصر ، فيشدد ذلك من أزرنا ،

نشرع نلملم الشتات ، وتتجدد مرة أخرى فينا الآمال .

على أن شيئا يطرأ على الدوام ، يثبط عزائمنا ، ويعوقنا عن المضى فى تنفيذ المخططات .

يقفز أخيل من الخندق ، أمامنا ، وبصيحاته يلقى الذعر فى الأوصال .

مثل أهل طروادة نحن . جهودنا ، مثل جهودهم محبطة .
نعتقد أننا بالعزم والاقدام ، سنغير من مصائر العدوان .
نهب فى وجهه ، ونقف له بالمرصاد .
فاذا ما آتت الساعة الحاسمة ، تبدد منا العزم والاقدام .
اضطربت ازاء الطامة الكبرى جوانحنا ، وارتبك فى أفواهنا الكلام .
نهرول ، مبتعدين عن الاسوار ،
متخلين عنها ،
هاربين ، طالبين النجاة .
اندحارنا بات مؤكدا . بل وبدأ العويل يفد عبر الاسوار .
علا النواح من فوقها على ما ضاع من أيامنا ، وعلى ما فات
من عواطف وذكريات .
بحرقة يبكى هيكافى وبريام .
من أجلنا يبكيان .

(١٣)
وقــع الاقــدام

فى سرير أبانوسى ، مزين بنسور مرجانية ، يرقد نيرون مستغرقا فى نوم عميق ، سعيداً ، قرير العين ، متمتعا بعنفوان الجسد ، وحيوية الشباب .

ولكن فى القاعة الرخامية ، حيث هيكل مقدسات الانيفارفون ، بدأ الانزعاج الشديد على الألهة حارسة البيت .

كم أنزعجت هذه الآلهة الاصاغر .

ترتعد أبدانها التوافه ، وتجاهد لتتوارى ،

وذلك لأنها سمعت دويا مخيفا ، هو صوت الموت يصعد ، راعدا ، بخطوات

حديدية ترتج لوقعها الدرجات .

تهرول تلك الألهة التعيسة من فرط الخوف منهارة متخبطة الخطوات ،

لائذة بمأوى البيت ، متدافعة بالمناكب ،

متعثرة فى طريقها ساعية للأختباء فى الخزانة المقدسة .

وفى تزاحمها ، يسقط اله صغير على آله صغير آخر ، لأنها أدركت ماهية هذا الدوى .

عرفت الآن من وقع الأقدام هذا ، أن آلهات العقاب آتية .

(١٤)

ملل

اليوم الرتيب يأتى فى أعقاب يوم رتيب أخر مماثل .

الامور ذاتها ستحدث ، ثم ستحدث من جديد .

اللحظات المتشابهة تمر بنا ، وتمضى .

شهر يمر ، ويأتى بشهر آخر .

تلك الامور القادمة يمكن للمرء أن يخمنها . انها أحداث الأمس المملة .

ويضحى الغد بذلك كما لو لم يكن فيه من الغد شىء .

(١٥)

أسوار

بلا تحفظ ، بل حسرة ، بنوا حولى أسوارا ضخمة عالية .

وها أنا أجلس الأن فى يأس ، لا أفكر فى شئ آخر ، ولو أن عقلى يمزقه

ما حدث ، لأن على أن أقوم بالعديد من الأشياء فى الخارج .

آه ، كيف لم أتنبه وهم يبنون الاسوار ؟ لكنى لم أسمع جلبة بنائين ولا صوتا قط .

لقد عزلونى عن العالم الخارجى ، دون أن أشعر .

(١٦)

فى إنتظار البرابرة

ما الذى ننتظره فى السوق محتشدين ؟

أن البرابرة يصلون اليوم .

وفى مجلس الشيوخ ، لماذا هذا الاعراض عن العمل ؟

لماذا جلس الشيوخ لا يسنون التشريعات ؟

لأن البرابرة يصلون اليوم . وما الجدوى من أن يسن الشيوخ التشريعات ، مادام البرابرة عندما يحضرون سيسنون هم التشريعات ؟

لماذا صحا امبراطورنا مبكرا هذا الصباح ، وجلس عند البوابة الكبيرة فى المدينة ، على عرشه مرتديا تاجه وزيه الرسمى ؟

لأن البرابرة يصلون اليوم . والامبراطور فى الأنتظار ليستقبل رئيسهم ، بل وأعد الامبراطور العدة كى يمنحه شهادة فخرية يضفى عليه فيها رتبا وألقابا .

لماذا خرج قنصلانا والحكام اليوم فى مسوحهم الحمراء الموشاة ؟ لماذا لبسوا أساور ذات جواهر قرمزية وخواتم زمردية براقة ؟ لماذا يمسكون اليوم عصيا ثمينة مزينة بالذهب والفضة ؟

لأن البرابرة يصلون اليوم . ومثل هذه الأشياء تبهر البرابرة .

لماذا لا يجيء الخطباء المفوهون مثل كل يوم ليلقوا خطبهم ، ويقولوا ما ألفو أن يتشدقوا به ؟ لأن البرابرة يصلون اليوم ، وهم يملون الخطب وتضجرهم البلاغة .

لما يبدأ فجاة هذا الانزعاج وهذا القلق ، ويرتسم الجد على الوجوه ؟ لماذا تقفر الشوارع والميادين بسرعة ، ويعود الجميع الى بيوتهم وقد أستبد بهم التفكير ؟

لأن الليل قد أقبل ولم يحضر البرابرة ، ووصل البعض من الحدود ، وقالوا أنه ما عاد للبرابرة وجود .

ماذا سنفعل الآن بلا برابرة ؟ لقد كان هؤلاء الناس حلا من الحلول .

(١٧)

حنث بالوعـــد

« وهكذا ، رغـم اننا نوافق هوميروس على أمور كثيرة ، فهذا لا نوافق عليه .. ولا سوف نوافق أسخيلوس على جعله ثيتيس تقول أن أبوللو تغنى فى زفافها احتفاء بمولودها ، قائلا : أنه سوف يحيا طويلا ، وستكتب له البركات كلها .

وأنه أنشد هذا المديح ، فأدخل البهجة الى قلبى ، وأصبحت أؤمن بأن شفتى أبوللو المقدستين البليغتين فى فن النبوءة ، سوف لا يتطرق اليهما الشك يوما .

ولكن إذا بالذى أذاع هذه الامور ، هو الذى قتل آبنى »

(أفلاطون – الجمهورية – ٢/٣٨٣)

فى زفاف ثيتيس وبيليوس ، نهض أبوللو واقفا أثناء الحفل الباذخ ، وبارك

الزوجين .

وعن الأبن الذى سينجبانه ، قال :

« أبدا ، لن يزوره المرض . وسوف تكون حياته مديدة »

وقد راق ذلك لثيتيس ، وملأها بهجة ، فقد بدت كلمات أبوللو ، المحنك فى النبوءات ، ضمانا لابنها من غوائل الأزمان .

وعندما شب اخيل عن الطوق وكبر ، وراحت تيساليا كلها تتناقل الأحاديث عن وسامة ذلك الشاب ، تذكرت ثيتيس النبوءة .

ولكن ، ذات يوم ، جاء بعض من كبار السن عائدين بالأنباء ، وأخبروا بأن اخيل قتل فى طروادة ، فشقت ثيتيس ثيابها الارجوانية . ونزعت من على جسمها الخواتم والأساور ، والقت بها الى التراب .

وفى أحزانها ، تذكرت ذلك المشهد من حفل الزفاف ، فتساءلت ماذا كان الحكيم أبوللو يفعل عندما حدث ما حدث ؟ أين كان هذا العراف ، المعسول الكلمات فى المنتديات ، عندما قتلوا ابنها ، وهو فى أحلى سنوات العمر ؟

وأجاب كبار السن بأن أبوللو نفسه ، كان قد نزل الى طروادة ، ومع الطرواديين اشترك فى قتل ابنها .

(١٨)

جنـــاز ساربيذون

زيوس غارق فى أحزان عميقة .

باتروكولوس قتل ساربيذون . وها هو باتروكولوس يندفع الآن مع الاخيين ، لاختطاف الجثمان ، والتنكيل به .

على أن زيوس لا يطيق ذلك ، ولئن ترك ابنه المفضل يقتل – وهذا ما كان

يمليه القانون – فسوف يكفل له ، على الأقل ، التكريم بعد الموت . ولهذا فهو يرسل أبوللو الى السهل .

فينزل مزودا بتعليمات فى شأن معاملة الجثمان .

يرفع أبوللو جثمان البطل بكل اكبار ، ويحمله اسفا الى النهر .

يغسله من التراب والدم . يضمد الجراح فلا يبقى من آثارها شئ .

يسكب عطر الخلود على الجثمان ، ويلبسه ثيابا براقة .

يدهن البشرة بالمساحيق ، فيبدو الوجه ناصع البياض .

ويمشط من اللآلئ ، يصفف الشعر اللامع السواد .

ثم يبسط الأطراف الجميلة ، ويصلح من وضعها الأخير .

والآن ، ها هو ساربينون يبدو مثل ملك شاب – فى الخامسة أو السادسة والعشرين من عمره – ملك قاد مركبته العسكرية ، فى سباق عظيم ، والآن يخلد للراحة بعد فوزه بالجائزة . مركبته من ذهب خالص ، وجياده أسرع الجياد طرا أجمعين .

وبعد أن أنجز أبوللو مهمته على هذا النحو ، يستدعى الأخوين ، النوم والموت ، ويأمرهما بأن يأخذا الجثمان الى ليكيا ، بلد الثروات .

يخرج الاخوان ، النوم والموت ، سيرا على الاقدام الى بلد الثروات . وعندما يبلغان باب قصر الملك ، يسلمان الجثمان المكرم . والى شئونهما الأخرى ينصرفان .

وما ان يتلقى القصر الجثمان ، تبدأ المراسم الجنزية . مواكب ومدائح وترانيم ، واكاسير عديدة من أوان مقدسة تسكب .

جرت احتفالات التبجيل والحفاوة كلها .

ثم جاء بعد ذلك من المدينة عمال مهرة ، وصناع ذائعو الصيت . ومن الحجر أقاموا النصب التذكارى وشيدوا الضريح .

(١٩)

حاشية ذيونيسيوس

دامون ، الصانع الاريب (الذى لا يفضله فى أرض اليونان أحد) يعطى اللمسات الأخيرة لحاشية ذيونيسيوس ، تمثاله الجديد ، المنحوت من الرخام الأبيض التليد .

الأله فى المقدمة ، واثق الخطى ، يقود الركب بكبرياء ليست بمستغربة على آله مثله .

ومن خلفه تمضى « الشراهة » والى جوارها « ثمالة » تسكب النبيذ للمساخيط المجانين ، من اناء ذى مقبضين ، مزين بأكليل من لبلابة خضراء . وعلى مقربة ، حسناء النبيذ بلحظيها الناعسين ، تخطر بخطى كسول . ومن بعدهم جميعا ، يجىء أثنان من المغنين ، هما « لحن » و « نغم » وفى أعقابهما «سرحان» يمسك بشعلة « الرخاء » المباركة جاهدا الا تنطفئ . ثم بكل فخر وحياء تأتى « حفلة » فى مهابة .

ينظر داموس الى ما صنعته يداه . ويسرح باله من وقت لآخر فى الأجر الذى من ملك سيراقوسة سيتقاضاه . ثلاث تالنتات . هذا مبلغ كبير . فاذا ما أضاف اليه ما ادخره من مال ، فسوف يعيش منذ اليوم ، ناعم البال ، مثل الأغنياء . بل وسوف يدخل عالم السياسة .. ياللسعادة ، سوف يدخل مجلس الشيوخ ، حيث يتبارى أمامه الخطباء .

(٢٠)

جواد أخيل

عندما رأيا بتروكولوس ميتا – وكم كان فتيا ، وشجاعا ، وقويا – شرع جوادا أخيل فى النحيب .

ثارت طباعهما الخالدة تمردا على ما تمثل أمامهما من أفاعيل الموت هذه .

طوحا برأسيهما الى الخلف ، وقد اشرأب عرفاهما .

دقا الارض بسنابكهما مجفلين ، وناحا على باتروكولس ، اذ أبصراه ملقى أمامهما ، فاقدا للحياة ، مخربا .

أضحى الآن مجرد جثة ، هامدة الأنفاس ، فارقتها الروح وخلفتها بلا مدافع أو نصير .

ومن الحياة آب آلان باتروكولوس ، عائدا الى العدم الكبير .

رأى زيوس الدموع فى مآقى هذين الجوادين الخالدين ، فأحس بالحسرة نحوهما . وقال « ما كان يجب ان اتصرف بهذا التساهل فى زفاف بيليوس » واردف يقول « الأفضل الا نكون منحناك هذين الجوادين التعسين هدية . ما شأنكما، هناك ، بين البشر الذين تتنازعهم الأهواء ، ويلعب بهم القدر ؟ أنتما ايها الجوادان متحرران من الموت ، ولن تدرككما شيخوخة ، فما بالى آراكما وقد تمزقت جوانحكما من أجل مصيبة عابرة ؟ أوقعكما البشر ولا شك فى أحابيل شقائهم » .

ولكن ، أكان الجوادان النابهان فى الحق يذرفان الدموع على مصيبة عابرة ؟ انهما لعمرى يذرفان الدموع على الموت ، وتلك مصيبة مؤبدة .

(٢١)

انه لرجل عظيم

فى أنطاكية ، غريب وافد من أديسا ، كتب عليه أن ينطوى على نفسه ، ينظم الشعر مجهولا ، مجهولا ، ولا يأبه به أحد ، ولكن ها هو يكمل قصيدة غنائية ، فيرتفع عطاؤه من القصائد الى ثلاث وثمانين .

أدرك الشاعر المغمور فى النهاية التعب ، من فرط ما كتب ، وشدة الحرص الذى التزم ، والغيرة على تراكيب اللغة اليونانية التى ينظم شعره بها .

وهنت عزيمته ، وحط عليه الاكتئاب والسأم .

خاطرة واحدة ، أخرجته على التو من ضجره . ها هو يسمعهم يقولون ، مثلما سمعهم لوقيانوس من قبل فى حلمه يقولون ، « أنه لرجل عظيم » .

(٢٢)

الملك ديمتريوس

« .... وليس كملك ، بل كممثل ، ترك أرديته الملكية ، وارتدى عباءة قاتمة اللون . اكتفى بها ، وانصرف دون أن يلحظه أحد .... » .

« من حياة ديمتريوس لبلوتارخوس »

عندما تخلى عنه أهل مقدونيه

وأعلنوا أنهم يفضلون عليه بيرو

لم يتصرف الملك دمتريوس (وكان

ذا روح قوية) – لم يتصرف على الإطلاق

مثلما يتصرف الملوك – هكذا قالوا – بل ذهب

يخلع جلبابه الموشى بالذهب

ويلقى بخفه القرمزى

ثم ارتدى مسرعا ثوبا

بسيطا ، وتسلل خارجا مقلدا بذلك الممثل ،

الذى عندما ينتهى العرض

يبدل ثيابه ، ويرحل .

(٢٣)

المدينـــة

قلت « سأذهب الى أرض أخرى . سأذهب الى بحر آخر . مدينة أخرى ستوجد أفضل من هذه . كل محاولاتى مقضى عليها بالفشل ، وقلبى مدفون كالميت . الى متى سيبقى فكرى حزيناً ؟ اينما جلت بعينى ، أينما نظرت حولى ، رأيت خرائب سوداء من حياتى حيث العديد من السنين قضيت وهدمت وبددت .

لن تجد بلدانا ولا بحورا أخرى . ستلاحقك المدينة وستهيم فى الشوارع ذاتها . وستدركك الشيخوخة فى هذه الأحياء بعينها . وفى البوت ذاتها سيدب الشيب الى رأسك . ستصل على الدوام الى هذه المدينة . لا تأمل فى بقاع أخرى . ما من سفين من أجلك ، وما من سبيل . وما دمت قد خربت حياتك هنا ، فى هذا الركن الصغير ، فهى خراب أينما كنت فى الوجود .

(٢٤)

الولايــة

ياللكارثة ، أن تكون لروائع الاعمال وكبيرها مؤهلا

يشد من أزرك حظك الجائر هذا .

فيتنكر لك النجاح دائما

تعوقك لا مبالاة ، وصغائر ، وعادات رخيصة .

وكم كان مفجعاً يوم ان استسلمت

(يوم أن انهرت واستسلمت)

فشددت الرحال لاجئا الى سوسا

ذهبت الى الملك ارتاكسيركسيس

فأدخلك بلاطه مرحباً .

يعرض عليك أقاليم ، وما شابه ذلك ، يوليك حكمها

فتقبل منقبض النفس شقياً .

هذه الأشياء لا تريدها

بل أشياء أخرى تطلبها روحك ، وعلى غيرها تبكى .

تتوق الى كل ماهو صعب لا يقدر بمال

والى كل ما يجعل المواطن والحكيم يلهجان من اجلها عليك بالثناء .

إن المحافل ، والمسارح ، وأكاليل الغار

هذا الذى سيعطيك ارتاكسيركسيس ،

كل هذا الذى ستجده فى ولايتك

بالامكان أن تمضى حياتك بغيره .

(٢٥)

الخامس عشر من مارس

فلتخش التعالى ، أيها الروح ،

والطموح قاومه بشدة ،

لو لم يكن بامكانك أن تقتفيه

بتؤدة وتحفظ . وكلما مضيت قدما

زد من توجسك وحذرك

فاذا بلغت ذروتك ،

ياقيصر ، وصرت شخصاً ذائع الصيت لامعاً ،

فاحذر على الأخص اذا خرجت الى الطريق حاكما مهيباً

لافتا للأنظار ، تصحبك حاشيتك ،

احذر ان طلع عليك من جموع الشعب واحد مثل ارتيميذوروس من مفسرى الأحلام

يحمل اليك رسالة ، ويقول متعجلا «اقرأ

على الفور ، أمورا جساما تهمك »

لا تتردد أن توقف ركبك . لا تتردد ان ترجئ

كل قول أو عمل . لا تتردد أن تنحى جانبا

أولئك الذين يحيون وينحنون (سوف

تراهم فيما بعد) ولينتظر مجلس الأعيان أيضاً ،

بادر لتعرف أولا ما جاء بكتاب ارتيمينوروس من جلائل الأخبار .

(٢٦)

عندما تخلى الآلهة عن أنطونيوس

عندما تسمع فى منتصف الليل فجأة ، فرقة من المغنين ، تمر فى الطريق غير مرئية ، بموسيقاها الصاخبة ، بصياحها الذى يصم الآذان ، كف عن أن تندب حظك الذى ضاع ، وخطط حياتك التى أخفقت ، وآمالك التى أحبطت . دع عنك التوسلات غير المجدية .

وكن كمن هو على أهبة الاستعداد من قديم ، كشجاع جرئ ، ودعها : ودع الاسكندرية التى ترحل .

وبالأخص ، حذار ان تخدع . لا تقل ان الأمر كان حلما ، وهما فى أذنيك وكذباً . آمال بالية مثل هذه لا تصدق .

كمن هو على أهبة الاستعداد من قديم ، كشجاع جرئ ، كما لو كنت أهلا لها حقاً ، أهلا لمدينة مثل هذه ، اقترب بخطى ثابتة من النافذة ، واستمع بحزن . ولكن بلا توسلات جبناء ، ولا شكاوى ذليلة .

استمع حتى النهاية الى الاصداء المبتعدة ، واستمتع بها ، استمتع بالنغمات الرائعة من الفرقة الخفية التى تمضى الى الزوال .

ودعها ، ودع الاسكندرية ، الاسكندرية التى تضيع منك الى الأبد .

(٢٧)

أشياء منتهية

فى خضم الخوف والشكوك ، وبعقل مزعزع وعيون مذعورة ، نذوب وندبر خططا لما يجب ان تفعل كى نتفادى الخطر المحقق الذى يهددنا بشكل مفجع .

على اننا نخطئ ، اذ ليس هذا الخطر فى الطريق ، فقد كانت النذر كاذبة ، أو ربما لم نسمعها ، أو لم نحس بها كما يجب . خراب آخر مفاجئ خاطف ، لم نكن نتوقعه ، يهوى علينا . ولما كنا غير مستعدين ، فهو يجرفنا ، وانى لنا الوقت للتدبير .

(٢٨)

أرض الأيونيين

اذا كنا قد حطمنا تماثيلها ، واذا كنا قد طردناها من معابدها فهذا لا يعنى ، على الاطلاق ، أن الآلهة قد ماتت .

يا أرض الأيونيين ، انها لا زالت على حبك باقية ، وذكراك لا زالت فى نفوسها قائمة .

وكلما اسيقظ على اديمك فجر فى أغسطس ، ارتعشت أجواؤك بأنفاس من حيواتها .

وأحيانا ، بخطو أثيرى يمرق فوق تلالك طيف ، طيف من أيام الشباب الخوالى .

(٢٩)

مثال تيانى

كما لابد انكم سمعتم ، لست مبتدئا .

مرت أحجار كثيرة من بين يدى .

وفى وطنى ، تيانا ، يعرفوننى حق المعرفة .

وهنا أيضاً ، كلفنى بأعمال أعضاء من مجلس الشيوخ .

ولسوف أريكم حالاً بعضها .

أنظروا ، هذه ريا ، هيئتها مهيبة ، كلها ترقب . عريقة هى فى القدم . أنظروا بومبيون . وهؤلاء ماريوس ، وايميليوس ويافلوس، والأفريقى سكيبيون ، بأمانة قدر الامكان ، نقلت ملامحهم . وهذا باتروكولوس (سأجرى عليه بعض اللمسات) والى جوار تلك القطع المائلة الى الاصفرار ، هناك ، قيصرون .

وانى ، فى الوقت الحاضر ، مشغول بعمل تمثال لبوسيذون ،

أدرس كيف أشكل جياده ، على الأخص .

يجب أن أنحتها خفيفة ، حتى تبدو أجسادها ، وكأن السيقان لا تطأ الأرض ، بل تجرى فوق الماء فحسب .

ولكن ها هو أحب أعمالى الى .

بثثت فيه عاطفتى ، وأوليته كل أهتمامى .

فى سخونة يوم من أيام الصيف ، سما فكرى الى عالم المثل ،

فحلمت بهرميس ، وذلك الشاب الذى ترون تمثاله .

(٣٠)

الأشياء الخطرة

قال ميرتياس (وهو طالب علم سورى ، جاء الى الاسكندرية ابان حكم الملك قوسطانديوس ثم الملك قوسطاندينيوس ، وهو أيضاً محافظ على قوميته من ناحية ، ومن ناحية أخرى داخل فى المسيحية) قال :

« لما كنت قويا بادراك النظريات وتحصيل المعرفة ، فلن أخشى عواطفى أو أجبن ازاءها ، وسألقى بجسدى فى الشهوات ، وفى المتع المتوق اليها ، فى رغبات العشق الجسور ، بل وأكثرها جسارة ، فى اندفاعات اللذة التى تغلى فى دمى ، وذلك دون خوف ، لأننى ان شئت - مؤازرا بادراك النظريات والمعارف المتحصلة - سوف أستعيد فى اللحظات الحرجة مثلما كان من قبل امرى ، روح النساك التى بى ،

(٣١)

أمجاد البطالسة

أنا ملك آل لاجوس ، بسطوتى وثروتى ، سيطرت على فنون المتعة كلها .

ولا أحد فى مقدونية ، أو من أهل البربر يعادلنى ، أو يدانينى ، أو حتى بامكانه ان يقارن نفسه بى .

وكم يبدو الأمير السورى ، ابن الملك سليفكيوس ، مضحكا بكل بهرجه السوقى .

ولئن سألتنى المزيد ، فلن أذهب بعيدا ،

مدينتى منارة العلوم ، ملكة على عالم اليونان متوجة ، مبرزة فى كل الفنون ، وضروب المعرفة .

(٣٢)

ايثاكـا

اذا ما شددت الرحال الى «ايثاكا» فلتتمن أن يكون الطريق طويلاً حافلا بالمغامرات ، مليئا بالمعارف . لا تخش الغيلان والمردة واله البحر الغاضب ، فانك لن تلقاها فى طريقك ما دام فكرك ساميا ، والعاطفة الخالصة تقود روحك وجسدك . لن تقابل الغيلان والمردة واله البحر الغاضب مالم تكن قد جلبتها معك فى أعماقك ، وما لم تكن روحك قد أقامتها أمامك .

تمن أن يكون الطريق طويلاً ، وأصبحة الصيف كثيرة ، تدخل فيها فرحا مبتهجا الى موانئ تراها لأول مرة .

توقف عند أسواق سورية ، واحصل على البضائع الجيدة ، أصداف ومرجان وكهرمان وأبنوس وعطور ممتعة من كل نوع . وعلى الأخص من العطور الممتعة خذ قدر ما تستطيع .

واذهب الى مدائن مصرية كثيرة لتتعلم وتتعلم من الجهابذة .

لتكن «ايثاكا» فى فكرك دائما ، والوصول اليها هو مقصدك . لكن لا تتعجل فى سيرك . الأفضل أن يدوم السفر سنين عديدة وأن تصل الى الجزيرة عجوزا غنيا بما كسبته من الطريق . لا تتوقع أن تعطيك «ايثاكا» ثراء .

لقد منحتك «ايثاكا» الرحلة الجميلة ، فما كنت تخرج الى الطريق لولاها . وليس لديها أن تعطيك أكثر من ذلك .

ولووجدت «ايثاكا» فقيرة فهى لم تخدعك . وما دمت قد صرت على هذا القدر من الحكمة ، ولك كل هذه الخبرة ، فلا بد أنك قد فهمت ماذا تعنى «ايثاكا» واى «ايثاكا» .

(٣٣)

هيرودس أتيكوس

يا لأمجاد هيرودس اتيكوس .

عندما وصل اليكساندروس سليفكياس ، وهو واحد من أفضل حكمائنا ،

الى أثينا لالقاء الاحاديث ،

وجد المدينة خالية ، لأن هيرودس كان قد غادرها الى مقره الريفى ،

واقتفت الشبيبة كلها أثره لتتابع أحاديثه أينما كان ،

فكتب له الحكيم اليكساندروس رسالة ،

راجيا أن يرسل اليه اليونانيين ، فبادر هيرودس المهذب على التو يجيب :

« بل أنا قادم مع اليونانيين »

كم من الفتيان فى الاسكندرية ، وانطاكية ، وبيروت ، الآن ،

(الخطباء الذين تعدهم لمستقبلها أمة اليونان)

عندما يجتمعون على الموائد المختارة ،

وتدور أحاديثهم عن الحكم البديعة تارة ،

وعن غرمياتهم الرائعة تارة أخرى ،

يصمتون شاردى الألباب ، فجأة ،

تاركين الأقداح بجانبهم دون مساس ،

يفكرون فيما قدر لهيرودس من حظ وفير ،

ومن غيره من الحكماء منح هذا العطاء ؟

يتبعه اليونانيون (اليونانيون !) فيما يرى وفيما يفعل

دون مناقشة أو جدال

بل وبدون حاجة الى انتخابات بعد الآن :

فهم يتبعونه ، ويتبعونه فى كل الأحوال .

(٣٤)

محب للهلينية

احرص على التأكد من ان النقش على الحجر قد أدى بمهارة ، وان التعبير على الوجوه رصين ومهاب . وأفضل أن يكون التاج ضيقا بعض الشئ . لا أحب ذلك النوع من التيجان المألوف فى ممالك آسيا الغربية .

يجب ان تكون الكتابة كالمعتاد باليونانية . لا مبالغات أو اطراءات طنانة – لا نريد ان يأخذ حاكم الولاية الأمر على محمل سيء ، فهو على الدوام يتشمم ، ويبعث الى روما بالتقارير – ولكن العبارة يجب أن تتضمن بالطبع تكريما استحقه .

وعلى الوجه الآخر ، انتق الرسم بعناية ، ربما وضعت رامى قرص ، شابا حسن المظهر .

وأهيب بك أن تحرص قبل كل شيء (وانى استحلفك بالله ، لا تدعهم ينسون ذلك) أن يضعوا « الملك » و« المخلص » – وأن يضعوا لقب « المحب للهلينية » وذلك بأحرف رشيقة .

والآن ، لا تحاول أن تمارس على ذكائك بأسئلة مثل «وأين هم الهلينيون؟» أو «أى هلينية بقيت هنا على مشارف زاغروس ، أو هناك فيما بعد ايفراطا ؟ » ان العديدين غيرى ، ممن هم أكثر منا بربرية ، اختاروا أن يكتبوا أسماءهم ، مقرونة بذلك ، فما الضير لو نكتبه هكذا نحن أيضاً .

واخيرا ، وليس آخرا ، لا تنس . فى بعض الأحيان ، يأتى الينا من سوريا ، مدعو حكمة ، وناظمو شعر ، وغير ذلك من توافه القوم ، فهل يظن فينا أننا لسنا محبين للهلينية .

(٣٥)

ملوك الاسكندرية

تجمع أهل الاسكندرية

يشاهدون أبناء كليوبترا ،

قيصرون واخويه الصغيرين .

بطليموس والكسندروس ،

يصحبون الى الحلبة لأول مرة ،

كى ينادى بهم ملوكا هناك ،

وسط مواكب الجند المتألقة .

لقب الكسندروس ملكا

على ارمينيا وميدياس وبارثون

ولقب بطليموس ملكا

على كيليكيا ، وسوريا ، وفينيقيا .

أما قيصرون ، فكان يقف فى المقدمة

يرتدى ثوبا من حرير وردى

وفى صدره علق من الزنابق باقة زرقاء

وبحزام محلى بصفين من الياقوت والزمرد أحاط خصره ،

وعقد حذاءه بأربطة بيضاء طرزت بلآلئ حمراء .

قيصرون هذا منح لقبا أكبر ،

قيصرون هذا بملك الملوك لقب .

كان أهل الاسكندرية يدركون بالطبع

ان هذه أقوال فى تمثيلية .

لكن النهار كان دافئا يفيض شاعرية .

والسماء صافية الزرقة ،

والحلبة السكندرية ،

من صنائع الفن تحفة ،

وبذخ البلاط يفوق كل وصف ،

وقيصرون بدا وسيما وازدهى رقة ولطفا

(ابن كليوبترا هو ، وفى عروقه دماء آل لاجوس تجرى)

لذا هرع الى الاحتفال أهل الاسكندرية

يملؤهم الحماس . يهتفون

باليونانية ، والمصرية ، والبعض بالعبرية . يهللون

مفتتونين بالمشهد الجميل

على الرغم من انهم يعرفون قيمة كل ذلك حقا ، ويدركون كم هى جوفاء القاب الملوك .

(٣٦)

فى الكنيسة

الكنيسة أحبها – أحب الملاك ذا الأجنحة الستة ،

الكؤوس الفضية ، الشمعدانات ،

الضياء ، الايقونات ، ومنصة الوعظ .

عندما أدخل المكان ، أدخل كنيسة لليونان ،

يذكرنى عبق البخور ،

والقداديس ، والتراتيل ذات الانغام ،

والقساوسة ، ذوو المهابة والاحترام ،

وايقاع الحركات والسكنات فى الطقوس

يذكرنى كل ذلك بقوميتنا ،

وبتراث بيزنطيتنا العريق .

(٣٧)

عـد

عد كثيرا ، وخـذنى ،

أيها الحس الحبيب ، عد وخذنى –

عندما تستيقظ الذكريات بجسدى ،

وفى الدماء ، تعود رغبة قديمة فتسرى ،

عندما تسترجع ذكرياتها البشرة والشفتان ،

وتشعر اليدان كما لو كانتا تعاودان اللمس .

عد كثيرا ، والى الليل خذنى ،

عندما تسترجع ذكرياتها البشرة والشفتان ...

(٣٨)

قدر امكانك

لو لم يكن بامكانك ان تصنع حياتك كما تريد ، فعلى الأقل ، حاول ما استطعت ، أن تفعل هذا :

لا ترخص من شأنها ، بكثرة الاحتكاك بالناس ، وبالافراط فى حركاتك وكلماتك .

لا تحط من قدرها بالتطواف بها هنا وهناك ، معرضا اياها لزحمة الروابط والمقابلات التى تزخـر بهـا حماقـات كل يـوم ، حتى تمسى حيـاتك ضيقا ثقيلا عليك .

(٣٩)

شديد الندرة

هو رجل عجوز ، متهالك ، محنى الظهر . من وعثاء السنين متعب ، ومن فرط ما سبر من صنوف اللذات مكدود .

بخطى وئيدة ، يصعد الزقاق ، يدلف الى البيت . وما ان يتوارى عن شيخوخته ، ومن تدهور الحال يختبئ ، يمضى متأملا ، رغم كل شئ ، فيما لا زال لديه ينبض بالصبا .

ينشد الآن شباب غض الاهاب قصائده ، قصائده هو ، وفى عيونهم

الجسور ترتسم كومض البرق رؤاه .

اجسامهم ممشوقة ، مفتولة العضل ، وعقولهم متوقدة الحس ، نابهة ،

وما أن يمثل أمامهم طيفى الوسيم ، حتى تحتدم جوانحهم ، وتتأجج بتصورى للجمال عواطفهم .

(٤٠)

مضيت

لم أكبح جماح نفسى ، تركتها على مطلق سجيتها ،

ومضيت الى المتع التى بين الواقع والخيال تتأرجح ،

مضيت فى الليل الوضاء ،

وشربت أنبذة قوية ، مما يشربه ممارسو المتع الجسور .

(٤١)

نفائس الدكان

لفها بحرص ونسقها فى حرير أخضر ثمين ،

ياقوت أحمر ، ولآلى بيضاء ، وأحجار بنفسجية نضدت زهرا ،

كما أرادها وتصورها جاء جمالها تحفة ، ليست من الطبيعة نسخة وان رآها فيها ، وصممها نقلا عنها .

فى الخزانة سيودعها ، نموذجا على براعة صنعته وجرأتها .

فاذا ما دخل الدكان مشتر ، أخرج من الصناديق صنائع أخرى يبيعها ،

أساور وسلاسل وعقودا وخواتم - حليا بديعة ذاعت شهرتها .

(٤٢)

قبر اللغوى ليسياس

على مقربة من يمينك ، عند دخولك دار الكتب فى بيروت ، وارينا جثمان اللغوى الحكيم ليسياس .

وكان مكانا مناسبا هذا الذى اخترناه لقبره .

أرقدناه بجوار الأشياء التى تعلق قلبه بها ،

وربما سوف يظل يذكرها هناك حيثما هو -

نصوص ، ومخطوطات ، وصيغ ، وحواش - كلها فى مجلدات ، دبجت بلغة يونانية رفيعة ومتقنة .

كما سوف نرى من هناك قبره ، ويتلقى آيات التبجيل منا ، ونحن فى طريقنا الى الكتب .

(٤٣)

بعيدا

وددت أن أقص هذه الذكرى .. لكنها تلاشت الآن ..

لا يكاد يبقى منها شئ - لأنها ترقد بعيدا فى بواكير شبابى .

كانت بشرة كأنها من الياسمين قد نسجت .

ذات أمسية فى أغسطس ، أكانت حقا فى أغسطس تلك الأمسية ؟

أكاد أذكر العينين ، يخيل الى أنهما كانتا زرقاوين . آه ،

أجل زرقاوين فى لون الياقوت .

(٤٤)

ضريح افريونوس

فى هذا الضريح الرائع الصنعة ،

المشيد من أحجار الرخام كله ،

والمجلل بالسواسن الناصعة البياض ، وكل زهور البنفسج هذه ،

يرقد الوسيم أفريونوس

وكان شابا من شبان الاسكندرية ، مات فى الخامسة والعشرين من عمره .

ينحدر من ناحية أبيه عن أجداد مقدونيين قدامى ،

ومن ناحية الأم ، كان سليل أعرق الأسر اليهودية .

تتلمذ على أرسطوقليطوس فى الفلسفة ،

وفى البلاغة على باريس ، وفى طيبة ، درس

الكتب المقدسة . وكتب عن تاريخ ارسينوئيتو .

هذا بالأقل ما سوف يبقى من ذكراه ،

لكننا ، خسرنا ، على أى حال ، ما هو أغلى من هذا - خسرنا طلعته التى كانت من تجليات أبولونوس فى بهائها .

(٤٥)

الثريا

فى غرفة صغيرة جرداء ، بين أربعة حوائط ،

مغطاة بكسوة خضراء ، جد خضراء ،

ثريا جميلة تتأجج بالأضواء .

كل شعاع من لهيبها ، يتدفق متقدا برغبة واشتهاء !

ليس على الاطلاق بالمألوف ذلك الضوء الذى يتألق فى الغرفة ، الصغيرة العامرة بالوهج المستعر ،

فمتعة هذه الحرارة للأجساد الهيابة لم تخلق !

(٤٦)

ثيوذوتوس

لو كنت من المختارين حقا ، احرص أن يبقى هذا الاختيار قائما ، مهما اضفيت عليك الأمجاد ، ورددت المدائن أنباء ما حققت فى إيطاليا وصقلية من جلائل الأعمال .

ومهما علت بمدائحك الأصوات ، ودفع بك المعجبون الى روما ، وانتخبوك هناك –

مهما كان هذا أو ذاك ، فلا فرحتك ستبقى ، ولا زهوك بالانتصارات ،

ولا حتى ستشعر بأنك ذلك الانسان الأرقى من سائر الناس – وأى رقى هذا ، على أى حال ، عندما يحضر لك ثيوذوتوس ، على صفحة مخضبة بالدماء ، وأنت بالاسكندرية ، رأس بومبيوس المسكين ، ويقول لك هذا رأس الشرير .

ولا تترك بالك يهدأ ، زاعما لنفسك أن فى حياتك السوية المتسمة بالهدوء والاستقرار ، لا احتمال لمثل هذه الأهوال والمواقف .

ربما فى هذه الساعة ذاتها ، عند جار من جيرانك الطيعين الذين يحيون فى بيوتهم مثلك حياة الانتظام ، يدخل

خفية ، كطيف لا يراه أحد – يدخل ثيوذوتوس ،

ويخرج حاملا رأسا مثل ذلك الرأس المخيف .

(٤٧)

الحكماء يبصرون ما هو وشيك الحدوث

« والآن ، فان الآلهة على دراية بما سوف يحدث من أمور ، والبشر على دراية بالأحداث التى جرت ، أما الحكماء منهم فعلى دراية بما هو وشيك الحدوث »

فيلوستراتوس ، حياة أبولونيوس التيانى جزء ٧

الأمور التى تحدث يعرفها البشر ، أما الآلهة فيعرفون الأمور المستقبلة ، لأنهم وحدهم مكشوف عنهم الحجاب ، وعن بصيرة وضاءة يستجلون الغيب .

أما الحكماء ، فاذا علموا من أمور الغد ، فتلك التى هى وشيكة الحدوث وفى بعض الاحيان ، خلال الاستغراق فى التأمل واستجلاء الفهم ، يختلط عليهم السمع ، فيصلهم الصوت الخفى للأحداث التى تقترب صخبا ، وينصتون لما يسمعون بخشوع . يرهفون السمع ، بينما ، عامة الشعب فى الشوارع لا تسمع شيئا ، مما هم يسمعون .

(٤٨)

البحر فى الصباح

فلأقف هنا ، ولأرى أنا أيضا الطبيعة مليا .

شاطئ بحر رائع ، أزرق أصفر ، فى صباح ، سماؤه صافية .

كل شئ جميل مفعم بالضياء .

فلأقف هنا ، ولأخدع نفسى بأنى أرى هذه حقاً ، ولا أرى خيالاتى ، ومتعة وهمية .

(٤٩)

عند باب المقهى

همسات بالقرب منى ،

جعلتنى ألتفت نحو باب المقهى .

رأيت الطلعة الوسيمة ، وقد بدت ، كما لو كان

اله الهوى ، بكل تمكنه ، ومنتهى خبرته ،

قد صممها .

مقولبا القامة الفارعة ، مثل تمثال ،

مستمتعا بابداع الاطراف المتناسقة ،

مشكلا الوجه برهافة وعاطفة ،

وتاركا بلمسات من أنامله

على الحاجبين ، والعينين ، والشفتين ، انطباعا متميزا .

(٥٠)

أورفيرنيس

هذا الذى نقشت صورته على عملة الأربع درخمات ، والذى يبدو وكأنه يحمل على وجهه الوسيم الرهيف القسمات ، ابتسامة ،

هو أورفيرنيس بن أريارائيس .

طردوه فى طفولته من وطنه ،

والقوا به خارجا من قصر أجداده ،

نفوه الى أرض اليونان ، كى يكبر فى الغربة ،

وينسى بين الأغراب ، هناك .

آه ، لتلك الليالى ، تلك الليالى الجسور ، التى اهتبل فيها ، على غرار أهل اليونان ، صنوف المتع الحسية ، بلا خوف ولا وجل . ولئن كان قد قلدهم فى نمط حياتهم ، وتحدث بلغتهم ، الا أنه ظل فى قرارة نفسه ، آسيويا على الدوام .

وبحليه الفيروزية ، وثيابه اليونانية ، وجسده المعطر بزيت الياسمين ، كان أكثر شباب أيونيا وسامة ، وأكثرهم أيضاً خضوعاً للملذات .

وعندما دخل السوريون كابوذوكيا ، فيما بعد ، ونصبوه ملكا هنا ، انكب على الملك ، واتخذه مطية تحقق له متعا جديدة يوما بعد يوم .

مضى بجشع يكنز ذهبا وفضة ، وراح يحملق فى الثروات التى تخطف أكوامها ببريقها ناظريه .

أما بالنسبة للانشغال بالبلاد ، وتصريف شئونها ، فلم تكن لديه أدنى فكرة حتى عما يجرى من حوله .

وسرعان ما تخلص منه أهل كابوذوكيا ، وانتهى به المقام بقصر ديمتريوس ، فى سوريا ، حيث آثر الدعة ، وامضى وقته فى التسرية عن نفسه .

وذات يوم ، تفجرت فى حياته الخاملة أفكار لم يكن له بها عهد من قبل :

تذكر كيف أنه من خلال أمه الأنطاكية ، وستراتونيكى ، تلك الجدة العجوز ، يكاد يكون سليفكيا ، ومستحقا للتاج السورى بدوره ، فأنقطع عن الشراب ، وكف عن المجون .

وفى افاقته من غيبوبته ، وكان لا زال دائخاً متخبطاً ، انتوى أن يدبر حيلة ، أن يفعل شيئاً ، أى شئ . لكن خططه باءت باخفاق يرثى له . وكان ما كان .

لا بد ان نهايته على نحو ما دونت ، لكن هذا التدوين قد فقد ، أو ربما مر التاريخ بهذه النهاية مر الكرام ، ولم يكترث حقاً أن يسجل شيئاً بمثل هذه التفاهة .

أن الوجه المنقوش على عملة الأربع درخمات ، و تلك الصورة التى أحتفظت لنا بشعاع من وسامة ذلك الوجه الشاعرى ، وببعض من جاذبية الشباب – هذه الصورة البديعة لصبى أيونى ، هى صورة أورفيرنيس ، ابن أريارثيس .

(٥١)

قسم

من آن لآخر يقسم ان يبدأ حياة أفضل ، لكن عندما يأتى الليل بنصائحه ومصالحاته ووعوده – عندما يأتى الليل بعنفوانه ، بعنفوان الجسد الذى يرغب ويطالب ، الى الفرحة المحتومة يعود خاسراً من جديد .

(٥٢)

أشياء مرسومة

أحب عملى ، وأوليه اهتمامى ، لكن الخمول ثبط همتى اليوم ، وحال الاجهاد بينى وبين أن أواصل ابداعى .

كان للنهار تأثيره على ، فقد ازداد محياه اعتاما ، ومضت الريح تعصف تباعا ، ولم يتوقف المطر .

فترت رغبتى فى الكلام ، وتقت أكثر أن أشاهد لوحاتى .

الى هذه الصورة هناك ، يرنو الآن بصرى . صبى إلى جوار نافورة رقد . وياله من صبى مليح ، ويالها من رائعة تلك الظهيرة التى احتوته فى اغفاءته .

اجلس ، وأتأمل ساعات طوالا هذه اللوحة .

وها أنا بالفن ذاته أستريح ، وأعود فأتخفف من عنائه .

(٥٣)

ذات ليلة

كانت الغرفة فقيرة رخيصة ، منزوية فى الخفاء فوق الحانة المشبوهة .

من النافذة ، بامكانك أن ترى الزقاق ، قذرا ، ضيقاً . ومن أسفل ، تفد أصوات عمال يلهون ، ويلعبون الورق ،

وهناك على السرير المألوف المتواضع ، احتويت الحب جسدا فى أحضانى ،

ورشفت من شفاه حسية حمراء خمر الهوى .

ومن فرط نشوتى بتلك الشفاه المتوقدة ، لا زلت وأنا أكتب الآن ، وحيدا فى

بيتى ، بعد العديد من السنين التى مضت ، أعود اليها من جديد ، فأنتشى .

(٥٤)

معركة مغنيسيا

فقد اندفاعه اليوم ، زايلته الجسارة التى كانت له . مجهد جسده الآن ، وعلى شفا المرض .

منذ اليوم ، سيعنى ، فى المقام الأول ، بصحته ، سوف ينفض عن كاهله الهموم ، ويقضى ، خلى البال ، ما بقى من أيام حياته .

هذا على أى حال ، ما يقوله فيليب ، الملك المقدونى .

يلعب النرد هذه الليلة ، ويطلب التسلية .

على المائدة ، ضعوا ورداً كثيرا ، فماذا لو كان انتيوخس الملك السورى فى مغنيسيا قدانهزم ؟ يقولون ان جزءا كبيرا من جيشه سحق . ربما كانوا يبالغون فى ذلك قليلا ، فليس بالإمكان أن يكون ذلك كله صحيحا . ولنتأمل فى ذلك ، فهم وان كانوا غير مواليـن لنـا ، ينتمون الى شعبنا . وعلى أي حال ، فان نقول « لنتأمل فى ذلك » فيه الكفاية ، بل وربما كان فى ذلك أكثر من الكفاية .

بالطبع ، لن يؤجل فيليب الاحتفال .

فمهما كان قد أمضى من حياة قاسية ، الا أنه أحتفظ بشىء طيب ، ذاكرة صاحية . وهو يذكر كيف اكتفى أهل سوريا بالبكاء ، عندما لقيت مقدونية الوطن الأم فى الحرب من قبل شر هزيمة ، وتحطمت .

« الى العشاء ، ايها العبيد . أضيئوا الثريات . واعزفوا الموسيقى » .

(٥٥)

عمانوئيل كومنينوس

ذات يوم كئيب فى سبتمبر ، أحس عمانوئيل كومنينوس الملك المبجل ، بأنه على شفا الموت .

أخذ فلكيو البلاط (من ذوى الأجور المدفوعة) يتشدقون ، رغم ذلك ، بأنه سيحيا سنين أخرى عديدة . وبينما كانوا فى زعمهم هذا سادرين ، تذكر الملك المبجل عادات تدين قديمة .

أمر أن يحضروا له من قلايات النساك ملابس كنسية ، ارتداها ، وقر قلبه بها ، فقد بدأ مثل قس خاشع ، أو راهب وقور .

سعداء كل من يؤمنون ،

ومثل عمانوئيل كومنينوس الملك المبجل ، يختمون حياتهم فى مسوح الايمان المهيبة .

(٥٦)

أوجه استياء الملك السورى

استاء ديمتريوس ، الملك السورى ، عندما بلغه ان احد الملوك البطالسة وصل الى روما فى حالة يرثى لها ، سائرا على قدميه ، رث الثياب ، وغير مصطحب من الخدم سوى أربعة .

سوف تضحى الأسرة المالكة بأسرها لأجل هذا ، مضغة للأفواه فى روما ، ومثارا لسخرية لا ينضب هناك معينها . يعرف الملك السورى جيدا انهم جميعا أصبحوا خداما للرومان ، ورهن اشارتهم ، يخلعونهم عن عروشهم حينما يحلو لهم . هذا يعرفه أيضاً .

ولكن ، من حيث المظهر ، يجب الحفاظ على أى حال ، بقدر من عزة النفس والأبهة . لا يجب أن ينسوا أنهم لا زالوا ملوكا ، أو على الأقل ، لا زالوا يدعون ملوكا .

هذا ما استثار ديمتريوس الملك السورى . وأمر فى الحال أن يمنح البطلسى أردية ارجوانية ، وتاجا فاخرا ، وبعض الجواهر الغالية ، وعددا من المرافقين والاتباع . كما أمر بمنحه أثمن الجياد من حظائره ، وذلك كله كى يظهر هذا اليونانى فى روما بالمظهر اللائق بملك سكندرى .

ولكن حفيد لاجوس ، الذى جاء الى روما يستجدى ، كان يعرف ما الذى يجب ان يفعله ، ورفض ذلك كله ، فما كان على الاطلاق بحاجة هناك الى أسباب الترف هذه .

متواضعا ، جاء الى روما ، مرتديا رث الثياب . وفى بيت أحد صغار الحرفيين أقام . راح يقول للناس ان الدهر أخنى عليه ، وأمام مجلس الشيوخ ادعى الفقر وشكا منه . وذلك كله ، كى يتوصل بالاستجداء الى ماهو أكثر بكثير مما أراده له الملك السورى .

(٥٧)

فى الطريق

يكسو وجهه الجذاب شحوب ، وفى عينيه بلون الكستناء ترتعش النظرات . هو فى الخامسة والعشرين من عمره ، وان كان يبدو فى العشرين ، فنان الى حد ما فى ملبسه . يبين ذلك من شكل ياقته ، ومن لمسة اللون فى رباط العنق .

يذرع الطريق ، بلا هدف ، كما لو كان من المتعة الجسور لا زال منوما . ويالها من جسور تلك المتعة التى حظى بها .

(٥٨)

عندما تتقلب

تشبث بها ، واحتفظ ، أيها الشاعر ،

مهما كان قليلا ما يبقى منها .

احتفظ برؤى حبك

سربلها فى أبيات حبك

لذ بها ، أيها الشاعر ،

عندما تتقلب بالليل فى رقادك

أو يصحو عقلك فى وهج الظهيرة .

(٥٩)

أمام تمثال انذيميون

فى عربة ناصعة البياض ، يجرها أربعة بغال بيضاء ، موشاة بزخارف من الفضة ، وصلت الى لاتموس ، قادما من ميليتوس . وكنت من قبل قد أبحرت من الاسكندرية على سفين ، أرجوانى ، سداسى المجاديف .

جئت لتقديم القرابين ، وأداء الفروض المقدسة ، تكريما لانذيميون ، وذكراه المباركة .

وأنى لأرنو الى التمثال ، ها هنا ، منبهرا بالوسامة التى اشتهر انذيميون بها .

ينثر عبيدى ، أمام طلعته البهية زهر الياسمين ، ويفرغون من السلال عطايا خفية الدلالات ، توقظ فى القلوب ما مضى من متع السنين .

(٦٠)

رماديتان

بينما أنظر الى حجر كريم أشهب ، تذكرت عينين جميلتين بلون الرماد ، لعلنى رأيتهما منذ ما يقرب من عشرين عاما مضت .

تبادلنا الحب شهرا ، ثم رحل الحبيب . الى أزمير ، فيما أظن ، رحل ، للعمل هناك . ولم نلتق مرة أخرى ، بعد ذلك .

العينان الرماديتان – لو كان الحبيب لا يزال على قيد

الحياة – فقدتا ما كان لهما من جمال . ولابد أن الوجه الوسيم بدوره قد علته التجاعيد .

فيا أيتها الذاكرة ، احتفظى بهما ، على ما كانتا عليه .

ويا أيتها الذاكرة ، أيا ما كان بامكانك ان تفعليه ، استرجعى الليلة ، كل ما بامكانك ، من حبى القديم ، أن تسترجعيه .

(٦١)

فى مدينة أسروين

على أثر مشاجرة فى الحانة ، أحضروه مصاباً ،

أحضروا صديقنا ريمون ، قرب منتصف الليل ، أمس .

تركنا النوافذ مفتوحة ،

فأضاء القمر جسده الجميل ، المسجى على السرير .

كنا فرسا ، وسوريين ، ويونانيين ، وأرمن . كلنا هكذا مخلطون ، وبالمثل كان ريمون . ولكن عندما رأينا وجهه الحبيب يشع ، ليلة أمس ، فى ضياء القمر ، سرح بالنا عائدا الى الشاب خارميذيس الأفلاطونى .

(٦٢)

واحد من آلهتهم

عندما كان يمر ، قبيل هبوط الليل ، من أسواق سورية ، كان المارة ينظرون اليه ، ويسأل كل منهم الآخر عمن يكون هذا الشاب سامق القامة ، الذى ضمخ شعره الاسود بالعطور ، وبلغت وسامته حد الكمال والجسامة . من يكون هذا الشاب الذى أمتلأت عيناه بفرحة الاحساس بديمومة الشباب .

يسأل كل منهم الآخر عما اذا كان يعرفه ، وعما اذا كان يونانيا من سوريا أو أجنبياً وافداً الى البلاد . ولكن البعض ممن كانوا أعمق وعياً بالأمور ، وأكثر حصافة ، كانوا يفهمون فيتنحون على الفور مفسحين له الطريق .

وبينما كان يختفى تحت البواكى ، فى خضم ظلال المساء وأنواره ، متجها الى الحى الذى لا يحيا الا بالليل ، فى أحضان اللهو والرزيلة ، وكل أنواع المجون والدعارة ، كان يؤرقهم التفكير فيمن يكون حقا عابر السبيل هذا ، ولأى متعة من متعه المريبة نزل الى شوارع سورية ، من الديار المقدسة للأبدية .

(٦٣)

قبر ياسيس

هنا أرقد ، أنا ياسيس ، الشاب الذى عرف فى هذه المدينة الكبيرة ، بوسامته .

أعجب بى الحكماء ذوو العلم ، كما أعجب بى العامة وبسطاء القوم . وكنت لاعجاب هؤلاء وهؤلاء أطرب .

ولكن من فرط ما طولبت بأن أكون نركيسوس وهرميس ، أرهقت . أضاعونى . قتلونى .

يا أيها المسافر ، ان كنت سكندريا فلن تلومنى . أنت تعرف حمية حياتنا هنا . تعرف تأجج العواطف ، وما أكثر ما نتعرض له من الشهوات والمتع الجامحة .

(٦٤)

مرور عابر

تلك الصبوات التى عندما كان تلميذا حلم على استحياء بها ، انكشف أمامه سبيلها ، وانفضح له المستور منها . يدور يعربد ، يقضى لياليه فى السهرات ، والى المواخير انجرف ، وانحرف .

واذ يشعر بالدماء دافئة فى عروقه (وهو من متطلبات فننا) يسلم قياده للملذات ، وتستبد بجسمه نشوة لا يردعها عقاب ، وترضخ لسلطانها كل جوارحه النابضة بعنفوان الشباب .

وهكذا يصبح مجرد الصبى العادى ملفتا وهلة لأنظارنا . وبمملكة الشعر عالية المقام يمر أيضا مرورا عابرا ، ذلك الصبى العاطفى ذو الدماء الجديدة الدافئة .

(٦٥)

عند الغروب

لم تكن الأمور ستدوم طويلاً . خبرة السنين تنبئنى بذلك . ولكن القدر أسرع على أى حال ، وجاء قبل الأوان بالنهاية .

كانت الساعات الحلوة قصارا ، ولكن كم كانت العطور

نفاذة ، والمضاجع فاخرة ، والشهوات التى أسلمنا لها جسدينا قهارة .

أصداء من أيام المتعة جائتنى ، شذرات من خبرات الشباب .

أخذت من جديد بين يدى خطابا ، ورحت أقرأ وأقرأ حتى انطفأت الضياء فى عينى .

وخرجت الى الشرفة أسيفاً -

خرجت راجياً أن تسرى عنى حركة الشوارع والحوانيت ، ولم أر من مشاهدها الا قليلا .

(٦٦)

عن أمونيس ، الذى مات فى التاسعة والعشرين من عمره عام ٦١٠

مطلوب منك ، يا روفائيل ان تكتب بعض الأبيات ، لتوضع على قبر الشاعر أمونيس .

أنظم شيئا مهذبا رفيع الذوق .

يمكنك أن تفعل ذلك . بل وليس من هو أقدر منك على ابداع ما يليق بمقام أمونيس ، الشاعر الذى كان منا .

بالطبع ، سوف تتحدث عن قصائده ، ولكن أرجوك ألا تفوتك الاشارة أيضا الى وسامته ، تلك الوسامة الرهيفة التى كنا نحبها .

لغتك اليونانية على الدوام ذات انسجام ونغم ، ولكننا نطمع الآن فى مزيد من صنعتك المتمكنة ،

فنحن نريد بلغة غير لغتنا أن نترجم أحزاننا وحبنا .

اسكب اذن احساسك المصرى فى اللغة الأجنبية المستخدمة .

ولست بحاجة ، ياروفائيل أن أنبهك الى أن تكتب أبياتك ، بحيث تتضمن فى ثناياها شيئا من حياتنا ، فينم الايقاع ، وتفصح العبارة عن أن سكندريا يكتب عن سكندرى .

(٦٧)

فى شهر هاتور

أقرأ بصعوبة نقشا على الحجر القديم :

« يا س(يد)ى المسيح » ، وأكمل الأحرف الناقصة ، فأتبين كلمة « ر (و) ح » ثم عبارة «فى ش(هـ)ر هاتور ، رقد ليفكيو(س)» وفى موضع ذكر العمر أقرأ « عاش إلى سن ٠٠ » ثم حرفان يشيران الى أنه رقد شابا فى مقتبل العمر .

وفى موضع مطموس أتبين « أنه ... سكندرى » .

ثم تجئ ثلاثة سطور مشوهة أشد التشويه – وان استطعت أن التقط منها على أى حال كلمات قلائل مثل « دمو(ع)نا » و « أحزان » ثم « دموع » من جديد ، و « الحسرة لنا ، نحن أصدقاؤه » ولهذا ، فاننى أعتقد أن ليفكيوس ، لابد كان محبوبا أشد الحب .

فى شهر هاتور رقد ليفكيوس رقاد الموت .

(٦٨)

قبر اغناتيوس

لست هنا كليون الذى ذاع صيته

بالاسكندرية (حيث يصعب أن ينبهر أحد بشئ)

لبيوتى الفخمة ،

لبساتينى ، وجيادى ، وعرباتى ،

ولما اعتدت أن أرتديه من جواهر وحرير .

لست هنا كليون . كليون ذلك انتهى ،

وانمحت سنوات عمره الثمانية والعشرون .

أنا اغناتيوس ، قارئ الاناجيل ، الذى ثاب الى رشده متأخرا ، ولكنى عشت على أى حال ، عشرة شهور ، أنعم بالسكينة ، والايمان الراسخ بالمسيح .

(٦٩)

من فرط ما تأملت

من فرط ما تأملت الجمال انتشت به عيناى

أجساد بديعة التكوين ، مشتهاة ، شفاه حمراء ،

خصلات شعر كما لو كانت لتماثيل اغريقية متهدلة وعلى

الدوام جميلة ، تسقط على الجباه البيضاء مائلة قليلا .

وجوه التقيت بها سرا ، فى ليالى الشباب ،

وجوه للحب ، كما أرادها شعرى .

(٧٠)

أيام ١٩٠٣

لم أجدها مرة أخرى . ضاعت منى بسرعة . العينان الشاعرتان ، والوجه الشاحب .. فى ظلمة المساء المخيمة على الطريق .

لم أجدها مرة أخرى – تلك التى ظفرت بها صدفة ، وأعرضت عنها غير مكترث ، ثم عدت أطلبها بلهفة . العينان الشاعرتان ، والوجه الشاحب ، وتلك الشفتان – لم أجدها مرة أخرى .

(٧١)

عند دكان السجائر

وقفا ضمن كثيرين ، بالقرب من باب دكان بيع السجائر . فى ضوء الدكان التقت نظراتهما مصادفة . ثم بحياء ، عبر كل منهما للأخر على عجل ، عن توقه الى اختلاس متعة للجسد ، وليس بذى بال ان تكون غير مشروعة .

وفى الشارع ، سارا ، خطوات مرتبكة ، الى أن أبتسما بعد قليل ، وأومأ كل منهما ايماءة خفيفة لصاحبه .

وبعد ذلك ، فى العربة التى ضمتهما ، تحقق احساس الجسد بملامسة الجسد .

اليدان تشابكتا ، والشفاه التقت .

(٧٢)

المتعة

بهجتى ومنتهى حياتى ، ذكريات ساعاتى

التى لقيت فيها متعتى ، وبها احتفظت قدر مشيئتى .

هى لى بهجتى ومنتهى حياتى ، انا الذى

أعرضت فى متعة الحب عن كل رتابة .

(٧٣)

قيصرون

من ناحية ، كى احقق عصرا

ومن ناحية أخرى ، كى اقضى وقتا .

أخذت ليلة أمس مجلدا

مصورا رحت أتصحفه .

الاطراءات ذاتها ، والمداهنات الفياضة

على الجميع تغدق متشابهة . الجميع لامعون

مجيدون ، أقوياء ، أهل بر وكرامات

وكل مشاريعهم من الحكمة آيات

فاذا جرى الحديث عن النساء ، فهؤلاء

كلهن برنيس وكليوبترا ، رائعات .

عندما تحققت من العصر وتيقنت

هممت أن أترك الكتاب ، لولا اشارة قصيرة

عابرة عن قيصرون الملك الصغير

لم تسترع من قبل انتباهى ..

آه ، ها أنت قد بعثت الى سحرك

الغامض تغرينى . فى التاريخ عنك بضعة سطور

فحسب .

ولهذا ، خلقتك فى خاطرى بحرية أكبر .

خلقتك وسيما ، رقيق العاطفة ،

واكتسى وجهك من فنى حسنا حالما محببا .

ومن شدة وضوحك فى خيالى

لحت لى ليلة أمس فى ساعة متأخرة

عندما انطفأ مصباحى - وقد تركته ينطفئ عامدا -

تدخل غرفتى .

بدا لى أنك وقفت أمامى

كما لو كنت فى الاسكندرية المغلوبة على أمرها .

شاحبا ، متعبا ، وفى حزنك متفردا ،

لا زلت آملا أن يشفق عليك

الأشقياء الذين كانوا باسمك يتهامسون .

(٧٤)

فى مدينة ساحلية

على ظهر سفين غير معروف الهوية ، وصل ايميس الى هذا المرسى السورى . كان شابا فى الثامنة والعشرين ، وجاء يتمرس على تجارة العطور .

أثناء الرحلة مرض . وما أن نزل الى البر حتى ادركته المنية . شيع جثمانه فى جناز فقير ، ودفن مجهولا هنا .

وقبل مماته بسويعات ، تمتمت شفتاه ببعض الكلمات عن « دار » وعن « أقرباء مسنين » لكن لم يعرف أحد من كان أهله ، ولا عرف أين كان بلده ، فى هذه الديار اليونانية المترامية الارجاء .

هذا أفضل ، على أي حال ، لأنه وهو يرقد فى هذه المدينة الساحلية ، ميتا ، سوف يظل أقرباؤه يأملون دوما أنه لا زال حيا بين الأحياء .

(٧٥)

أيها الجسد ، تذكر

أيها الجسد تذكر مراقد المتعة ، وكم كنت محبوباً . بل تذكر أيضاً الرغبات التى توهجت فى العيون التى لم تقو على كبتها عندما رآتك ، وارتعاشة الأصوات تحت وطأة تلك الرغبات ، التى ما أحبطت الا لغير المتوقع من عقبات .

والآن ، وقد أضحى كل ذلك فى عداد الماضى ، أكاد أقول إنك أنت أيضاً أيها الجسد المشتهي إستسلمت لتلك الرغبات .

تذكر ، كم توهجت العيون التى رآتك . تذكر ، أيها الجسد ، الرعشة أيضاً فى الاصوات .

(٧٦)

قبر لانيس

ان لانيس الذى أحببته ليس هنا ، يا ماركوس . ليس فى هذا القبر ، هنا ، حيث تأتى ، وتبقى الساعات تلو الساعات تبكى .

انما لانيس الذى أحببته كل هذا الحب ، ستجده فى موضع آخر أكثر قربا منك .

ستجده هناك ، فى بيتك ، عندما تخلو الى نفسك ، وتطيل النظر الى صورته .

الصورة التى احتفظت ، على نحو ما ، بأغلى ما عنده ،

الصورة التى احتفظت، على نحو ما ، بكل ما جعلك تحبه .

أتذكر ، يا ماركوس ، عندما استحضرت من قصر نائب

القنصل ، ذلك المصور الذائع الصيت من كيرينيا ،

بأى براعة فى الفن ، وبأى صنعة ، أراد أن يقنعك ، أن الاجدر تماماً ، أن يصوره على هيئة يكينثوس ، بمقولة أن لوحته على هذا النحو سيقدر لها مزيد من ذيوع الصيت والشهرة فسوف يكثر الكلام ، بالطبع ، عن لوحته لو على هذا النحو رسمت)

ولكن صفيك لانيس لا يرضى أن يعير وسامته لأحد ، هكذا ، وبكل حزم ، رفض ، مبديا معارضة حامية . فهو لن يبدو فى هذه اللوحة على أنه يكينثوس ، ولا غيره ، بل ان الذى سيصور هنا ، سيكون حتما لانيس بشخصه .

(لانيس راميتوخوس ، واحد من أبناء الاسكندرية)

(٧٧)

نهاية نيرون

لم ينزعج نيرون عندما سمع

فى ديلفى نبوءة العراف تقول :

« عليك أن تخشى الثالثة والثمانين »

انه فى الثلاثين ، والمهلة التى منحتها له الآلهة

مديدة ، فلا داعى أن يشغل باله منذ الآن بما يدخره له الغد من أخطار السنين .

سيعود الآن الى روما ، مجهدا بعض الشئ ،

ولكنه مجهد بنفائس رحلته ،

التى كانت أيام متعة كلها -

فى المسارح ، فى الحدائق ، فى الملاعب ، مقضاة .

وآه ، على الأخص ، من متع الأجساد العارية

بالأمسيات فى مدينة أخياس .

كان هذا شأن نيرون . وفى أسبانيا راح غالفاس

يجمع جيشه ويدربه -

غالفاس ، ذلك العجوز الذى كان فى الثالثة والثمانين من العمر .

(٧٨)

المنضدة المجاورة

لابد أنه ، على الأكثر ، فى الثانية والعشرين من عمره . ومع ذلك ، فاننى على يقين من اننى ، منذ بضع سنوات خلت ، كنت بهذا الجسد ذاته قد استمعت .

ليس ما استبد بى سورة شهوة قط . وما كنت جئت المنتدى الا منذ بضع دقائق ، فلم يكن وقتى اتسع كى أفرط فى الشراب بعد . كنت بهذا الجسد ذاته قد استمتعت .

واذا كنت لا أذكر أين ، فان غياب هذه الجزئية لا يعنى شيئاً .

والآن ، ها أنا ذا ، وهو جالس الى المنضدة المجاورة ،

أعرف كل حركة يأتى بها ، وتحت ثيابه ، أعود ، فأرى الأطراف الحبيبة ، عارية .

(٧٩)

المغزى

سنوات شبابى ، طلبى للمتعة ، يتضح الآن مغزاها .

كم كانت انشغالاتى فانية تثير الندم ، وما كنت أدرى آنذاك مغزاها .

من مجون شبابى تشكلت مقاصد شعرى ، وارتسمت لفنى مجالاته .

لهذا فان ندمى لم يكن على الاطلاق قاطعاً ، وما كانت قراراتى بأن أغير من نفسى تدوم سوى أسبوعين على الأكثر .

(٨٠)

رسل من الاسكندرية

منذ دهور ، لم ير أهل دلفى هدايا مثل هذه المرسلة من أخويهم الملكين البطلميين المرموقين .

على أن كاهنات معبد دلفى ، بعد أن تلقين الهدايا ، انتابهن القلق ، عما سيطلب منهن تقديمه مقابل هذه الهدايا القيمة . وقد استخدمن حنكتهن كلها ليقررن من من الأثنين ، من ذينك الأثنين ، ستصدر النبوءة فى غير صالحه ، ومن ثم يجب ان يتقى غضبه .

رحن يتداولن بالليل سرا ، يتداولن فى شئون الملكين الأسرية .

ولكن الرسل سلموا الهدايا ، والى الاسكندرية عادوا ،

هكذا يقولون ، دون أن يطلبوا أى مقابل من أحد .

وسمعت الكاهنات بذلك ، وفرحن (لأن هذا يعنى أنهن سيحتفظن بالهدايا الثمينة ، دون إعطاء نبوءة) ولكنهن على أى حال دهشن أشد الدهشة ، فهن لا يدركن ماذا يعنى عدم الاكتراث المفاجئ هذا .

أنهن يجهلن أن أنباء جساما وفدت بالأمس الى الرسل . ففى روما أدلى بالنبوءة ، وحسم الأمر الذى كان الرسل من أجله قد جاءوا بهداياهم يخطبون الود .

(٨١)

منذ التاسعة

الثانية عشرة والنصف . مضى الوقت سريعا منذ ان أوقدت المصباح فى التاسعة وجلست هنا . جلست دون أن أقرأ ودون أن أتكلم ، ومع من أتكلم وحيدا فى هذا البيت .

منذ ان أوقدت المصباح فى التاسعة جاءنى طيف جسدى فى شبابه وذكرنى بغرف مغلقة تفوح منها العطور ، وبمتع غابرة – وكم كانت متعا جسور ! كما مثلت أمام عينى شوارع لم تعد معروفة ، ودور للهو اندثرت وكانت حافلة بالحركة ، ومسارح ومقاه كان لها وجود ذات يوم .

جاءنى طيف جسدى فى شبابه وذكرنى بالأحزان أيضاً .. بالفراق وبحداد الأسرة على من مات من أفرادها .. بأحاسيس ذوى ، وأحاسيس موتاى ولم أقدرها من قبل حق التقدير .

الثانية عشر والنصف . كيف مضى الوقت سريعا .

الثانية عشر والنصف . كيف مضت السنون وولت .

(٨٢)

أريستوفولوس

يبكى القصر ، ويبكى الملك أيضا ،

الملك هرودس مقيم على أحزانه ، ولا يتعزى .

المدينة بأسرها تبكى اريستوفولوس الذى مات ميتة لا يستحقها . غرق فجأة ، بينما كان فى الماء يلعب مع أقرانه .

وعندما سيُسمع عن هذا فى سورية ، وفى سائر الأنحاء تسرى الأنباء ، سوف يحزن كثيرون من أهل اليونان ، شعراء ومثالون ستدركهم الأشجان ، لأن اريستوفولوس أصبح معروفاً لديهم ، فاق حسن هذا الغلام كل صورة يمكن فى الخيال ان تكون عليه وسامة الشباب .

كيف بلغ مآربه ! أي مؤامرة جهنمية تلك التى لم تدر حتى ماريامنى بها ! ولو كانت ماريامنى قد اشتمت أو لاحظت شيئا مما دبروا ، لوجدت سبيلا لانقاذ أخيها ، فهى فى النهاية ملكة ، وكان بامكانها أن تفعل شيئاً .

يالنشوة الانتصار ، ومشاعر السعادة التى ستغمر كلا من كيبروس وسالومى فى الخفاء ، هاتين المرأتين الوضيعتين ، هاتين المرأتين السافلتين ، كيبروس وسالومى .

وهى مغلوبة على أمرها ، ستتظاهر أنها تصدق أكاذيبهما

ولن تكون بقادرة أن تخرج الى الناس رغم أنفها .

وما من اله فى سورية حظى بتمثال فى بهاء هذا الفتى من فتيان بنى اسرائيل .

تبكى وتنوح كبيرة الأميرات ، أمه ، سيدة السيدات اليهوديات ، تبكى اليكسندرا وتنوح لهول المصاب ،

لكنها عندما تختلى بنفسها تتبدل لواعجها . تئن وتصرخ وتكيل السباب واللعنات .

كيف تآمروا عليها ! كيف خدعوها ! كيف أمكنهم فى النهاية أن ينفذوا ما دبروا ! خراب صار بيت الاساموني، خراب !

كيف بلغ الملك الشرير مآربه ، الملك الخائن ، الآثم ، الوضيع .

تخرج لتنادى اليهود بأعلى صوتها ، وتقول لهم ، تقول أن فى الأمر جريمة .

(٨٣)

تحت البيت

قادتنى قدماى بالأمس الى ضاحية نائية .

مررت بالبيت الذى كنت فى شبابى ، أتردد عليه ،

وأترك جسدى هناك ينصاع لسلطان الهوى .

وبالأمس ، عندما كنت أسير فى الشارع القديم ،

دب الجمال بسحر الحب فجأة ، فى كل شئ ،

فى الدكاكين والأرصفة ، فى الحجارة ، فى الحيطان والشرفات والنوافذ ، وزالت عن أرجاء المكان كل دمامة .

وبينما أقف تحت البيت ، أرنو الى الباب

مترددا فى الإنصراف متلكئا ،

فاض كيانى كله بما اختزنه من لواعج العشق الذى مضى .

(٨٤)

ايميليانوس موناثى ، السكندرى

٦٢٨ - ٦٥٥ ميلادية

بكلام وتظاهر ، وأحابيل ، سأصنع لنفسي درعا فائقا ، أواجه به الأشرار دون أن ينتابنى منهم خوف أو خوار .

سيريدون الاضرار بى ، ولكن ما من أحد يقربنى سيعرف أين تكمن جراحى ، وأين نقاط الضعف فى ، تحت درع الخداع الذى أرتديه .

بهذا راح ايميليانوس موناثى يتفاخر . ترى هل صنع هذا الدرع لنفسه حقا ، واحتمى به ؟ انه لم يرتده طويلاً ، على اي حال ، ففى السابعة والعشرين من عمره أدركته المنية فى صقلية .

(٨٥)

عن اليهود

٥٠ ميلادية

يانثيس أنطونيوس ، من أسرة على صلات وثيقة بمجمع اليهود ، شاعر ، ورسام ، وعداء ، ورام للقرص ،

وفي وسامة انذيميون .

«ان أغلى أيامى هى تلك التى أعرض فيها عن متع الحس ، واتحل من الالتزام بصرامة الجماليات الاغريقية ، بفيض ولائها الفاسق للبشرة البضة والشكل المتقن للجسم .

وأصبح ما سوف كنت أريد أن أكون حقا ، أن أبقى على الدوام إبنا لليهود الصالحين » .

وياله من اعلان متحمس فيه ، اذ يقول « ... أن أبقى على الدوام ابنا لليهود الصالحين » فهو لم يقو على البقاء كذلك ، بل أن املاءات الفن والجمال الحسى المسيطرة على الاسكندرية ، أبقته لها ، لها هى ، ابنا وفيا » .

(٨٦)

جاءت لتستقر

لابد أنها كانت الواحدة ، أو الواحدة والنصف ، صباحا ،

فى ركن من الحانة ، وراء ساتر خشبى .

كان المكان خاليا فيما عدانا . ولا يضيئه سوى مصباح غازى خافت ، وعند الباب ، راح الساقى فى النوم من عناء

السهر .

ما من أحد بامكانه أن يرانا ، ولكن الشوق فينا ،

كان قد وصل أيضا الى الدرك الذى لا ينفع فيه الحذر .

لم نكن نرتدى ثيابا كثيرة ، ولا كانت ثيابنا محكمة الأزرار ، فقد كان شهر يوليه يلفحنا بقيظه المبارك .

ذكرى متعة جسد عابرة ، من ثنايا ثياب غير محكمة ، وعناق على غير انتظار - ذكرى عبرت ستة وعشرين عاما ، وجاءت الى هذه القصيدة لتستقر الآن فيها .

(٨٧)

ايمينوس

« ... بل ان الذى يجب أن يبتغى فضلا عن ذلك ، هو المتعة التى تستبد بالجسد حتى لتنحرف به الى حد المرض ، حيث لا يجد ذلك الجسد الا نادرا الجسد الذى يتلاقى معه فى المرتجى - ولكن تلك المتعة المرضة توفر على أى حال من ممارسات الحب ما ليس بامكان الأسوياء أن يعرفه » .

(هذه فقرات من خطاب للشاب ايمنوس ، وهو سليل أسرة رومانية نبيلة ، اشتهر بالانحلال فى سيراقوسة فى العهد المنحل لميخائيل الثالث) .

(٨٨)

على ظهر سفين

تشبهه بطبيعة الحال الصورة الصغيرة المرسومة له بالقلم .

انجزت على عجل . كنا على ظهر سفين ، ذات أمسية ساحرة ، والبحر الأيونى مترامى الأطراف يمتد حولنا .

تشبهه ، لكنــى أذكره على أى حــال أكثر وسامة من صورته .

كــان عاطفيا الى حد المرض . فيشع هذا ضياء على قسماته .

الآن ، وروحى تستحضر ذكراه عبر الزمن يبدو لى أكثر وسامة .

وعبر الزمن أضحت هذه الأشياء أيضا ..

الصورة والسفين ، والامسية ..

بالغة القدم .

(٨٩)

عن ديمتريوس سوتيروس

(١٦٢ - ١٥٠ قبل الميلاد)

خاب أمله فى كل ما يرجوه .

كثيرا ما تخيل نفسه ينجز أعمالا جساما ، تنهى الذل الذى ذاقته بلاده ، منذ معركة الهزيمة .

تخيل نفسه ، وقد أعاد سوريا من جديد دولة ذات نفوذ ، بجيوشها ، وأساطيلها ، وثرواتها ، وقلاعها الضخام .

وقد عانى فى روما كثيرا ، وذاق كؤوس المرارة ، كلما لمس فى أحاديث الندامى ، رغم أدبهم الجم ، وبالغ رقتهم نحوه ، اذ كان شابا من أسرة كبيرة ، ابنا للملك السورى فيلوباتور - كلما لمس ، رغم هذا ، شعورا خفيا بالاحتقار للأسر المالكة اليونانية على الدوام ، يؤكدون أن دولتها دالت ، وما عاد ملوكها صالحين لشئ جاد ، بل صاروا حتى عن الأمساك بمقاليد الحكم عاجزين .

كان ينسحب من صحبتهم ، مستاء ، مؤكدا لنفسه ان الأمور ليست بالقطع على ما يصورنها . وكيف لا ، اليس هو ممتلئا بالعزيمة ؟ سوف ينشط اذن ، سوف يحارب ، وسوف يعيد الأمور من جديد الى نصابها .. فقط ، لو أمكنه أن يجد طريقاً للوصول الى المشرق .. لو استطاع فقط أن يدبر وسيلة للهرب من إيطاليا هذه .

وحينذاك ، فان كل هذه القوة المتأججة بداخله ، كل هذه الطاقة ، سوف ينقلها الى شعبه ، ويبثها فيه .

لو تواجد فقط فى سوريا !

كان صغيرا عندما غادر وطنه ، ولايكاد يذكر كيف يبدو ذلك الوطن . ولكنه لم يكف عن التفكير فيه ، وكأنه شئ مقدس تقترب منه باجلال وخشوع ، وطن جميل ، مدائن وموان يونانية .... أما الآن ، فياللتعاسة ، يا للآسى .

ان الشباب فى روما على حق ، لم تكن تلك الممالك التى شيدها المقدونيون هناك بعد الفتح لتدوم . ما عاد هذا بالأمر المهم ، وانما المهم انه صمد وجاهد . وفى خضم شعوره الأسود

بالإحباط ما عاد يعتز الا بشئ واحد ، فرغم كل الأخفاق المخيم حوله ، لا زالت شجاعته ، لا تلين .

أما ماعدا ذلك ، فأوهام ، أضغاث أحلام ، بل أن سوريا ذاتها لتبدو وكأنها ماعادت وطنه .. هى ليست سوى وطن للأفاقين اللئام .

(٩٠)

شمس الأصيل

هذه الغرفة ، كم أعرفها . تؤجر الآن ، هى والغرف المجاورة ، مكاتب تجارية . البيت كله أضحى محال سماسرة ، وتجار ، ومقرا لبعض الشركات .

آه ، هذه الغرفة ، كم هى مألوفة .

بجوار الباب ، هنا ، كانت الأريكة ، وأمامها سجادة تركية .. قريبا من الرف ذى الانائين الاصفرين .

الى اليمين ، كلا بل فى المواجهة ، دولاب بمرآة . فى الوسط ، المنضدة التى كان يجلس اليها ويكتب ، وكراسى الخيزران الثلاثة الكبيرة .

بجوار النافذة ، كان السرير الذى تبادلنا عليه الحب مرارا .

لا زال لهذه الاشياء المسكينة ، ولا شك ، فى مكان ما وجود .

بجوار النافذة ، كان السرير .

كانت أشعة الشمس تدرك منتصفه فى الأصيل .

... الساعة الرابعة بعد الظهر افترقنا .

تواعدنا على اللقاء بعد أسبوع ، أسبوع لا أكثر .....

ولكن يا للقدر ، صار ذلك الاسبوع الدهر كله .

(٩١)

لو كان قد مات

« أين انسحب الحكيم ، أين اختفى ؟

بعد معجزاته الكثيرة ، وما لقيته من ذيوع الصيت تعاليمه التى انتشرت بين شعوب عديدة ، اختفى فجأة ، ولم يعد يعلم أحد علم اليقين ، ماذا حدث .

(ما من أحد رأى حتى قبرا له)

أذاع البعض أنه مات فى افسيوس ، ولكن ذاميس لم يدون هذا الأمر ، فعن موت ابولونيوس لم يكتب ذاميس شيئا .

آخرون قالوا أنه انمحى عن العيان فى ليندو ،

أو ربما كانت الحقيقة أقرب الى تلك الحكاية التى تروى عن صعوده فى كريت الى معبد دكتينيس القديم .

على أنه لدينا رغم ذلك تجليه الرائع ، الخارق للطبيعة ،

لدارس شاب فى تيانا .

على أنه ربما لم يحن الأوان بعد كى يعود ، فيظهر فى دنيا الناس من جديد .

أو ربما هو يجول بيننا فى هيئة أخرى ، فلا يتسنى لنا أن نتعرف عليه .

– ولكن هل سيتجلى بالهيئة التى كانت له من قبل ، يهدى الى الصواب ، وينشر تعاليم الحق ، ومن ثم ، ولا شك ، يعيد عبادة الآلهة التى آمنا بها ، والاحتفالات اليونانية البديعة ؟

هكذا ، راح يحلم يقظانا ، فى داره الفقيرة – .

على أثر قراءة ما كتبه فيلوستراقوس عن

« حياة ابولونيوس التيانى » –

هكذا راح يحلم يقظانا واحد من التراثيين القلائل ، بل ومن القلة القليلة التى بقيت منهم .

أما فيما عدا هذا ، فهو رجل نكرة وجبان . تظاهر باعتناق المسيحية ضمن من اعتنقوها ، وواظب على حضور القداديس .

وذلك فى العهد الذى جلس على العرش فيه يوستينوس العجوز ، وكانت الاسكندرية آنذاك فى منتهى الخشوع ، معرضة وجهها عن الوثنيين المبغضين .

(٩٢)

أناه كومنينوس

فى مقدمة سيرة أبيها اليكسيوس التى كتبتها

أناه كومنينوس تفيض حزنا على ترملها .

روحها في بوامة تائهة .

تقول « عيناى فى أنهار من الدموع غارقتان .. تبا للامواج » وعن روحها تقول « الحسرة متأججة النيران بالأعماق تحرق الكيان حتى النخاع » .

ولكن الأسى الوحيد الذى عرفته حقاً هذا المرأة الطموح ،

وتكاد تكون هذه حقيقة مؤكدة ، الأسى الوحيد القاتل ، الطعنة النجلاء التى لم تتلق غيرها

(على الرغم من أنها لا تعترف أبدا بذلك)

أنها لم تفلح ، رغم كل دهائها ،

فى الاستيلاء على المملكة ،

وقد استولى عليها ، بل ويكاد يكون من بين يديها اختطفها ، يوانيس ، ذلك السفيه الوقح .

(٩٣)

كى تأتى

شمعة واحدة تكفى . ضوؤها الخفيض أنسب للمقام .

سوف يكون ذلك مستحبا عندما تأتى ظلال الحب ، تأتى الظلال للمكان .

شمعة واحدة تكفى . الأفضل الليلة الا تكون الغرفة شديدة الضياء .

مستغرقا فى الحلم والخيالات ، وفى هذا الضوء الخافت الوديع ، سوف أكون مهيئا كى تأتى ظلال الحب ، كى تأتى للمكان .

(٩٤)

شبان سيذونوس (٤٠٠ ميلادية)

القى الممثل الذى أحضروه ليرفه عنهم بعض القصائد المختارة أيضاً .

كانت القاعة مفتوحة على الحديقة ، يفد منها شذى رقيق من زهور ، اختلط بأريج الفتيان ، فتيان سيذونوس الخمسة المضمخين بالعطور .

قرأت قصائد لميلياغروس وكريناغوراس وريانوس ، ولكن عندما شرع الممثل ينشد قائلا : « ان اسخيلوس أيوفورون الاثينى يرقد هنا » . ثم استطرد ، ولعله بالغ فى التركيز بعض الشئ على أبيات المرثية القائلة أنه حارب فى أحراش المارثون

ابان شبابه المتدفق حيوية ونضارة ، هب شاب غض الأهاب ، غيور من عشاق الأدب - هب واقفا وصاح :

« لا أحب هذه الأبيات . أرى فيها نكوصا عما يجب أن يقال . ومنك أيها الشاعر أرى تخاذلا . كان يجب أن تقصر القصيدة همها على صنعة الشعر . وأنت أهيب بك ، فكر فحسب فى صنعتك حتى ساعة محنتك ، ولو أودت بك .

هذه دعوتى ، وما اتوقعه منك . فلا يغربن عن فكرك ما فى التراجيديا من حجة تجادل حجة . ولست بحاجة أن أذكرك بما فى اغاميمنون أو بروميثوييوس أو كسندرا وأورست أو فى السبعة ضد طيبة من ساحر القول .

فلا تطرح ذلك جانبا ، وتكتفى بأن تكتب فى الشهادة عليك ، أنك حاربت بدورك فيما سلف ، مثل سائر الجند الذين اصطفوا لمحاربة ملك الفرس وقائده » .

(٩٥)

داريوس

الشاعر فيرنازيس يعمل فى الجزء الحاسم من ملحمته :

كيف استولى داريوس هيستاسبيس على مملكة الفرس (وعن داريوس هذا ينحدر مثريداتيس ، ملكنا العظيم ، الملقب ديونيسوس الآب العطوف).

ولكن الأمر يستدعى هنا ، جهدا من التفكير كبير :

فعلى فيرنازيس أن يحلل ما استحوذ على داريوس من

مشاعر . أكان ما استبد به خيلاء ، ونشوة انتصار ، أو ربما لم يكن هذا ولا ذاك ، بل مجرد ادراك لما فى الامجاد من زيف وخواء .

واستغرق الشاعر فى التأمل ،

الى أن جاء خادمه يقطع حبل الأفكار ، معلنا عليه الاخبار الجسام .

لقد بدأت الحرب مع الرومان ، وعبر الجزء الأكبر من جيوشنا الحدود .

الجم الشاعر ، ولزم الصمت ، يالها من كارثة !

هل يمكن لملكنا العظيم ، هل يمكن لميثريداتيس ، ديونيسوس الآب العطوف ، أن يعير الآن قصائد الشعر اليونانى أدنى أهتمام ؟ قصائد الشعر اليونانى - هل تتصور ذلك - فى خضم الحرب والمعارك !

انتاب فيرنازيس قلق وانزعاج - يالسوء الحظ !

يحدث ذلك ، فى اللحظة التى تملك فيها ناصية الشعر ، وسيطر على قصيدته ، وسوف يبرز بها حقا بين الشعراء ، ويسكت نقاده الحقودين ، ويخرس ألسنتهم الى غير رجعة .

ياله من احباط لكل مشاريعه . ياله من احباط !

ولو كان الأمر مجرد وقف لهذه المشاريع وارجاء لضؤل الأمر وهان .

ولكن هل يمكن أن نعتبر أنفسنا آمنين فى أميسوس ؟ ليست

هذه المدينة محكمة التحصينات ، والرومان أشد الأعداء ضراوة ، فهل من المعقول أن نصمد أمامهم ؟ لسنا نحن أهل كاباذوكية بأنداد لهم . وأنى لنا ان نتعادل بأسا مع فيالق الرومان ؟

يا أيتها الآلهة العظيمة ، حماة آسيا من كل عدوان ، ساعدينا ، ساعدينا الآن -

وبالرغم من كل شئ ، فى خضم المعاناة والاضطراب ، ظلت فكرة القصيدة تناوشه باصرار .

الأرجح أنها كانت الخيلاء ونشوة الأنتصار . لا بد أن داريوس حقا امتلأ خيلاء ونشوة انتصار .

(٩٦)

نبيل بيزنطى ينظم شعرا فى المنفى

السطحيون وحدهم هم الذين يتكلمون عن سطحيتى .

فأنا بكل ما هو جاد من الأمور كنت على الدوام منشغلا .

وانى على استعداد أن اؤكد ان ما من أحد أفضل معرفة منى بكل ما هو كنسى ، من قوانين ، وكهنوت ، ونصوص . وقد الف فوتانياتيس أن يستشيرنى ، وان يستشيرنى قبل كل الآخرين ، كلما أعيته فى أمور الكنيسة مشكلة .

أما الآن ، فانا مقصى هنا ، حيث تأكلنى الهموم .

(أملا أن تراجع ايرينى ذوكيانى ما أوقعت بى من عقاب) ولذلك فليس غريبا اذن ، أن أسلى نفسى بنظم بضعة أبيات من الشعر ، فى المنفى ،

أو أن أكتب ، اذا استهوانى ذلك ،

عن هيرميس ، وذيونيسوس ، وأبوللو ،

وعن أبطال من البوليبونيز أو ثيساليا - عن كل هؤلاء الاسطوريين ، حكايات .

وانى فما أنظم من مقطوعات ، التزم أكثر قوانين النظم صرامة ، بينما فى القسطنطينية - وليسمح لى أن أقول ذلك - لا يعرف رجال الأدب حتى كيف يكتبون .

ولعل هذا فى الغالب ما يوغر صدورهم ضدى ، فيعترضون على ما أكتب ، ويحظرون نشره .

(٩٧)

صفى اليكساندروس فالا

لا اكترث ان كانت قد انكسرت عجلة من مركبتى ،

وخسرت بذلك سباقا من أطرف السباقات .

بين أقداح النبيذ المعتق ، وباقات من الورد الجميل ، سأقضى الليل .

ان انطاكية كلها ملكى ،

وليس لشاب حظوة أكثر منى .

أنا بالنسبة لفالا نقطة ضعفه . هو يعبدنى .

سوف ترى ماذا سيحدث غدا . سوف يقولون ان السباق من أساسه خطأ (بل ولو كنت قليل الذوق ، وأمزت بذلك سراً) فسوف

يعلن ان مركبتى العرجاء هى التى فازت بالمكانة الأولى فى السباق .

(٩٨)

صنعت بالفن

أجلس ، وأحلم .

صنعت بالفن رغبات وعوطف ، أشيـاء منبهمة ، قامات ووجوه ، وذكريات غير مؤكدة عن حب لا نهائى .

فلأكرس اذن للفن حياتى .

يعرف كيف يجسم الجمال ، وبكل رهافة هو للحياة مكمل ، وللمشاعر منسق ،

وهو أيضاً خير مدبر للأيام .

(٩٩)

البدايــة

تحققت لهما المتعة المحرمة .

نهضـا ، دون أن ينطقا بكلمة ، تأهبا للانصراف ، على عجل .

تسللا من المنزل ، خارجين ، منفردين .

واذ يمضى كل منهما فى طريقه ، وقد شاب بعض الارتباك خطوته ، يتوجس أن هيأته علق بها شئ يفصح عن أى متعة

محرمة ، كانا منذ برهة يستمتعان بها .

ولكن ، كم أثرت هذه اللحظات حياة الشاعر .

غدا ! أو بعد غدا ، أو ربما بعد سنين ، ستكتب القصيدة العارمة التى كانت بدايتها ، ها هنا .

(١٠٠)

ذيماراتوس

« شخصية ذيماراتوس » كانت الموضوع الذى اقترحه عليه بورفيريوس للمحاورة . وقد أوجز السفسطائى الشاب موضوعه فيما يلى (مزمعا أن يعود اليه بمزيد من التفصيل فى أطروحة قادمة) :

« فى البداية ، انضم الى حاشية الملك داريوس ، ومن بعده الى حاشية الملك كسيركسيس ، الذى هو الآن فى معيته ، يرافقه فى حملته .

أخيرا سوف يرد الى ذيماراتوس اعتباره .

لحقه ظلم كبير . كان ابنا لاريستون . ويا للعار ، رشا خصومه العراف . ولم يكفهم ان حرموه من ملك أبيه ، وانما عندما رضخ وانصاع لهم ، مقررا أن يحيا فى صبر وأناة مثل مواطن عادى ، شتموه أيضاً أمام الناس ، وحقروا من شأنه فى المهرجان .

ولهذا ، فهو يخدم كسيركسيس بحماس ، فمع الجيش الفارسى سوف يعود الى سبارطة .

وإذا أصبح ملكا مثلما كان فى سالف الأوان ، سوف يطرد ذلك النذل ليوتيخيذيس فوراً ، وسوف يعرضه أمام الملأ لأشد الاهانات .

وتمضي أيامه ، مفعمة بالقلق ، مقدما للفرس نصائحه ، شارحا لهم ماذا يجب أن يفعلوا لغزو اليونان .

مشاغل ، وهموم كثيرة . ويمضى ذيمازاتوس أياما ثقالا .

مشاغل ، وهموم كثيرة . ولا يعرف ذيماراتوس لحظة فرح .

اما ما يعيه فليس فرحا (ولا يمت بأدنى صلة للفرح . وهو يرفض التسليم بذلك . وكيف يمكنه أن يسميه فرحا وأحزانه تزداد وتطغى) عندما تؤكد له الأحداث أن اليونانيين سوف يخرجون من الحرب منتصرين » .

(١٠١)

صانع الآنية

على الاناء المصنوع من أجود الفضة -

على هذا الاناء الذى سوف يتخذ مكانه فى بيت هيراكليديس .

حيث يسود الامتياز ورفعة الذوق والدقة - صبى عريان وسط رياحين وزهور رقيقة ومساقط مياه ، ولا زالت احدى ساقيه تداعب اللجة ، وهو خارج منها توا .

هكذا وضعته فى تصميمى .

والآن ، فلتساعدنى الذاكرة .

صليت طالبا من ذاكرتى ، أن تساعدنى أن أرسم ذاك الصبى الحبيب باتقان ، وأن أنجز قسماته على أكمل وجه .

صادفتنى فى هذا السبيل صعوبات جمة ، اذا مضت خمسة عشر عاما طوالا منذ اليوم الذى سقط هذا الجندى فى معركة الهزيمة بمغنيسيا .

(١٠٢)

معاناة شاعر

شيخوخة جسدى وهيئتى ، جرح من طعنة سكين رهيب ، لا طاقة لى على احتماله .

اليك أهرع ، يافن الشعر ، يا من تعرف من العقاقير ما يداوى ، وقد يكون لديك من الخيال والكلمات للآلام مسكن .

من طعنة سكين رهيب أعانى ، فلتجلب ، يافن الشعر ، أدويتك ، تزيل بها – ولو لبرهة قصيرة – شعورى بالجرح ووقع الألم .

(١٠٣)

من مدرسة الفيلسوف المشهور

ظل تلميذا لأمونيوس ساكاس مدة عامين ،

لكن الفلسفة أضجرته ، كما أضجره ساكاس .

ثم انصرف الى السياسة ، لكنه ما لبث أن تخلى عنها .

كان الحاكم أحمق ، وأولئك من حوله دمى رسمية بوجوه جهمة .

وكان هؤلاء التوافه يتحدثون اللغة اليونانية بطريقة بربرية .

وما لبث فضوله ان انجذب الى الكنيسة ، وتهيأ كى يصبح مسيحيا ، لكنه سرعان ما غير رأيه ، فلا بد أن ذلك كان سيوقعه فى شجار مع أهله ، الذين كانوا من أعلى الوثنيين مقاما ، ولسوف يقطعون على الفور عنه اعانتهم السخية ، ويالهول ذلك .

كان عليه أن يفعل شيئا ، على أي حال .

بدأ يرتاد مواخير الاسكندرية ، وكل بيت

موبوء من بيوت الدعارة .

وفى هذه الأوساط كان موفقا .

ينعم بقدر كبير من الوسامة ، وعرف كيف يتمتع بالنعمة التى وهبته السماء .

سوف يدوم حسن محياه ، عشر سنوات أخرى على الأقل . وبعد ذلك ؟

ربما عاد الى ساكاس ، فاذا كان الرجل العجوز فى هذه الاثناء قد مات ، فسوف يجد فيلسوفا أو حكيما آخر ، فثمة من هو مناسب من هؤلاء على الدوام .

أو ربما عاد فى النهاية الى السياسة ، تؤازره فى هذا تقاليد الأسرة .

وسوف يمتدح هذه التقاليد ، وينادى بالواجب نحو الوطن ، وبأمور أخرى طنانة من هذا القبيل .

(١٠٤)

الى ملك سورية

قال الشاب الأنطاكى للملك :

– يخفق قلبى بأمل عزيز ، يا مولاى الملك السورى ! عاد المقدونيون الى الكفاح من جديد ، وهم باقتدار يحاربون الآن ، فلتباركهم الآلهة ، ولتكتب لهم النصر ! وانى عن طيب خاطر لأندر من أجل ذلك الأسدين اللذين اقتنيهما ، وخيلى وتمثالى الوردى الرخامى لالهى الحبيب بان ، وقصرى الأنيق بحدائقه ، بل واضحى بكل الخيرات التى انعمت بها على ، يا مولاى .

ولعل الملك قد تأثر بهذا الكلام برهة ، لكنه مالبث أن تذكر ماكان قد حدث لأبيه ثم أخيه ، فلم يجب بشئ . ربما كان ثمة خائن يتسمع ، فيشى بما يقال .

وفضلا عن ذلك ، وكان هذا واردا فى الحسبان ومتوقعاً ، فلم تتأخر الأحداث فى بيدنا ، حيث وقعت المعركة ، عن الاتيان بالنهاية المنكودة .

(١٠٥)

أولئك الذين حاربوا من أجل الوحدة الأيونية

يا أيها الشجعان الذين حاربوا ،

دون أن يخشوا أولئك الذين خرجوا من كل الحروب منتصرين .

لا تثريب عليكم ان كنتم قد هزمتم ، فلم يكن الخطأ منكم ، وبكل اباء وجلال هزمتم .

كلما أراد أهل اليونان أن يفخروا بأمجادهم يوما ،

سوف يذكرونكم قائلين « هؤلاء بنو قومنا ، أنظروا الى أفعالهم »

وبالروعة المديح الذى ستلقون .

(كتبت هذه السطور بالاسكندرية من
أحد الأخيين فى السنة السابعة
من حكم بطليموس لاثيروس) .

(١٠٦)

فى طيات كتاب قديم

فى طيات كتاب قديم - يرجع تاريخه الى مايقرب من مائة عام - وجدت منسية بين الصفحات ، صورة بالألوان المائية غير ممهورة بتوقيع ، ولابد انها كانت عملا لفنان قدير .

وتحمل الصورة عنوان « رسم للحب » والاجدر أن يكون العنوان « شهوة الحب » .

لأنه كان يبين بوضوح ، من النظر الى العمل ، ما انتوى الفنان ان يقول :

لم يكن الشاب الذى فى الصورة ، قد صور من أجل الذين لا يعرفون الحب الا فى النطاق المسموح ، ولا يمارسونه الا ممارسة الأسوياء .

- ذلك الشاب ، بعينيه فى لون الكستناء الداكن ، ووجهه بالغ الوسامة ، والشفاه التى لا يفوقها فى الجمال شفاه ، جلابة الى جسم الحبيب المتعة المشتهاة ، لم يصور من أجل هؤلاء .

ان مفاتنه الطاغية ، انما خلقت للملذات ، وهو ماتحرمه الاخلاق الجارية ، وتنعتها بالحسية الداعرة .

(١٠٧)

كلمات على ضريح انتيوخوس ملك سورية

على أثر عودتها من جناز شقيقها ، الملك السورى الذى أمضى حياة وادعة ، قانعاً بالتزود بالثقافة ، التى حصل منها على الكثير ، قررت ان تكتب على الضريح بضع كلمات فى رثاء الفقيد .

وبناء على توجيهات من رجال البلاط السوريين ، كتب كاليستراتوس ، معلم الفلسفة الزائر ، الذى كثيرا ما تردد على

الدويلة السورية ، ونزل فى ضيافة البيت الملكى حيث لقى الترحيب ، كتب مرثية ، بعث بها الى السيدة العجوز .

« ياأهـل سورية ، أوفوا الملك المبجل النبيل حقه من التكريم . كان ملكا على البلاد حكيماً ، وكان عادلا ، وبالاضافة الى كل ذلك ، وليس ثمة ما يفوق ذلك ، كان يونانيا .

اما ما زاد على ذلك من أوصاف ، فلن يتحلى به سوى الآلهة »

(١٠٨)

يوليانوس يسجل عدم الأكتراث

صفوة القول :

« انى أسجل عليكم عدم الاكتراث بالمقدسات »

قال ذلك بطريقته المهيبة !

قال « عدم الاكتراث » . تصور !

ولكن ، ما الذى كان يأمله فى النهاية ؟

فليهتم بتنظيم أمور الكهنوت ، قدر ما يحلو له .

وأن يكتب فى ذلك الى كبير الكهنة فى غالاتيا ، قدر ما يحلو له أيضاً ، أو الى غيره ممن هم على شاكلته ، مستحثا أياهم ، مهيبا بهم أن يهتموا بالأمر !

لم يكن أصدقاؤه ، بكل تأكيد ، بالمسيحيين الخلصاء . هذا هو الوضع .

ولم يكن بأمكانهم أن يكونوا أكثر حماسا منه (هو الذى تلقى ، على أى حال ، تربية مسيحية) أكثر حماسا لاصلاح دينى ، مثير فى نظرهم للسخرية ، سواء على مستوى النظرية أو التطبيق .

فقد كان هؤلاء فى النهاية يونانيين . هذا كل ما فى الأمر يا أوغسطوس » .

(١٠٩)

مسرح سيذونوس

(٤٠٠ ميلادية)

أنا نجل مواطن محترم ، وأهم من ذلك كله ، أنا شاب وسيم من شبان المسرح ، ودود على أكثر من مظهر .

أكتب باليونانية فى بعض الأحيان قصائد مفرطة الجسارة ، وأوزعها - بالطبع خلسة .

وانى لأدعو الآلهة ، الا يرى قصائدى هذه ابداً

ذوو المسوح الداكنة ، الذين يتشدقون بالأخلاق الحميدة ، فهى قصائد كلها عن نوع من المتع الحسية شديد الخصوصية ، تقود الى حب عقيم ومدان .

(١١٠)

يــأس

ضـاع الحبيب .

والآن ، على شفتى كل غريب ،

يبحث عن شفتى ذلك الحبيب

وفى كل حضن جديد ، تخدع النفس نفسها بأنها فى أحضان الحبيب الأول .

ضـاع الحبيب الى الأبد ، كما لو لم يكن له ذات يوم وجود ، كان - على حد قوله - يريد أن ينجو من شهوة الجسد ، بينما لازالت فرصة الخلاص من هذه اللعنة سانحة .

ضـاع الحبيب الى الأبد ، كما لو لم يكن له ذات يوم وجود . أما هو فلا زال فى الخيال ، مستسلما لبعض الرؤى الملتائة ،

يتوق على شفاه أخرى أن يجد مرة أخرى ، تلك الشفاه ، وان تعاين هذه الأخرى حبه القديم من جديد .

(١١١)

يوليانوس فى نيقوميذيا

ان امتداح المثل اليونانية السابقة على المسيحية ، وممارسة السحر الخارق للطبيعة ، وارتياد معابد الوثنيين ، والتحمس للآلهة القدامى ، وتكرار الاحاديث مع خريسانثوس ، ومناظرة ماكسيموس الذى كان يعد من قبل فيلسوفا ثاقب الفكر

- هى كلها تصرفات رعناء ، خطيرة العواقب .

وها هى النتيجة : بدأ القلق الشديد على غالوس ، وانتابت الشكوك قوستانديوس .

لم يكن مستشارو يوليانوس على الاطلاق حكماء .

اتسع الخطب كثيرا ، على حد قول مارادونيوس ، ولابد من وأد الشائعات فى الحال .

ولهذا يعود يوليانوس الى كنيسة نيقوميذيا ، قارئا للاناجيل .

بخشوع وبصوت جهورى يقرأ آيات من الكتاب المقدس ، آيات كثيرة ، وينتزع من الجماهير الاعجاب بتقواه ، وإيمانه العميق بالمسيحية .

(١١٢)

قبل أن يغيرهما الزمن

امتلأ حزنا ، عندما افترقا .

ما كانا يريدان هذا الفراق ، لكن الظروف جعلت منه ضرورة .

الجأت الحاجة الى كسب لقمة العيش أحدهما أن يرحل بعيدا - الى نيويورك ، أو كندا .

لم يعد الود الذى يشعر به كل منهما للآخر ، بالطبع ، كما كان آنفا ، فقد خبا هذا الانجذاب فى النهاية . ولكن ، ان

يفترقا ، هذا ما لم يكن يريدانه .

انها الظروف . أو ربما كان القدر الفنان قد تدخل ، مقررا أن يفرق الآن بينهما ، قبل أن تموت عواطفهما تماما ، قبل ان يغيرهما الزمن :

سوف يظل كل منهما بذلك يذكر الآخر دوما ، على أنه الفتى الوسيم ، ابن الرابعة والعشرين .

(١١٣)

فى الاسكندرية : ٣١ قبل الميلاد

وصل البائع الجوال من قرية على مشارف المدينة .

وفى الشوارع ، راح ينادى على « بخور ! » و « زيتون ممتاز ! » و « عطور للشعر ! » و « لبان ! »

ولكن أنى للضجيج الكبير ، وصخب الموسيقات والمواكب ان يتيح لأحد سماع نداءات البائع الجوال .

الجموع تدفعه بالمناكب . تجرفه فى طريقها . تلقى به أرضا . واذ تطبق عليه الحيرة ، ينتهى به الأمر أن يسأل مرتبكا ما معنى كل هذا الجنون الذى يجرى هنا . ويلقى واحد من الجموع اليه بدوره الأكذوبة الضخمة التى روجها القصر :

ان انطونيوس يمضى هناك فى اليونان من نصر الى نصر .

(١١٤)

انتصار يوانيس كانتاكوزينوس

يرى الحقول التى لا زالت ملكا له : القمح ، والدواب ، والأشجار محملة بالثمار . ومن وراء كل ذلك بيت أجداده ، ملئ بالثياب ، والأثاث النفيس ، وأوانى الفضة .

سوف يأخذون منه كل ذلك - يا ألهى - سوف يأخذون منه الآن ، كل شئ .

هل يشفق عليه كانتاكوزينوس ، لو ذهب اليه ، والقى بنفسه عند قدميه ؟ يقولون أنه رحيم ، بل شديد الرحمة ، ولكن ماذا عن المحيطين به ، والجيش ؟ أم عله يذهب الى ايرينى يجثو أمامها متوسلاً ؟

كم كان أحمق ، عندما انحاز الى صف أناه !

الم يكن يكفى ليثنيه عن ذلك أن أندرونيكوس ذهب ، وتزوج بها ! هل عملت عملا طيبا قط ، أو حتى تصرفت تصرفا انسانيا واحداً ؟ حتى الفرنجة ما عادوا يحترمونها . مخططاتها سخيفة ، وتدابيرها مثيرة للضحك . أما كانتاكوزينوس ، ففى الوقت الذى كانوا من القسطنطينية يتوعدون ويتهددون ، كان هو الذى ينفذ ، الملك يوانيس ، ينفذ كل وعد وتهديد .

ومن المؤسف أن يتصور حقا أنه كان قد خطط كى ينضم الى يوانيس ! كان سيفعل ذلك ، ويظل سعيدا ، معززا ، مرموقا ، حتى الآن . وذلك ، لو لم يكن الاسقف قد جعله يغير ، فى آخر لحظة ، ما اعتزمه . خدعه بمظهره الكهنوتى ،

ومعلوماته المزيفة من الألف الى الياء ، ووعوده ، وكل ذلك الهراء الذى أطلقه على عواهنه ، وذهب أدراج الرياح .

(١١٥)

جاء ليقرأ

جاء ليقرأ الكتب .

أمامه كتابان مفتوحان أو ثلاثة كتب ، لمؤرخين وشعراء .

لا تمضى عشر دقائق حتى يتخلى عن ذلك ، ويلقى بنفسه على الأريكة حيث يروح فى اغفاءة .

أنه مرتبط أشد الارتباط بالكتب ، ولكنه أيضا شاب غض الأهاب ، وسيم ، فى الثالثة والعشرين من عمره .

وهو ، فى هذا المساء ، قد جمح الهوى بكيانه .

نفث فى شفتيه ، وفى جسمه الفتان كله ، شهوة لا يحول دون اشباعها أى خجل سخيف .

(١١٦)

على الشاطئ الايطالى

الشاب كيموس مينيذوروس ، يحيا فى ولاية يونانية على الشاطئ الايطالى ، ومثلما يفعل غالبية مواطنيه من الشباب فى اليونان الكبرى ، حيث يشبون فى أحضان البذخ والثراء والدعة ، يكرس ذلك الشاب أوقاته للمتعة والترفيه عن نفسه .

لكنه اليوم ، على الرغم مما جبل عليه من طلب المتع ، مؤرق البال ، فاقد الرغبة ، يتابع على الشاطئ ، وقد ملأته الحسرة ، سفنا تنزل شحنات من الأسلاب مجلوبة من أرض اليونان ، سبايا يونانية ، وغنائم من كورينثه .

اليوم ، ولا شك ، ليس جائزا ، بل وليس بمستطاع أن يرغب الشاب اليونانى بأى حال ، فى أى متعة من المتع .

(١١٧)

من زجاج ملون

تأثرت كثيرا لجزئية صغيرة ، رواها فلاخيرينوس ، عن زفاف يوانيس كانتاكوزينوس وأيرينى أندرونيكوس أسان .

لم يكن لديهما سوى القليل من الأحجار الكريمة ، فتزينا بحلى مقلدة ، بعديد من قطع زجاجية ، حمراء ، وخضراء ، وزرقاء لا زوردية .

فقد كان شعبنا المسكين يعانى من فاقة شديدة .

لم أر ثمة ما يشين أو يحقر من شأن العروسين فى قطع الزجاج الملون هذه ، بل على العكس بدت احتجاجا شجنيا على ظلم الفقر ، وايماءة الى ما كان يجب ان يحظيا به فى زفافهما من أوتيا مقام السيد يوانيس كانتاكوزنوس والسيدة أيرينى أندرونيكوس أسان ، ورفعة شأنهما .

(١١٨)

تيميثوس الانطاكى (٤٤٠ ميلادية)

أبيات كتبها تيميثوس ، المحب الولهان .

والعنوان « ايمونيذيس » – شاب من ساموساتا ، على غاية من الوسامة ، اصطفاه أنتيوخوس المبرز .

واذ جاءت الأبيات حارة ، مفعمة بالاحساس ، فلنذكر ايمونيذيس (المنتمى الى ذلك الزمن الآخر البعيد ، عام ١٣٧ لملكة اليونان ، أو ربما قبل ذلك بقليل) ليس فى الأبيات سوى الأسم ، ولكنه أسم موح ، على أى حال .

وتبوح القصيدة بحب تيميثوس ، وهو حب جميل ، يليق به . ونعلم نحن المطلعون ، أصدقاؤه المقربون ، عمن كتبت هذه الأبيات . أما أهل أنطاكية الذين ليسوا على علم ، فيقرأون « ايمونيذيس » فحسب .

(١١٩)

أبولونيوس التيانى

فى رودس

تحدث أبولونوس عما هى التربية والثقافة حقا ، مع شاب يبنى فى رودس بيتا فخما

وفى النهاية ، قال الرجل القادم من تيانا :

« عندما أمر بمعبد مهما كان صغيرا ، فأرى هناك تمثالا ، من العاج والذهب ، فهذا أفضل عندى من أن أدخل معبدا كبيرا ، فأرى تمثالا من « الطين العادى » « الطين الرخيص » منصوبا فى رحابه .

ومع ذلك ، فالبعض ممن لم يحظوا بحسن المران والدراية ، ينبهرون بما هو من الطين العادى - ياللطين الكريه - مجرد تقليد رخيص .

(١٢٠)

فى القرية المضجرة

شاب فى ريعان شبابه ، يعمل مستخدما بمحل تجارى ، فى قرية مضجرة ، لم يبق سوى شهران أو ثلاثة ، وتركد الأعمال . شهران أو ثلاثة تنقضى ، ثم يعود الى المدينة ، حيث ينكب توا على اللهو والصخب .

الليلة ، فى القرية المضجرة ، القى بجسده على السرير ، معانيا تباريح الهوى ، استبد بشبابه عشق الجسد . وفى منامه ، تمثلت الطلعة التى تغياها ، والجسد الذى أشتاق له .

(١٢١)

العام الخامس والعشرين من عمره

يتردد بانتظام على الحانة التى التقى فيها الشهر الماضى بالحبيب .

سأل ، لكنهم لم يكونوا يعرفون شيئا يجيبون به عليه .

من كلامهم فهم أنه لا بد تعرف بشخص مجهول ، واحد من تلك النكرات العديدة ، المثيرة للريب ، من الشبان الذين يمرون من هناك .

ورغم ذلك ، فهو يتردد بانتظام على الحانة فى الليل . ويجلس مثبت الانظار على المدخل ، فربما يخطو الحبيب داخلا ، وربما هذا المساء يجئ .

يفعل ذلك منذ ما يقرب من ثلاثة أسابيع . أصاب فكره الاعياء من فرط الشوق ، لا زال طعم القبل باقيا على شفتيه . جسده كله من الرغبة المقيمة فى أشد حالات المعاناة . لمسة ذلك للجسد تلح ، وتثقل وطأتها . ويتوق الى الوصال ، من جديد .

يجاهد بطبيعة الحال كى لا يستسلم وينهار . وفى بعض الأحيان أيضا ، يكاد لا يعير الأمر أدنى اكتراث . هذا فضلا عن أنه يعرف أى خطر يعرض نفسه اليه ، فليس من المستبعد ان تقوده حياته هذه الى فضيحة مدمرة .

(١٢٢)

كليتوس على فراش المرض

ألم المرض بكليتوس ، وهو شاب وسيم ، فى الثالثة والعشرين من عمره . نال أعلي مراتب التعليم ، ويعرف اللغة اليونانية معرفة يندر مثيلها .

أصابته الحمى التى اجتاحت الاسكندرية ، وحصدت هذا

العام النفر الوفير . وحتى قبل أن تدركه الحمى ، كان قد أعيته الأحزان ، لما علمه من ان صديقه ، الممثل الشاب ، كف عن مبادلته الود ، وزهد فى صحبته .

وها هو الآن على غاية من المرض ؛ الأمر الذى أقلق ذويه أشد القلق .

وازاء ما آلم بكليتوس ، امتلأت جزعا على حياته ، خادم عجوز كانت قد عكفت على تربيته .

وفى خضم رعبها ، تذكرت وثنا صغيرا ، اعتادت فى صباها أن تعبده ، قبل ان تجئ الى هنا ، وتلتحق بهذا البيت ، بيت المسيحين المرموقين هذا ، خادمة ، وتعتنق المسيحية بدورها .

فأحضرت خفية بعض الفطائر والنبيذ والعسل . وضعتها قربانا أمام الوثن ، وراحت ترتل كل ما تزال من الصلوات القديمة تذكره ، دون أن تعرف هذه المرأة البلهاء أن الآلهة السوداء ، لا تكترث ، ولن تكترث بما اذا كان مسيحى يشفى أو يموت من المرض .

(١٢٣)

فى الحانات

فى حانات بيروت ومواخيرها ، أتضور . لم أعد أريد البقاء بالاسكندرية ، تركنى تاميذيس ، وفضل على صحبتى صحبة شاب آخر ، هو ابن عمدة المدينة ، وذلك ليقتنيه قصرا على ضفاف النيل ، وبيتا فخما فى المدينة .

ما عـاد لى بقاء بالاسكندرية . فى حانات بيروت ومواخيرها ، صرت أحيا متخبطا بين دناءات الغواية ... وما عاد شئ ينقذنى من حمأتى ، مثل رؤيا جمال لا يتبدل ، مثل عطر لا زال شذاه لصيقا بجلدى ، سوى أننى نعمت بصحبة تاميذيس سنتين ، هذا الشاب الذى يفوق كل وصف . ولم يكن ذلك لقاء شئ . ولا حتى قصر على النيل أو بيت فى المدينة .

(١٢٤)

الحكيم الراحل عن سورية

أيها الحكيم المحنك ، الراحل عن سورية ، وقد اعتزمت الكتابة عن أنطاكية ، جدير ان تشير الى ميفيس فى كتابك ، ميفيس صاحب الشهرة ، الذى ليس من ينكر أنه أحب الشبان فى أنطاكية ، وأكثرهم وسامة ، وما من أحد من الصبيان الذين يحيون على شاكلته ينقد أجرا أكبر منه .

يبلغ أجره عن يومين أو ثلاثة ، مائة قطعة من الذهب . أقول في سورية ، ولكن حتى فى روما أو فى الاسكندرية ، ليس ثمة من هو أكثر منه جاذبية .

(١٢٥)

فى مدينة بآسيا الوسطى

كانت أنباء اكتيوم عن نتيجة المعركة البحرية غير متوقعة بالطبع ، ولكننا لسنا بحاجة ، على أى حال الى صياغة بلاغ جديد . كل ما هناك أننا سنجرى على البلاغ القديم تعديلا فى

الأسم .

هناك ، فى السطور الأخيرة ، فى مكان « مخلصين بذلك الرومان من تلك النكبة المدعوة أوكتافيوس » سنضع « مخلصين بذلك الرومان من تلك النكبة المدعوة أنطونيوس . أما بقية النص ، فهو فى مجمله يفى بالغرض .

مرحبا بأعظم الفاتحين ، الذى لا يدانيه فى ساحات المعارك أحد والموفق فى شئون السياسة كلها .

مرحبا بانطونيوس (هنا غيروا الاسم ، واجعلوه كما قلنا أوكتافيوس) الذى دعت له المدينة بالنصر ، من كل قلبها ، كما دعت لزيوس أن يهبها أعظم العطايا به . مرحبا بحامى حمى اليونانيين ، الذى يولى عادتهم كل تبجيل ، وفى أنحاء اليونان هو حبيب الجماهير ، المستأهل عن جدارة لفائق المديح ، والذى تستحق فتوحاته أن تدون بالتفصيل وباللغة اليونانية ، نثرا وشعرا ، باللغة اليونانية التى هى آداة الشهرة والمجد الخ .. الخ .. كل هذه العبارات لن يدخل عليها تعديل .

(١٢٦)

يوليانوس وأهل أنطاكية

« يقولون : لا حرف « الميم » ولا حرف « القاف » الحق ضررا بالمدينة .. وقد وجد شراحنا البحاثة ان كلا من هذين الحرفين يرمز الى اسم يبدأ به . فالأول يرمز للمسيح ، والثانى لقسطنديوس »

يوليانوس – كاره الذقون

أكان ممكنا أن يتنكروا

للنمط البديع الذى تجرى عليه حياتهم ،

للتنوع فى أساليب الترفيه التى يستمتعون بها كل يوم ، لمسرحهم الرائع ، حيث يلتقى الفن بنزوات الجسد !

الى حد ما ، بل الى حد بعيد ، لم يكونوا فى حياتهم تلك على حق ، لكن قناعتهم تمثلت فى أن حياتهم ، تلك الحياة العامرة بالذوق الرفيع وبالبهجة ، كانت أكثر أنماط الحياة فى أنطاكية أثارة للغط .

هل كانوا سيتنكرون لكل هذا ،

ومن أجل ماذا كانوا سيتنكرون ،

بل وما الذى كانوا سوف ينصتون اليه بدلا من ذلك ؟

أمن أجل الانصات لأراجيفة الفطيرة عن الآلهة المزيفة ،

أم لأراجيفة المضجرة عن نفسه ؟

عن مخاوفه الصبيانية من المسرح ،

عن تحشمه الخبيث ، عن لحيته المثيرة للسخرية ؟

لا لهذا ، ولا ذاك . بل أغلب اليقين ، لأنهم كانوا يفضلون حرف « الميم » وأغلب اليقين أيضا أنهم كانوا يفضلون حرف « القاف » – وذلك مائة مرة ، على كل ما تقدم ذكره .

(١٢٧)

موكب كبير من رجال الدين وعامة الشعب

موكب من رجال الدين وعامة الشعب ، مثلت فيه كل المهن ،

يجوب الشوارع والميادين والبوابات ، فى أنطاكية ذائعة الصيت . وعلى رأس الموكب المهيب شاب جذاب ، يرفل فى ثياب بيضاء . يرفع بيديه عاليا الصليب ، الصليب المقدس ، مصدر قوتنا ورمز الرجاء .

فقد الوثنيون الكبار ، الذين كانوا من قبل شديدى الاستعلاء . – فقدوا السيطرة الآن على أعصابهم ، وتسللوا عن الركب مبتعدين ، وليبقوا على الدوام بعيدين عنا (طالما لم يرجعوا عن غيهم) .

ويمضى الصليب المقدس فى المقدمة ، جالبا البهجة والعزاء ، لكل الأحياء التى يسكنها المسيحيون . وهؤلاء القوم ، الممتلئون بخشية الله ، يقفون ، وقد غمرتهم الفرحة ، عند أعتاب بيوتهم ، يحيون بكل اجلال – يحيون الصليب ، رمز خلاص العالم ، وسر قوته .

هذا احتفال يقيمه المسيحيون ، كل عام ، ولكن الاحتفال اليوم ، كما ترى ، أكثر لفتا للأنظار .

نال الشعب خلاصه ، فى النهاية .

لم يعد يوليانوس فى السلطة ، لم يعد هذا البغيض الملعون يحكم الآن .

فلنتوجه بالدعوات اذن ، للمبجل يوفيانوس .

(١٢٨)

كاهن معبد سيرابيس

أبكى أبى العجوز الطيب ، الذى أحبنى على الدوام .

أبكى أبى العجوز الطيب ، الذى مات قبيل الفجر ، أول أمس .

سيدى المسيح ، انى أتبع تعاليم كنيستك المقدسة ، فى كل ما أفعل ، وفى كل ما أقول ، وفى كل ما أفكر . هذا مسعاى اليومى ، بل وكل من ينكرك أقطع به صلتى توا .

أما الآن ياسيدى المسيح ، فانى أندب أبى ، وأذرف الدمع من أجله . أبى الذى – وياله من أمر فظيع أقوله – كان كاهنا فى معبد سيرابيس الذى أجحده ، أستغفر ربى .

(١٢٩)

آنــاه ذالاسينى

فى المرسوم الملكى الذى أصدره اليكساندروس كومنينوس خصيصا لتكريم والدته ،

السيدة النابهة أناه ذالاسينى ،

صاحبة الأعمال والخصال الحميدة ،

فى هذا المرسوم الملكى وردت عبارات كثيرة فى مديحها .

وانى لاقتصر هنا على أن أنقل مما قيل فى هذا المقام ، عبارة واحدة ، عبارة واحدة فحسب ، عبارة بديعة سامية ، وهى :

« كلمات جوفاء مثل « هذا مالى أنا » و « هذا مالك أنت » ما نطقت بها قط » .

(١٣٠)

مدينة أغارقة قدامى

تزهو أنطاكية بمبانيها الفخيمة ، بشوارعها البديعة ، وضواحيها الخلوية الرائعة ، ووفرة السكان الذين يعيشون فيها .

تزهو بأنها عاصمة ممالك لحكام مجيدين ، وبمن يؤمها من فنانين ، وحكماء ، وتجار واسعى الثراء ، حويطين .

ولكن أكثر من كل شئ ، وبلا منازع ، تفخر أنطاكية بأنها مدينة أغارقة قدامى ، ينتمون بوشائج قربى الى أهل أرغوس ، الذين أتوا فى اثر ايونوس ، وشيدوا تلك المدينة تكريما لذكرى ابنة ايناخوس .

(١٣١)

أيام ١٩٠١

الشئ الفريد من نوعه ، أنه على الرغم من كل رذائله ، وخبرته الحسية الواسعة ، وعلى الرغم من أن مسالكه لم تكن لتخفى عادة من سنة - على الرغم من كل ذلك ، ثمة لحظات ، نادرة بالطبع ، أعطى فيها الانطباع بأن العشق لم يمسس من قبل جسده .

والغريب فى الأمر ، أن وسامة التاسعة والعشرين التى هدمها اهتبال الملذات ، كانت قادرة فى بعض الأحيان على الايهام بأنها المرة الأولى التى ينصاع فيها الجسد العذرى لملذات الهوى .

(١٣٢)

شابان فى الثالثة أو الرابعة والعشرين من العمر

منذ العاشرة والنصف ، انتظر فى المقهى . وكان يترقب ظهوره بين لحظة وأخرى . مضى منتصف الليل ، ولا زال بانتظاره . مضت الواحدة والنصف ، وكاد المكان الآن يخلو تماما . تعب من قراءة الصحف ، بطريقة آلية . ومن شلناته الثلاثة اليتيمة ، لم يبق سوى واحد ، بعد أن طال الجلوس بالمقهى . أما الآخران ، فأنفقهما على الكونياك والقهوة . كما دخن سجائره كلها .

أجهده هذا الأنتظار ، فقد بدأت تستبد به - وقد خلا

لنفسه هذه الساعات الطوال - هواجس قلقة عن حياته المنحرفة .

لكنه عندما رأى صديقه مقبلا ، تبددت فى التو هواجسه ، وزايله الاستياء والتعب .

جلب له صديقه خبرا لم يكن فى الحسبان . كسب ستين جنيها فى بيت للقمار .

دب الانتعاش فى أساريرهما الوسيمة . سرت الانتفاضة فى شبابهما الرائع . واستيقظ حسهما للحب المشتهى ، وذلك بفضل الجنيهات الستين التى جاءتهما من لعب الورق .

وذهبا ، مفعمين بالبهجة والحس والجمال والحمية - ذهبا ، لا الى بيوت أهليهما المحترمة (حيث أيضا ما عادا مرغوبين) بل الى بيت يعرفانه ، بيت شديد الخصوصية ، بيت سئ السمعة . ذهبا . طلبا غرفة ، ومشروبات غالية ، ومضيا يشربان . وبعد ان أجهزا على المشروبات الغالية ، وكانت الساعة تقترب من الرابعة ، استسلما للحب سعيدين .

(١٣٣)

أيام ١٨٩٦

انحدر به الحال تماما . كان السبب فى ذلك ميوله الشبقية . محرمة كانت ، رغم تأصلها فيه . وكانت منهيا عنها بشدة .

كان المجتمع محافظا الى أقصى حد ، ومتزمتا .

وقد راح يخسر ماله ، وكان قليلا على أى حال . ثم راح

يخسر بالتدريج مكانته الاجتماعية ، ومن بعدها سمعته .

وهو الان يقترب من الثلاثين . لم يواظب على عمل مألوف أكثر من عام .

وقد حدث أن كسب فى بعض الأحيان ما يكفيه وذلك من الوساطة فى صفقات تعتبر جلابة للعار . وانتهى به الأمر أن صار من أولئك الذين يدعو كثرة الاختلاط بهم الى اثارة الريب .

ولكن من باب الانصاف ، لا يجب أن يقف ما يروى عنه عند هذا الحد . بل يجدر أن تذكر أيضا وسامته ، وأن يكون لها فى الرواية القدح المعلى .

هناك زاوية أخرى ، لو نظر للأمر منها ، فسوف تنجذب نحو هذا الشاب القلوب ، اذ سيبدو للحب ابنا أصيلا غير مزيف . لم يتردد فى أن يضع الحس الخالص بالجسد المصفى فى مقام أعلى من السمعة والشرف .

أى سمعة ، وأى شرف ، وذلك المجتمع المتزمت ضيق الأفق ، كانت قيمه خاطئة كل الخطأ .

(١٣٤)

كلمات أديب شاب فى الرابعة والعشرين من عمره

والآن ، أطلق أيها العقل ، كما تشاء ، لفكرك العنان .

تهده متعة لا تكتمل . ويضحى فى حالة من توتر الأعصاب .

يمضى يقبل الوجه الحبيب ، كل يوم . وتتحسس يداه الأطراف الرائعة . ما أحب من قبل بمثل هذه العاطفة ، ولكن

يبقى مفتقدا الاكتمال الرائع للحب ، ذلك الاكتمال المتبادل الذى يتوق اليه الطرفان .

(ليس كل منهما موهوبا ، بقدر الآخر ، للمتعة الجامحة ، بل هو وحده من أستبدت به) .

يذوى ، ويضحى عصابيا . فضلا عن أنه بلا عمل ، وهو ما يسهم كثيرا فى سوء الحال .

بصعوبة ، يقترض بعض المبالغ الصغيرة (بل ويكاد يذهب فى بعض الاحيان يستجديها) ويتظاهر بأنه على ما يرام .

يقبل الشفاه التى يحبها حب العبادة . فى هذا الجسد الرائع وجد متعته ، وان كان يفهم الآن . ما يلقاه منه هو مجرد اذعان .

ينكب على الشراب ، ويدخن . ويمضى طوال اليوم ، فى المقاهى ، يجرجر نفسه . يجرجر متألما أشجان الجسد الرائع الذى لا يلقى ارتواء .

والآن ، أطلق أيها العقل ، كما تشاء ، لفكرك العنان .

(١٣٥)

فى مستوطنة يونانية كبيرة

٢٠٠ قبل الميلاد

ان الأمور فى المستوطنة لا تسير على ما يرام . هذا أمر لا يتطرق اليه أدنى شك .

وعلى الرغم من أننا على نحو أو آخر نمضى قدما ، فربما ، كما يعتقد من ليسوا بالقليل ، قد آن الأوان أن تجلب مصلحا سياسيا يمسك بالزمام .

على أن المشكلة ووجه الاعتراض أن هؤلاء المصلحين (وانه لنعمة الا تعن الحاجة اليهم على الاطلاق) يبالغون فى تضخيم النقائص ، أينما وجهوا تقصياتهم ، وتغلغلوا وراء أدق التفاصيل . وفى التو تتفتق أذهانهم عن أقتراح تغييرات جذرية ، وتعديلات لا تحتمل التأخير .

كما أن بهم ميلا الى المطالبة بالتضحيات : يقولون تخلص من هذا المال . خطر ان تمضى فى اقتنائه . ملكية أعيان مثل هذه خراب للولاية . تخلص من هذه الثمار ومما شابهها أيضا من ثمار ، بل ومن كل ما عداها . انها عائدات جوهرية ، ولكن لا مفر من ذلك ، فالمسئوليات التى تستوجبها لا تخلو من ضرر .

واذ يمضون فى تقصياتهم ، يجدون أعدادا لا حصر لها من أشياء عديمة الجدوى ، يوصون بالغائها ، وان كانت أشياء من الصعب على أى حال التخلص منها .

واذ يضعون الأمور على بركة الاله فى نصابها ، بعد أن شخصوا كل جزئية ، وبمبضع الجراح شرحوها ، يفرغون من مهامهم ، فيعتزلون العمل (حاملين معهم الاتعاب التى استحقت لهم) .

ولنر الآن ما اذا كان ، بعد كل هذه الجراحات التى مورست باتقان ، قد بقى شئ على الاطلاق .

ربما لم يحن الوقت بعد للحكم على فعالية اصلاحاتهم .

ولنتحاشى العجلة ، فالعجلة أمر خطر ، والقرارات السابقة لأوانها تجلب الندم .

لا شك ان ثمة أموراً كثيرة فى الولاية للأسف لا يقبلها العقل ، ولكن هل هناك ما هو انسانى ومعصوم من الخطأ ؟

وبعد كل شئ ، انت ترى أننا نمضى قدما بالفعل .

(١٣٦)

صورة شاب فى الثالثة والعشرين من عمره

رسمت بريشة صديق ، هاو ، من ذات سنه .

أنجز الصورة ، بالأمس فى منتصف النهار . والآن ، هو يتأملها مدققا فى التفاصيل .

صوره فى سترة رمادية مفتوحة الازرار ، بلا صدرية أو رباط عنق ،

وفى قميص وردى داكن اللون ، مفتوح الياقة عند العنق ، ومن ثم يمكن أن يبين شئ من وسامته ، ولمحة من اختلاجه الصدر عند تنفسه .

يكاد يكسو شعره ، شعره اللامع الجميل ، الجانب الأيمن من جبينه (وقد صففه على النحو الذى اختاره لنفسه مؤخرا) .

حقا ، نجح فى التقاط التعبير الحسى الذى اراد ان يفصح عنه ، وعنى بتسجيله وهو يرسم العينين ، وهو يرسم الثغر والشفتين ...

الشفتين اللتين خلقتا للوفاء بحاجات الحب المشتهى .

(١٣٧)

لم يحدث أن فهمت

علق يوليانوس أصم القلب على معتقداتنا الدينية قائلا :

« قرأت ، وفهمت ، وأدنت » كما لو كان هذا الرجل الأضحوكة ، قد محانا من على الأرض بكلمته هذه « أدنت » .

ولكن نحن المسيحيين لا تنطلى علينا أقوال الذكاء السطحية هذه ، فأجبناه على الفور « أجل ، قرأت ، ولكن لم يحدث أن فهمت ، لأنك لو كنت فهمت لما أدنت » .

(١٣٨)

كيمون بن ليارخوس

فى الثانية والعشرين ، طالب للأدب اليونانى

(فى كيرينيه)

« نهايتى جاءت ، ولقيتنى سعيدا . اتخذنى هيرموتيليس صديقا ، وما كنا نفترق . وفى آخر أيامى ، وقد دنت ساعتى ، على الرغم من تظاهره بعدم قلقه على ، لاحظت الدموع تكاد تطفر مرارا من عينيه . وكلما دار بخلده انني غفوت وهلة خر كالمجنون عند حافة سريرى جاثيا على قدميه .

وما كنا سوى اليفين فى الثالثة والعشرين ، لكن الاقدار خئون .

ولشد ما كنت أخشى أن ينصرف هيرموتيليس عنى لشأن آخر من الشئون يملك عليه حواسه . ولهذا فقد جاءت نهايتى على خير ما يرام . جاءت ، ونحن متحابين لا نفترق » .

هذه المرثية لماريلوس بن أريستوذيموس ، الذى مات منذ شهر بالاسكندرية ، تلقيتها ، أنا ابن عمه كيمون ، وقد اغرورقت عيناى بالدموع .

كان كاتبها ، وهو شاعر أعرفه ، هو الذى أرسلها الى .

وقد أرسلها ، لأنه كان يعرف أن ماريلوس يمت بصلة قرابة الى . ولم يكن يعرف شيئا عنا غير ذلك .

ان قلبى مفعم بالحزن على ماريلوس . شببنا نحن الاثنان معا ، مثل شقيقين .

يقلقنى الأمر الآن بشدة . محت وفاة هيرموتيليس الباكرة كل ما كان فى أعماقى عليه من لوعج ضغن ، حتى لو كان قد سلبنى ذات مرة ما كان يكنه لى هيرموتيليس من ود .

ولهذا ، فلو سعى هيرموتيليس الآن الى صداقتى ، من جديد ، فلن يكون الامر مثلما كان من قبل . أعرف طبعى وحساسيتى . سوف تتدخل صورة ماريلوس بيننا ، وسوف يخيل لى أنه يقول « واضح الان ، كم أنت راض . أنظر ، ها أنت ، ياكيمون استعدت صديقك كما كنت تريد . أنظر ، اذن ، لا عذر لك الآن أن تفترى على » .

(١٣٩)

فى اسبارطة

لم يكن الملك كليومينيس يعرف كيف يصارح أمه ، ولا حتى يجرؤ أن يصارحها ، بقول مثل هذا :

أصر بطليموس ، كضمان للاتفاق معه ، على استجلابها الى مصر -

فياله من قول رخيص هذا ، ومهين .

وكلما جاء يحدثها بالأمر تردد ، وما ان يشرع فى القول الجم لسانه .

ولكن المرأة الرائعة فهمت مالم يجهر به (وكانت قد سمعت بهذا الخصوص أيضا بعض الاقاويل) فشجعته أن يفسح عما فى صدره .

ثم ضحكت . وقالت « بالتأكيد سأذهب » .

بل وسعدت أن تكون لازالت قادرة ، حتى فى شيخوختها ، أن تسدى نفعا لاسبارطة ، وطنها .

أما بالاهانة ، فما كانت لتكترث .

ان حكمة أسبارطة ، ليست ، ولا شك ، مما يمكن ان يستوعبها ملك غرير ، ابن البارحة ،

وما كان طلبه الذى الح عليه لينتقص ، حقا ، من قدر سيدة مبجلة مثلها ، هى أم الملوك فى أسبارطة كلها .

(١٤٠)

أيام ١٩٠٩ و ١٩١٠ و ١٩١١

كان ابنا لبحار كادح فقير . (من جزر بحر ايجه) .

اشتغل فى دكان حداد . رث الثياب وفى أسوأ حال . ممزق حذاؤه الذى كان يرتديه أيضا ، أثناء العمل . ويداه ملوثتان بالزيت والصدأ .

وفى المساء ، بعد أن يغلق الدكان ، لو تاقت نفسه لرباط عنق لأيام الآحاد ، بعض الشئ غالى الثمن ، أو اجتذبه فى واجهة أحد المحال ، قميص أزرق جميل افتتن به ، كان ينحرف لقاء ريال أو ريالين .

وانى لأتساءل ، لو أنه فى الأزمان الخوالى ، عرفت الاسكندرية المجيدة شابا يضارع هذا الشاب وسامة ، هل كان يروح هكذا كماله بددا ويضيع . أعنى اماكان يصنع له رسم أو تمثال ؟

وفى غياهب دكان الحداد ، ظل ملقى به ، مهملا . ومن فرط العمل الشاق ، سرعان ما أهلكه الاجهاد . ومن وطأة الحاجة والرذائل الرخيصة لحقه الخراب .

(١٤١)

أمير من ليبيا الغربية

ابان العشرة أيام التى قضاها بالاسكندرية حاز أرسطومينيس مينيلاوس ، الأمير القادم من ليبيا الغربية ،

الاعجاب بصفة عامة فقد بدا ، باسمه ومسلكه وهندامه ، يونانيا عريق الأصل .

كان يتقبل برضاء مراسم التكريم التى تقام له ، ولكنه لم يكن يجد فى طلبها ، فقد كان عفيفا متواضعا .

أخذ يشترى كتبا يونانية ، وبالأخص فى التاريخ والفلسفة . وفوق كل شئ ، كان رجلا مقلا فى كلامه . فشاع أنه ، ولابد ، من رجال الفكر وخدامه . فالناس مع أمثال هؤلاء ، لا يتحدثون بطبيعة الحال كثيرا .

هو لم يكن من رجال الفكر ، ولا كان شيئا على الاطلاق ، بل كان تافها ، مثيرا للضحك . انتحل اسما يونانيا ، وارتدى كأهل اليونان ، وتعلم كيف يتصرف ، على نحو أو آخر ، مثل واحد منهم . وكانت نفسه ترتعد خوفا أن يفسد ما أحدثته صورته من انطباع لا بأس به لو فتح فمه ، وتفوه بغمغمات همجية ، فعندئذ سوف يشرع السكندريون ، بطريقتهم المعتادة ، فى السخرية منه ، وهم سفلة أوغاد لا يتورعون عن ذلك .

هذا هو الذى الجم لسانه ، فلم ينبس الا بكلمات معدودة ، وجعله يولى حسابا شديدا لتراكيب كلامه ، قبل النطق به ، حتى كاد كبته للكلام بداخله يفقده صوابه واتزانه .

(١٤٢)

فى الطريق الي سينوبوس

فى طريقه الى سينوبوس ، مر ميثريداتيس ، الممتلئ جبروتا وعظمة ، بدرب ريفى ، قريب من محل اقامة عراف .

أرسل ميثرايدتيس واحدا من أتباعه ، كى يسأل العراف ، أى أشياء جميلة لازال عليه أن يظفر بها فى مستقبل أيامه ، وأي صلاحيات أخرى ينصحه باكتسابها .

أرسل واحدا من ضباطه لهذا الغرض . ثم واصل الى سينوبوس مسيرته .

انسحب العراف الى صومعته .

وبعد مايقرب من نصف ساعة خرج غارقا فى تفكير عميق . وقال للضابط :

« لم أستطع على نحو مرض أن أميز ما أرى . لمحت بعض الظلال المبهمة . ليس اليوم يوما مناسبا للنبوءات ، ولم أفهم حق الفهم ما رأيت . ولكن ، لعمرى ما الذى يجعل الملك لا يقنع بكل ما بين يديه » .

(١٤٣)

ميريس : الاسكندرية ٣٤٠ ميلادية

كانت فجيعتى كبيرة ، عندما علمت بوفاة ميريس .

هرعت الى بيته ، رغم أننى أتحاشى زيارة بيوت المسيحيين ، وعلى الأخص عندما يقيمون مآتم أو أفراح .

وقفت فى الردهة . لم أرد أن أخطو مقتربا أكثر من ذلك ،

لأننى تبينت أن أقرباء الميت كانوا ينظرون الى فى دهشة ملحوظة ، وباستياء .

وضعوه فى غرفة فسيحة . كانت فى جزء منها مكسوة بطنافس نفيسة . ورأيت هناك آنية من الذهب والفضة .

وقفت أبكى فى أحد أطراف الردهة ، وأقول لنفسى لن تساوى ولائمنا ورحلاتنا بغير ميريس شيئا ، بعد الآن . ويروعنى أننى لن آراه فى سهراتنا الرائعة العربيدة ، ينعم ، ويضحك ، وينشد أبياتا بحسه المتقن لايقاع الشعر اليونانى .

ورحت أفكر أننى فقدت الشاب الذى كنت أكن له الحب ، فقدت وسامته ، والى الأبد .

الى جوارى ، راحت نسوة عجائز يحكين بصوت خفيض ، عن اليوم الأخير فى حياته .

لم تكف شفتاه عن ذكر اسم المسيح ، وأمسك بصليب فى يديه -

ثم دخل الغرفة أربعة من الكهنة المسيحيين ، يقرأون بحرارة صلوات ، وابتهالات ليسوع أو لمريم (ولا أعرف ديانتهم حق المعرفة) .

كنا نعلم ، بالطبع ، أن ميريس من أتباع المسيح .

منذ البداية ، عرفنا ذلك عنه ، أول ما انضم الى صحبتنا منذ عامين ، لكنه كان يعيش تماما مثلما كنا نعيش ، بل وكان أكثرنا انهماكا فى الملذات ، يبعثر ماله بسخاء على الحفلات .

ومن فرط تكالبه على الدنيا ، كان بلا اكتراث يلقى بنفسه

راضيا فى مشاجرات الشوارع بالليالى ، عندما كانت صحبتنا تصطدم بصحبة أخرى تعترض طريقنا .

لم يكن يحدثنا عن ديانته قط . ذات يوم ، قلنا له ، أننا سنأخذه معنا الى السرابيوم . آه ، لكننى تذكرت الآن . بدا كما لو كان قد استاء من مداعبتنا هذه . آه ، وثمة مرتان آخريان وفدتا الآن الى خاطرى . عندما كنا نقدم الى بوسيذون قرابين خمر انسحب من جماعتنا ، وادار أنظاره ناحية أخرى . وعندما صاح أحدنا فى حمية وقال « لنكن جميعا أصفياء صاحب الجلالة أبوللونوس العظيم ، وليشملنا برعايته» – همس ميريس ، دون أن يسمعه الأخرون : « لست محسوبا فى ذلك منكم » .

كان الكهنة المسيحيون يصلون بصوت مرتفع ، من أجل روح الميت الشاب . ولاحظت بأى مثابرة ، وبأى اهتمام عميق بطقوس ديانتهم كانوا يجهزون كل شئ من أجل الجناز المسيحى .

وفجأة ، تملكنى احساس مباغت غريب . شعرت شعور اليقين كما لو كان ميريس يمضى مبتعدا عنى . شعرت أنه ، وهو المسيحى ، يتحد بأهله المسيحيين ، واضحى أنا غريبا ، غريبا تماما . بل ان شكا انتابنى بأننى كنت مخدوعا فى تعلقى الشديد به . وانى على الدوام كنت غريبا عنه ، وهو منبت الصلة بى .

اندفعت خارجا من بيتهم ، هذا المخيف . وأسرعت الخطى مبتعدا قبل أن تنتزع مسيحيتهم منى ذكرى ميريس ، وأضل عنها .

(١٤٤)

فى المكان ذاته

يا أيها الحى الذى به أحيا والهو ، وتجوس بين جنباتك عيناى ، وبين أرجائك أسير يوما بعد يوم ، وأسعى .

فى لحظات فرحى وحزنى ، ومن ثنايا شتى الخطوب والأحداث ، أعدت خلقك ،

وما عدت ، بالنسبة لى ، سوى عالم ، من صنع أحاسيسى وعاطفتى .

(١٤٥)

الكساندروس والكسندرا

الملك الكساندروس ، وزوجته الملكة الكسندرا ، وقد غمرتهما الفرحة لما تحقق ، وأفعمت قلبيهما البهجة ، يطوفان شوارع أورشليم فى موكب بادى الثراء والنعمة . الموسيقيون فى المقدمة ، يعزفون الألحان الصاخبة ، والموكب الفخم يمضى ببهاء متهاديا .

الخطة بدأها يهوذا ماكافيوس الكبير ، وأخوته الأربعة الذائعو الصيت . عمل دؤوب فى خضم أهوال ومتاعب . وها هى الآن قد تحققت الخطة بشكل رائع .

انتهى الخضوع والاستعباد لملوك أنطاكية ذوى الصلف والكبرياء . وأصبح الملك الكساندروس والملكة الكسندرا زوجته

يتساويان فى كل شئ مع آل سليفكيوس ملوك سوريا اليونانيين ، أنهما يهوديان صالحان ، أصيلان ، متدينان . على انهما بالطبع أيضا يتشدقان باليونانية فى طلاقة ، نزولا على مقتضى الحال ، لأنهما يتعاملان ، وعلى قدم المساواة ، مع يونانيين ، ومع ملوك تطبعوا بطباع أهل اليونان .

واذا كانت المعاملة الآن على قدم المساواة ، ونجحت الخطة هذا النجاح الرائع ، فلعله لا ينسى أن الخطة بدأها يهوذا مكافيوس الكبير ، واخوته الأربعة ذائعو الصيت .

(١٤٦)

هيا ، يا ملك اللاقيديمونيين

لم تسمح كراتسيكليا للناس أن يروها تبكى وتنوح .

سارت فى صمت واباء ، لا ينم وجهها الساكن عن شئ من الأحزان والعذابات التى بداخلها .

ولكن على الرغم من كل تماسكها ، فانها فى لحظة من اللحظات لم تتمالك نفسها ، وقبل أن تصعد ظهر السفينة اللعين الذى سيبحر بها الى الاسكندرية ، اصطحبت ابنها الى معبد بوسيذونوس .

وهناك ، عندما صارا وحيدين ، وكان كما يقول بلوتارخوس «مزعزع الجنان » و « فى كرب شديد » .

ضمته الى صدرها ، وقبلته بحنان .

وما لبثت عزيمتها القوية ، ان تغلبت على ضعفها ،

فاستردت هدوءها من جديد . وقالت المرأة الرائعة الى كليومينيس :

« هيا ، يا ملك اللاقيديمونيين ، عندما نخرج من هنا ،

لاتدع أحدا يرانا نبكى ، أو نأتى تصرفات بأسبارطة لا تليق .

على الأقل ، هذا لازال بمقدورنا .

أما ما بعد ذلك ، فهو مقدر لنا ، ومكتوب »

ثم صعدت السفينة ، المتجهة الى حيثما « هو مقدر لها ، ومكتوب » .

(١٤٧)

زهور جميلة بيضاء

دخل المقهى الذى الفا ارتياده . فى هذا المكان ، منذ ثلاثة شهور ، قال له صديقه « كل منا صبى فقير . لا نملك شروى نقير . تدهور بنا الحال . هوينا الى مدارك البؤس والحضيض . وانى أقول لك صراحة لا أستطيع أن أمضى معك . ثمة آخر يسعى الآن لصداقتى » وكان هذا الآخر قد وعده بسترتين ، وبعض مناديل من حرير .

وكى يستميله اليه من جديد ، سعى بشتى الطرق . قلب الأرض رأسا على عقب ، حتى دبر عشرين جنيها ، فعاد اليه من أجل هذه الجنيهات العشرين . أجل من أجل ذلك ، ولكن أيضا من أجل المشاعر القديمة ، والود القديم . كما كان الآخر كذابا ، نذلا صعلوكا .

لم يعطه سوى سترة واحدة ، وذلك بعد عديد من التوسلات ، وبكل تقتير .

أما الآن ، فما عاد يريد ثيابا على الاطلاق . لا يريد مناديل من حرير ، ولا أيضا يريد العشرين جنيها ، بل ولا حتى من البنسات عشرين .

يوم الأحد دفنوه ، فى العشرة صباحا . يوم الاحد ، منذ قرابة أسبوع ، واروه التراب .

على تابوته الرخيص ، وضع من أجله بعض الزهور البيضاء ، زهور جميلة بيضاء . وكانت مناسبة له ، ولوسامته وسنى عمره الاثنتين والعشرين .

وعندما اقتضدته لقمة العيش ، أن يذهب ، فى المساء ، الى المقهى الذى الفا ارتياده معا ، أحس بالمقهى الكئيب طعنة فى قلبه نجلاء لا تلين .

(١٤٨)

كان يسأل عن الصنف

خرج من المكتب الذى أسندت اليه فيه

وظيفة تافهة ، زهيدة الأجر ،

(حوالى ثمانية جنيهات فى الشهر ، بما فى ذلك المنح)

يظل من أجلها منكفئا على عمله طوال اليوم ، محنى الظهر .

خرج فى السابعة بعد أن أنجز عمله بالمحل بعد الظهر ، وراح يسير الهوينا ، متسكعا فى الشوارع . حسن المظهر ، لافتا الانظار الى طلعته التى تعلن عن بلوغه سن النضج فقد أتم الشهر الماضى التاسعة والعشرين من عمره ،

تسكع فى الشارع الرئيسى ثم فى الشوارع الجانبية الفقيرة التى تقود الى بيته .

وفى مروره أمام حانوت صغير ، يبيع خردوات رخيصة للعمال ، لمح فى الداخل وجها استلفته ، رأى طلعة دفعته الى الدخول . تظاهر بأنه يريد أن يشترى بعض المناديل الملونة .

سأل عن الصنف ،

وعن الثمن ، مبحوح الصوت ،

منطفئا من فرط الرغبة .

وجاءته الاجابات على ذات النحو ،

مرتبكة ، هامسة ،

منطوية على رضاء وقبول .

ظلا عن السلعة يتحدثان

ولكن الغرض من ذلك ، كان أن تتلامس الأيدى ممسكة بالمناديل ، وان يتقارب الوجهان والشفاه ،

كما لو كان ذلك عرضا ، وبمحض الصدفة .

وأن يحظى الجسدان بمنحة اللقاء .

كل شئ يجرى سريعا ، وفى طى الكتمان ، حتى لا يتنبه صاحب الدكان الجالس فى أغوار المكان لما يجرى بينهما ، هما الاثنان .

(١٤٩)

كان الأجدر بها

انحدر بى الحال ، حتى كدت أفلس ، وصرت بلا مأوى .

هذه المدينة الغانية ، أنطاكية ،

هذه اللعوب بتكاليفها الباهظة ،

التهمت كل مال عندى .

ولكنى أحتفظ بشبابى ، وصحتى على أكمل حال .

أجيد اليونانية اجادة فائقة

(أعرف وأى معرفة ، أرستطاليس وأفلاطون

كما أعرف خطباء وشعراء . أعرف كل من ببالك يخطرون)

عن الفنون العسكرية لدى فكرة .

وتربطنى ببعض قواد المرتزقة صداقة قوية ،

وفى شئون الادارة لدى خبرة ،

فقد أقمت ستة أشهر بالاسكندرية في السنة الماضية .

وألم الى حد ما (وهذا مفيد)

بتدبير المؤامرات ، واقتراف الأعمال القذرة ، بل واقوم أيضا بغير ذلك من مهام ،

ومن ثم كلما فكرت انني بهذه الصلاحية

أدركت أنني أهل لخدمة هذا البلد ،

وطني الحبيب سورية .

سوف أبذل قصارى جهدى فى أى عمل يسند الى كى أكون نافعا . هذا هو مطمحى

ولكن لو وضعوا فى وجهى العراقيل بأساليبهم –

ونحن على علم بما يفعل هؤلاء الشطار ، وهل نميط اللثام عن المستور الآن ؟

لو وضعوا فى وجهى العراقيل ، فما ذنبى أنا ؟

سأتوجه الى سافينا أولا

فاذا لم يقدرني هذا الاحمق حق قدرى

سألجأ الى خصمه ، غريبو ،

فاذا لم يقبلني هذا الغبى بدوره

سأمضى توا الى ايركانو .

سوف أكون مرتاح الضمير

لهذا الاختيار الذى لا يعنيني فى قليل أو كثير

فثلاثتهم فى الاضرار بالوطن سواء.

ولكن ما ذنبى ، وأنا الرجل المعوز المسكين

الذى يلتمس لفقره ستراً ؟

أما كان الأجدر بالهة الشعوب ،

أن تخلق حاكما رابعا يتصف بالصلاح ،

وقد كنت سأنضم الى هذا الأخير بكل سرور وارتياح .

(١٥٠)

المرآة فى القاعة

فى قاعة البيت الثرى ، مرآة كبيرة ، عجوز ، اشتريت منذ ثمانين عاما مضت .

وقف هناك فتى وسيم ، يعمل صبيا لدى حائك ثياب ، وأيام الآحاد يمارس الرياضة هاويا - وقف هناك يحمل لفافة ، سلمها الى واحد من أهل البيت . أخذها منه ، ودخل يحضر له إيصال الاستلام .

ترك الصبى وحيدا فى القاعة ، فمضى ينتظر .

ذهب الى المرآة . وشرع ينظر الى صورته المنطبعة هناك .

أصلح من رباط عنقه . وبعد خمس دقائق ، خمس دقائق قصار ، أحضروا له الإيصال ، فأخذه ، وانصرف .

على أن المرآة العجوز ، التى رأت ، ورأت ، على مدى سنى عمرها المديد ، آلاف الاشياء وألاف الوجوه - المرآة العجوز كانت سعيدة الآن وفخورا أن تلقت على اديمها تلك الوسامة

كلها ، لبضع لحظات .

(١٥١)

وصفة لسحرة يونانيين قدامى

من أهل سورية

قال باحث عن الجمال :

« وددت أن أجد أكسيرا من أعشاب سحرية ، اكسيرا لسحرة يونانيين قدامى من أهل سورية ، يعيدنى (ان لم يقو مفعوله على الدوام أطول من ذلك) ليوم واحد ، أو حتى لسويعات قصار ، الى الثالثة والعشرين من عمرى ، ويعيد الى الثانية والعشرين رفيق صباى .

كما يعيد الى وسامته ، ومودته .

أكسير لسحرة يونانيين قدامى من أهل سورية ، يستعيد الماضى ، فيستحضر من جديد غرفتنا ، غرفتنا الصغيرة ، التى كانت لنا » .

(١٥٢)

في عام ٢٠٠ قبل الميلاد

« الاسكندر بن فيليب واليونانيين بغير اللاقيديمونيين »

يمكننا أن نتصور جيدا ، كيف أن أهل أسبارطة ما

كانـوا يكتـرثون على الأطـلاق بهـذا النقـش القـائل : « .. بغير اللاقيديمونيين »

فما كان أهل أسبارطة ليرضوا بطبيعة الحال ، ان يقادوا ، ويؤمروا ، مثل أرقاء غلا ثمنهم .

هذا فضلا عن أنهم ما كانوا ليتصورون بعثة تمثل اليونانيين بدون ملك من بينهم ، يتولى الرياسة ، واعتبروا أن مثل هذه البعثة بغير ملك اسبارطى اجراء لا قيمة له .

وعلى ذلك ، فان التحفظ الذى أورده النقش فى قوله « بغير اللاقيديمونيين » أنما نم ، ولا شك ، عن موقف ملموس .

وهكذا فانه « بغير اللاقيديمونيين » فى جرانيكوس ، ثم فى أيسوس ، وبعد ذلك فى المعركة النهائية ،

اكتسحت جيوش الفرس الساحقة ، عند ارابيل ،

حيث خرجت للحرب جيوش الرعب تلك ، ومنيت بالدمار ، من هذه الحملة اليونانية الشاملة ، المنصورة ، الباهرة ، التى طبقت شهرتها الآفاق ، ولم يدان أى نصر فى الشهرة نصرها .

– من هذه الحملة التى لم يسبق لها مثيل ، خرجنا نحن .

نحن السكندريين ، وأهل أنطاكية وربوع الشام وعديد غيرنا من يونانيى مصر وسورية ،

وأولئك الذين فى بلاد الفرس وميديه ، وسائر الآخرين كلهم .

خرج عالمنا اليونانى الجديد شامخا .

بأقاليمنا الواسعة ، وأنشطتنا المتنوعة ،

وتحررنا الفكرى ،

ولغتنا اليونانية الواحدة التى حملناها

حتى فاكتريا ، بل والى الهنود نقلناها .

ثم بعد ذلك كله ، تتحدث عن « لاقيديمونيين » .

(١٥٣)

أيام ١٩٠٨

كان ذلك هو العام الذى بقى فيه دون عمل .

يلعب النرد والورق ، ويستدين ، لأجل سد الأود .

عرضت عليه وظيفة فى مكتبة ، مقابل ثلاثة جنيهات فى الشهر .

لم ير ذلك العرض مناسبا ، ولم يكن الأجر على الأطلاق لائقا ، فرفضه على الفور .

كان فى الخامسة والعشرين من عمره ، وعلى قدر من التعليم لا بأس به .

لا يكاد يكسب فى اليوم شلنين أو ثلاثة شلنات ، من لعب النرد والورق . وماذا يمكن أن يكسب أكثر من ذلك صبى مثله فى المقاهى الرخيصة التى يرتادها من هم على شاكلته ، رغم انه يلعب بمهارة ، وينتقى لاعبين بليدى الفهم .

أما عن الاستدانة ، فلم يكن فيها موفقا . ونادرا ما كان

يجد من يرضى أن يقرضه ريالا ، والأغلب أنه كان ينزل الى النصف ريال ، وفى بعض الأحيان كان يقنع بشلن .

وعندما كان ينجو بجلده أسبوعا أو أكثر فى بعض الأحيان من مجالس السهر المرهقة ، كان يلطف حرارة جسمه بالنزول الى البحر ، للسباحة في الصباح ، والاستجمام .

كانت ملابسه فى حالة من السوء بالغة . يرتدى على الدوام سترة واحدة ، سترة متهرئة ، بنية حائلة اللون مثل القرفة .

يا أيام ذلك العام ، عام التسعمائة والثمانية ، اختزنتك ذاكرتى ومن صورتك ، انمحت رويدا رويداً السترة المتهرئة ، البنية الحائلة اللون مثل القرفة .

واحتفظت به ، يخلع سترته المتهرئة . يلقى بها من عليه ، ثم ينفض عنه ملابسه الداخلية المرتقة . ويبقى أمامى عارى القوام بالغ الكمال مثل تحفة لا تشوبها شائبة . شعره مشدود الى الوراء غير ممشط . وقد لوحت الشمس قليلا أطرافه ، بسبب عرى الصباح ، أثناء الاستحمام فى البحر ، والاستلقاء للاستجمام على الشطئان .

(١٥٤)

على مشارف أنطاكية

انتابتنا الدهشة عندما علمنا بالجديد من تصاريف يوليانوس .

أوضح أبولون لسيادته الوضع فى ذافنى !

لن يتكهن له بالغيب (وماذا يعنينا الامر !) ولن يدلى له بنبوءة ، مالم يزل من فنائه فى ذافنى كل قذارة .

كان يشعر بالضيق من جيرانه الموتى .

توجد فى ذافنى قبور كثيرة .

وكان أحد المدفونين هناك ، المستأهل للحمد ، فخر كنيستنا ، القديس المنتصر فافيلاس .

وهذا من كان يعنيه المتأله الدعى ، ويخشاه .

فما كان ليجرؤ ، وهو يشعر به الى جواره ، ان يمارس الوهيته ، أو ينطق من نبوآته بكلمة .

(الآلهة الدعية يتملكها الرعب من شهدائنا)

على أن يوليانوس الدنس شمر عن ساعديه ، وكان متوتر الأعصاب ، فشرع يصيح :

« ارفعوه ، أزيحوه . القوا حالا بفافيلاس هذا ، خارجا . هل يعقل ؟ أبولون يتأذى من وجوده ونتركه ؟ أحكموا وثاقه فورا ، وانزعوه من قبره . أحملوه ، وخذوه أينما شئتم . وهل هذا وقت اللعب ؟ أمر أبولون بأن ينظف فناؤه ، اطرحوه اذن خارجا . أطردوه » .

أخذنا الرفات المباركة ، وبكل الاجلال والحب لها ، ذهبنا بها الى مكان آخر .

ومع ذلك ، لم يطل الوقت ، وحلت بالمكان البركات . شب حريق ، حريق مدمر ، كبير ، أتى على الفناء كله ، فاحترق ،

واحترق أبولون معه .

صار فحما ، رمادا يكنس ، ويلقى به الى القمامة .

كاد يوليانوس ينفجر غيظا . أشاع - وماذا كان بامكانه أن يفعل غير ذلك ؟ - ان النار أشعلناها نحن المسيحيين . فليقل ما يحلو له أن يقول ، فلم يثبت فى حقنا شئ ، والقدر المتيقن والمهم انه كاد ينفجر غيظا لما حدث .



الحــواشــى (*)

(*) الارقام الواردة بالصفحات التالية تشير الى أرقام القصائد .

٤ - الراجح ان المشهد ، واسم أفيمينيس من ابتكار كافافيس . أما ثيوكريتوس فهو الشاعر الرعوى اليونانى الكبير الذى عاش فى الفترة من ٢١٠ الى ٢٤٠ ق.م. وقد ولد فى صقلية وأمضى فترة من حياته بالاسكندرية . ويبدو أن شكوى هذا الشاعر الشاب ، والنصائح التى يسديهااليه الشاعر ثيوكريتوس تتضمن تعبيرا من كافافيس عما كان يتوقعه هو أن يقدمه بفنه الشعرى ، أى أن هذا الحوار فى الواقع هو بين كافافيس ونفسه ، فهو أفيمينيس وثيوكريتوس معا .

٧ - وقد أشار هيرودوت (٧-٢١٣/٢٢٣) الى افيالتيس هذا ، الذى خان بلده ، وقاد جيوش الفرس عبر ممر جبلى كان خافيا عليهم من أجل مهاجمة مؤخرة القوات اليونانية التى كانت تحمى ممر ثيرموبيليس تحت قيادة الملك الاسبرطى ليونيذاس (عام ٤٨٠ ق.م.) .

٨ - عنوان القصيدة مكتوب باللاتينية ، وهو مقتبس من جحيم دانتى (٣ - ٦٠) وهى عبارة منسوبة الى البابا سيليستينوس الخامس وكانت تجرى فى الاصل بالآتى « ذلك الذى أقدم على الرفض الكبير بسبب جبنه » وقد حذف كافافيس من عنوان قصيدته « بسبب جبنه » فظل العنوان « ذلك الذى أقدم على الرفض الكبير » .

١٠ - لم يصبح كل من أخيل وديموفون خالدا لأن بيلوس ملك فيثيا والد اخيل ، وميتانيرا ملكة اليفسيس والدة ديموفون ، تدخل كل منهما من جانبه ومنع الأول الهة البحر ثيتيس (انظر « حنث بالوعد » ١٧) ومنعت الثانية الهة الحصاد ديمترا من اكمال طقوس النار التى كان من شأنها جعل الطفلين خالدين ،

لايمسهما الموت أبدا . ويحكى نشيد هوميروس الى ذيميترا أن ميتانيرا زوجة بيليوس ، ملك اليفسيس تلقت فى قصرها ذيميترا فى هيئة أمرأة عجوز ، فعهدت اليها بعناية أبنها ديموفون . وذات ليلة استيقظت الملكة ميتانيرا على ضوء باهر فى القصر ، فنهضت ، ووصلت فى اللحظة الأخيرة لتمنع ذيميترا من ان تزج بطفلها فى النار كى تكفل له بذلك الخلود . ولهذا بقيت ميتانيرا فى الأساطير الاغريقية رمزا للتدخل الارعن فى الشئون المقدسة .

وثمة أسطورة أخرى مماثلة تحكى عن الرعب الذى عاين الملك بيليوس ، وهو يعاين ما تفعله ثيتيس لتكفل لأخيل الخلود . فقد كان بيليوس ، ملك ثيساليا ، قد تزوج ثيتيس ابنة آله البحر ، التى أرادت أن تعرف ما اذا كان أولادها من بيليوس قد ورثوا عنها الخلود ، الا أن بيليوس تدخل فى الوقت المناسب ليوقفها عن تنفيذ ما انتوته ، وينقذ بذلك أخيل من الالقاء به إلى النار . وهذا ماتجرى به الأسطورة فى روايتها المألوفة ، الا أن قصيدة كافافيس تنحو منحى آخر فتومئ الى أن ثيتيس إنما قصدت أن تحرق الجزء غير الخالد فحسب من ابنائها ، لتكفل لهم بذلك الخلود .

١٢ - كان بريamوس أثناء حرب طروادة ملكا على طروادة وكانت هيكوبا ملكة عليها (أنظر أيضا القصيدة ٢٠) .

١٣ - كان نيرون (أنظر « نهاية نيرون » ٧٧) ابن دوميتيوس أينوباريوس وأغريبينا . وقد تزوجت أغريبينا فيما بعد الامبراطور كلوديوس ، ثم قتلته بالسم ، وأعطت العرش لابنها ، الذى ما لبث ان ارتكب أكبر المعاصى بقتلها . وقد ألف الرومان

أن يضعوا فى أرجاء بيوتهم أصناما صغيرة معبودة ، يطلقون عليها اسم لاريس معتقدين أن بث هذه الآلهة الصغيرة فى أرجاء البيت فيه حماية له وأمان . وما كان يوضع من هذه المنحوتات المعبودة بجوار المدفأة كان يسمى لاراريوم . ولكن ماذا تجدى هذه الآلهة الصغيرة إزاء مطاردة الهة العقاب لنيرون على معصيته الكبيرة ، قتل أمه ؟ لابد أن الآلهة الصغيرة سوف تولى الادبار أمامها ، أو تنزوى فى الأركان القصية من البيت طالبة الحماية .

١٥ – كتبت فى أول سبتمبر ١٨٩٦ . تحت عنوان «سجون» . ومن المرجح انها طبعت فى يناير ١٨٩٧ مع ترجمة انجليزية لها بقلم شقيق الشاعر تحت عنوان «كم أعانى من أشياء جائرة» وهى كلمات أيسخسلوس فى تراجيديته «بروميثيوس مقيدا» . ورغم أن هذه القصيدة لم تكن من القصائد التى رفضها كافافيس مثل كثير من قصائده الباكرة التى سبق أن نشرها ما بين عامى ١٨٨٦ و ١٧٩٨ الا أنه لم يدرج هذه القصيدة فى مجموعتيه اللتين طبعهما طبعة خاصة عام ١٩٠٤ وعام ١٩١٠ .

١٦ – المشهد من الخيال ، ويجرى فى مدينة تقليدية من مدن الدولة الرومانية ، دب فيها الفساد .

١٧ – بالنسبة للشخصيات الرئيسية فى القصيدة يمكن الرجوع الى قصائد « جوادا أخيل » (٢٠) و « جناز ساربيذون » (١٨) و « ايقاف » (١٠) والتعليقات على هذه القصائد .

والعبارة التى اثبتها كافافيس على رأس قصيدته مسترشدا بها ، مستقاة من « جمهورية » أفلاطون (٢ – ٣٨٣) وهى تتضمن بعض أبيات من ثلاثية مفقودة لايسخيلوس .

١٨ - هذه القصيدة مأخوذة من الالياذة (١٦ - ٦٦٥/٦٨٣) وفى جزء كبير منه هى مترجمة ترجمة حرفية عنها . وقد نشرت أول الأمر فى ديسمبر ١٨٩٨ تحت عنوان « الايام القديمة » ثم أعيد كتابتها ونشرت فى أغسطس ١٩٠٨ وعلى الرغم من ان كافافيس على ما يبدو لم يرفض هذه القصيدة فانه لم يضمنها مجموعاته الخاصة عام ١٩٢٠ بعنوان « قصائد ١٩٠٨-١٩١٤ » وعام ١٩٢٦ بعنوان « قصائد ١٩٠٧ - ١٩١٥ » وعام ١٩٣٠ بعنوان « قصائد ١٩٠٥ - ١٩١٥ » وعلى خلاف « الخطوات » (التى نشرت أول مرة عام ١٨٩٧ ثم أعيد كتابتها عام ١٩٠٨ ونشرت عام ١٩٠٩) يبدو أن هذه القصيدة ظلت معتبرة من قصائد ١٨٩٨ .

وقد قتل سارابيذون ملك ليكيا بيد باتروكولوس بن مينيتيوس (أنظر « جوادا أخيل » ٢٠) ويعود أبولو الي الظهور فى قصيدتى « حنث بالوعد » (١٧) و « على مشارف أنطاكية » (١٥٤) .

وبحسب رواية هوميروس فان ساربيذون أو ساربيذونوس كان ابنا لزيوس كبير الالهة ، وكان قائدا لأهل ليكيا ، وحليفا لبرياموس وهو أحد الأبطال الأسطوريين للالياذة ، وملك طروادة وزوجا لهيكافى وأبا لهيكتور وباريس وهما من أبطال حرب طروادة المبرزين .

١٩ - الغالب أن كافافيس لا يصف فى هذه القصيدة عملا بعينه من أعمال النحت الأغريقى ، وليس دامون سوى شخصية وهمية . وذلك على الرغم من التفاصيل المنتقاة بحرص وتبدو وكأنها حقيقة .

٢٠ – كان باتروكولوس (أنظر « جناز سرابيذون ») صديق أخيل (أنظر « حنث بالوعد » و « أهل طروادة ») وابنا لبيلوس وثيتيس (أنظر « ايقاف » و « حنث بالوعد ») . وهذه القصيدة مستوحاة من « الالياذة » كما كان كافافيس قد كتب عام ١٨٩٣ قصيدة أخرى مستوحاة من الالياذة بعنوان « نزهة برياموس الليلية » وقد ظلت هذه القصيدة غير منشورة حال حياة مؤلفها . (وقد خصصنا لقصائد كافافيس التى لم تنشر حال حياته كتابا آخر فى طريقه الى الصدور قريبا) .

٢١ – عنوان القصيدة الذى يتردد فى بيت منها عبارة مستقاة من « الحلم » للوقيانوس حيث يروى هذا السفسطائى والكاتب ذائع الصيت الذى كان أيضا من أهل مدينة سوموصات السورية كيف انه فى شبابه اختار مهنة الأدب ، فقد رأى فى حلم له طيفا يرمز للثقافة . وقد وعده الطيف ، ضمن وعود أخرى بالمجد والشهرة ، قائلا : لو أنك رحلت الى الخارج ، فانك حتى على التراب الأجنبى لن تكون نكرة ، لأننى سأضفى عليك من الأمارات المميزة ما سيجعل كل من يراك يشير اليك ، ويقول لجاره « هذا هو الرجل ! » أو « أنه لرجل عظيم » .

أما المشهد الذى تدور فى اطاره القصيدة ، وبطلها فهما من صنع الخيال . وقد كانت أديسا عاصمة أسروين (أنظر « فى مدينة من اسروين » ٦١) وكانت أنطاكية بالطبع عاصمة سوريا ، ولايدانيها فى حب كافافيس للمدن القديمة سوى الاسكندرية . وقد كان ذلك الرجل القادم من اديسا يتحدث فى الأصل اللغة السورية ، وان كان يكتب قصائده ، باليونانية . وبذلك يكون منتميا الى ذلك النمط الشرقى المتأغرق ، وهو النمط

الذى كان كافافيس يهواه ويكن له التقدير ، لأنه هو بدوره كان يعتبر نفسه من هذا النمط .

٢٢ – كان ديمتريوس بوليورخيتيس ملكا على مقدونيا ، وقد خلع عن العرش عام ٢٩٤ ق.م. اذ تخلت قواته المقدونية عنه وانحازت لخصمه بيرثوس بعد ان كان ديمتريوس قد أنهكها بحروبه . وقد اتخذ كافافيس مدخلا لقصيدته ما أورده بلوتارخوس عن حياة ديمترويوس ويجرى بالآتى :

« .... وليس كملك ، بل كممثل ، ترك أرديته الملكية ، مكتفيا بعباءة قاتمة اللون ، وانصرف دون أن يلحظه أحد » .

وتختلف وجهة نظر كافافيس عن وجهة نظر بلوتارخوس . فهذا الأخير اعتبر ديمتريوس أميرا مكروها ، رغم أعجابه بحضور بديهته وقت الخطر . أما كافافيس فقد أعتبر ديمتريوس مثلا أعلى على عدم الاكتراث بالملك ، والزهد فى الجاه والسلطة . فهو غير متكالب على المنصب ، بل أنه بمجرد أن خذله من أدلوا بالأصوات مفضلين عليه بيرثوس ترك كل شئ ورحل ، وفى رداء بسيط ان دل على شئ فعلى التقشف والاعراض عن متع الدنيا ، وكأنه يقول ان الملك ليس سوى متعة زائلة من متع الدنيا . وقد عرف ديمتريوس ذلك ، فلم يحزن على ما فاته من هذه المتع بعدم انتخابه ، بل ودع النفوذ والسلطان فى هدوء وصمت . ومضى لحال سبيله منسحبا بلا صخب ، وبلا مراسم ، وبلا طقوس ، ولعله بذلك قد استمع الى الصوت الذى أسمعه كافافيس لانطونيوس ، وهو مهزوم آخر على شاكلته ، عندما قال له ان هذه الاسكندرية تبتعد عنك ، أى هذا المملكة ما عادت لك ، فودعها ، لا كجبان رعديد بل بيقين انك قد فقدت

اللعبة ، وسحب البساط من تحت قدميك ، فأمض ، انصرف بهدوء وبلا صراخ أو جلبة .

وبالاضافة الى النبذة المأخوذة من بلوتارخوس والتى وضعها كافافيس على رأس قصيدته رغم أنه ناقضها ، فقد وصف لوقيانوس ما حدث لديمتريوس بقوله :

« وهكذا ذهب الى خيمته ، ولف حول وجهه عباءة سوداء ، بدلا من الدثار الثمين الفاخر الذى ألف أن يرتديه ، وكممثل عادى ، وليس كملك ، تسلل بعد ذلك خارجا » .

٢٣ - كانت « المدينة » أو « الولاية » (٢٤) فى مقدمة القصائد الباكرة الناجحة ، وذلك على الاقل حتى عام ١٩١٦ .

٢٤ - الولاية اقليم يرأسه وال تحت حكم ملوك الفرس .

وربما تأثر كافافيس فى قصيدته هذه بما أورده بلوتارخوس (٢٥ - ١) عن السنوات الأخيرة من حياة ثيميستوكليس التى اضطر فيها هذا السياسي الأثينى المبرز (حوالى ٥٢٥ - ٤٦٠ ق.م.) وقد عانى من عدم وفاء مواطنيه وجحودهم نحوه ، أن يرحل الى « سوسا » (السوس) (عاصمة فارسية) حيث آواه ملك الفرس وأكرم وفادته حتى نهاية عمره .

وعلى الرغم من ان الاشارة فى القصيدة الى أرتاكسيركسيس أو ارتحششتا (وربما كانت هذه الاشارة الى أول ملوك الفرس الثلاثة الذين حملوا هذا الاسم) وقد حكم فى الفترة من ٤٦٤ الى ٤٢٤ قبل الميلاد) الا أنه قد روى عن كافافيس قوله أن بطل هذه القصيدة ليس بلازم أن يكن ثيمستوكليس ، أو حتى ديماراتوس (أنظر قصيدة ١٠٠) أو أى سياسي أخر فى

الحقيقة ، بل ليس ثمة ما يمنع أن يكون البطل أى فنان أو عالم ، وقد كانت سوسا (السوس) عاصمة ملوك الفرس من أسرة الاخيمنيد (٦٤٥ - ٣٣٠ ق.م.) .

٢٥ - روى أن أحد العرافين حذر يوليوس قيصر (أنظر قصيدة « ثيوذوتوس » ٤٦) من اليوم الخامس عشر من مارس . وفى صباح هذا اليوم من عام ٤٤ ق.م. ، حاول ارثيميذوروس بلا جدوى أن يسلم يوليوس قيصر رسالة تكشف المؤامرة التى دبرها له بروتوس وكاسيوس . (راجع حياة يوليوس قيصر لبلوتارخوس . أنظر أيضا مسرحية « يوليوس قيصر » لشكسبير) .

وأرتيميذوروس المشار اليه فى هذه القصيدة هو أحد الحكماء من افيسوس وهى من مدن آسيا الصغرى ، عاش فى القرن الثانى بعد الميلاد وكان بارعا فى تفسير الاحلام ، وألف كتابا باكرا فى الموضوع ترجمه الى العربية بعنوان « تعبير الرؤيا » حنين بن اسحاق (المولود عام ٨٠٩ أو ٨١٠ ميلادية والمتوفى حوالى عام ٨٧٦) . ويلاحظ ان كافافيس فى قصيدته يعمد من جديد الى خلط الأوراق التاريخية ، فارتيميذوروس هذا لم يكن معاصرا ليوليوس قيصر ، ولكن مفسرى الاحلام من أمثال ارتيميذوروس كثيرون في كل زمان . ولهذا فليس بمستبعد أن يكون ارتيميذوروس ، هذا - على حد قول كافافيس ذاته فى قصيدته - أى ارتمينوروس ، أو بعبارة أخرى « واحد مثل ارتيميذوروس من مفسرى الاحلام » .

٢٦ - لمزيد من الاشارات الى انطونيوس أنظر القصائد « فى الاسكندرية ٣١ ق.م. » (١١٣) و « فى مدينة بآسيا

الصغرى » (١٢٥) وعنوان القصيدة مقتبس من كتابات بلوتارخوس عن حياة أنطونيوس . والأكثر دقة أن يقال الاله يتخلى عن انطونيوس . وهذا الاله هو ذيونيسسيوس الذي لقبه الرومان باخوس (انظر القصيدة ١٩) فقبيل مقتل انطونيوس بساعات قليلة سمع فى الاسكندرية موكب باخوس وحاشيته من الالهة الثانويين ، بكل صخبه ، يمر بشوارع الاسكندرية . ويروى بلوتارخوس فى « حياة انطونيوس » انه نحو منتصف الليل ، بينما كانت المدينة غارقة فى الصمت والاسى ، تنتظر مرتعبة معركة الغد الفاصلة ، سمعت فجأة الانغام المتناسقة المنبعثة من شتى آلات العزف الموسيقية يصاحبها تهليل الجماهير ، وأغانى الباخوسيات ، وصخب المساخيط الماضين ، كما لو كانوا فى مظاهرة تخترق المدينة ، فى اتجاه معسكر الاعداء وبالقرب من أسوار المدينة زاد هذا الصخب ارتفاعا ، ثم أعقب ذلك الصمت . وتساءل الناس عن سبب هذه الواقعة ، وقالوا ان الاله الذى دأب انطونيوس على خدمته ، واتخذ منه قدوة ومثلا أعلى هجره الآن ، وتخلى عن مؤازرة قضيته .

وقد استخدم الحادثة المروية هذه شكسبير بدوره فى مسرحيته أنطونيوس وكليوبترا (الفصل الرابع) .

٢٩ - المشهد فى هذه القصيدة وبطلها من صنع خيال الشاعر . أما «تيانا» (أنظر لو كان حقا مات » ٩١) فكانت مدينة فى كاباذوكيا . وكانت « ريا » ابنة السموات والأرض ، وزوجة ساتيرون ، وأما لآلهة الاليمب . وكان ماريوس (١٥٧ - ٨٦ ق.م.) وايميليوس باولوس (مات عام ١٦٠ ق.م.) وسكيبيو افريكانوس (٢٣٦ - ١٨٣ ق.م.) من أشهر قناصل وقواد

الرومان . أما عن بومبى فراجع قصيدة « ثيوذوتوس » (٤٦) وعن باتروكولوس راجع « جناز ساربيذون » (١٨) و « جوادا اخيل » (٢٠) .

ويفترض أن هذا المثال اليونانى الذى تخيله كافافيس قد مارس صنعته فى روما ، ربما بعد اغتيال يوليوس قيصر بقليل ، ما دام أن تمثال قيصرون ، وهو ابن قيصر وكليوبترا ، يوجد ولو حطاما فى ورشته . وسوف نرى فيما بعد قصائد أخرى عن هذا الامير الصغير التعس . أنظر « قيصرون » (٧٣) و «ملوك الاسكندرية» . (٣٥) وتعتبر الاراء التى يعرب عنها الفنان فى القصيدة هى الآراء المعروفة عن مفهوم أفلاطون للعمل الفنى .

٣٠ – تجرى القصيدة أثناء الحكم المشترك لابنى قسطنطين الأكبر (٣٣٧ – ٣٥١ م) قسطانس وقسطنطيوس وقد خلفاه فى العرش مشاركة مع أخيهما قسطنطين الثانى ، اثر وفاته ، عام ٣٣٧ . ثم انفرد قسطنطينوس بالحكم بعد وفاة كل من أخويه .

والطالب السورى ميرتياس الذى تحكى عنه القصيدة يبدو من بنات أفكار الشاعر . راجع أيضا قصيدة « يوليانوس فى نيقوميذيا » (١١١) .

٣١ – لم يحدد كافافيس أى «لاجيدى» يقصد ، أو بعبارة أخرى أى «بطلسى» ، ممن حكموا مصر ، ولا أى « سليفكى » ممن حكموا سوريا ، ولكن الحقبة المتحدث عنها على أى حال ، هى ما بين عامى ٣٢٣ و ٣٢١ قبل الميلاد وربما كان كافافيس – على حد ما ورد فى ترجمة مارجريت أورسنر وقسطنطين ذيماراس من تعليقات ص. ٢٤٦ – قد قصد بحديثه على وجه

الخصوص بطليموس الثانى « فيلاذيلفوس » أى «المحب لأخيه» وقد كان راعيا للفنون والآداب ، وحكم بالاسكندرية فى الفترة من ٢٨٥ الى ٢٤٧ ق.م. .

والبطالسة أو البطالمة ملوك مصر الهلينيستية ذوو الاصل المقدونى ، وقد أرسى حكم هذه الأسرة بطليموس الأول «سوتيروس» أى «المخلص» ، وذلك لأنه كان قد خلص أهل رودس من الطاغية ديمتريوس بوليورخيتيس ، فمنحه اهل الجزيرة هذا اللقب الذى صار يعرف به .

وقد كان بطليموس هذا ابنا للآجوس ، وهو الملك المقدونى ، وارسينوى احدى سيدات بلاط الملك فيليب الثانى . وقد التحق بطليموس ضابطا بجيش الاسكندر الأكبر ، وبرز فى المعارك التى خاضها تحت قيادته ، وعند موته حصل على حكم مصر (٣٢٣ ق.م.) وقد اشترك فى حروب خلفاء الاسكندر ، ولكنه احتفظ على الدوام بحكم مصر ، التى جعلها مملكة له ولاولاده من بعده ، وجعل من الاسكندرية عاصمة ، ودعا اليها العلماء والشعراء من العالم الهلينى كله ، بعد ان كان قد أنشأ فيها « المكتبة » و « المتحف » وقد أشرك فى الحكم معه أبنه المفضل لديه « فيلاديلفوس » . أى « المحب لأخوته » . ومات بعد سنتين من ذلك . وقد واصل بطليموس الثانى جهود أبيه فى الداخل . وبالنسبة لسياسته الخارجية أبرم معاهدة مع الرومان مكرسا وقته كله للشئون الداخلية فارتقى بمصر الى مستوى عال من الرخاء حيث أسس عديدا من المدن على غرار الاسكندرية . وقد خلفه فى الملك بطليموس الثالث الملقب «افيرغيتيس» أى «المحب للاحسان» (٢٤٦ - ٢٢٢ ق.م.) وقد قاد حملة عسكرية الى الشرق ، وصل بها الى بابليون ، وعاد منها بأسلاب وغنائم

كثيرة ، مما جعله يستحق بحق لقب افيرغيتس أى المحب للاحسان . كما ابحرت سفنه فى البحر الأحمر ، وأخضع لسلطانه جزءا من الحبشة كما ذاع صيته كراع للفنون والآداب والعلوم . وبعد موته بدأت مصر البطلمية طريقها الى الانحدار . وقد عرف خليفته بطليموس الرابع بجرائمه وانحرافاته وانصرافه عن شئون الحكم تاركا مقاليد البلاد فى أيدى وزيره سوسيبيوس . ومع ذلك ، فقد أوقع بانطيوخوس الثالث الكبير هزيمة فى رفح ، عام ٢١٧ ق.م. واستولى على أقليم فلسطين كما سار على نهج سلفه فى رعاية الأدب والأدباء . أما بطليموس الخامس الملقب «ابيفانيس» أى «الظاهر» (٢٠٥ – ١٨١ ق.م.) فكان يبلغ من العمر خمس سنوات عند وفاة أبيه ، فعمد ملوك مقدونية وسورية الى تجريده من أقاليم مملكته حتى تدخّل لصالحه الرومان معززين حكمه ، فعاش فى نعمة بفضل حكمة وزيره اريستومينيس الذى أجبره الملك على الانتحار بشرب السم . على ان بطليموس الخامس نفسه مات بدوره مسموما بعد ذلك . ومن ذلك الحين عاشت مصر تحت السيطرة الرومانية ، الى ان خفضها أوغسطوس الى مجرد أقليم من أقاليم الامبراطورية الرومانية ، بعد ان كانت مصر ولاية تابعة للأمبراطور .

واذا كان بطليموس الأول قد أسس فى الاسكندرية ملك البطالسة ، فقد أسس قائد آخر من قواد الاسكندر الأكبر يدعى سليفكيوس ملك السلفكيين فى سوريا .

وآل سليفكيوس «سليوكس» أو «السيلوكيين» أسرة حكمت سوريا من ٣١ الى ٦٥ ق.م. وقد كان سليفيكوس الأول الملقب بالمنتصر «نيكاتور» والمولود حوالى عام ٣٥٨ ق.م. ضابطا فى

جيش فيليب الثانى ثم الاسكندر الاكبر ، وقد برز فى ساحة المعركة بالهند . وعند موت الاسكندر عام ٣٢٣ ق.م. تتبع «بيرذيكاس» الى مصر ، ولكنه انقلب عليه مع سائر العسكريين من خلفاء الاسكندر المتنازعين على أقاليم تركته بعد وفاته عام ٣٢١ . فعهد اليه بولاية بابليون التى انتزعها منه أول الأمر «انطيجونوس» ثم عاد فاستردها عام ٣١٢ ق.م. ومن هذا التاريخ يبدأ ملك سورية . وشرع بذلك سليفكيوس فى إعادة بناء الامبراطورية الشرقية للاسكندر الاكبر . وبفضل نفوذ زوجته الفارسية «أباميا» استطاع ان يبسط نفوذه حتى بلاد الهند . وفى عام ٣٠٦ ق.م. حصل رسميا على لقب «ملك» وقد كان لانتصاره فى افسوس عام ٣٠١ ق.م. الفضل فى بسط نفوذه أيضا على جزء من آسيا الصغرى ورسخ سلطانه نهائيا على سوريا . وارسى عاصمة ملكه فى انطاكية . وحوالى عام ٢٩٣ ق.م. اشرك معه فى الحكم انطيوخوس ابنه من أباميا . وفى عام ٢٨٦ ق.م. وبعد خمس سنوات من انتصاره فى كوروبيذون على ليسيماخوس اغتيل عام ٢٨١ ق.م. بيد بطليموس كيرافنوس (الصاعقة) ابن بطليموس الأول الذى كان قد أخذه فى حمايته . وبعد سليفكيوس الاول لم يرق عرش السلفكيين (السلوقيين) ملك ذو بال سوى انطيوخوس الثالث .

وقد خلف سليفكيوس الاول ابنه انطيوخوس الأول (سوتيروس) أى المخلص (٣٢٤ - ٢٦١ ق.م.) وقد كان ملكا صغيرا عرف بولائه الشديد لحماته ستراتونيكى (أنظر القصيدة ٥٠) . وقد خلفه على العرش ابنه أنطيوخوس الثانى (٢٦١ - ٢٤٦ ق.م.) الذى تزوج ابنة بطليموس فيلاذيلفوس ، وقد خلف ابنين ، ظلا يتنازعان الحكم الى أن اكتسح مملكتهما بطليموس

افيرغيتيس المحب للخير ، واستولى على أنطاكية بلا مقاومة ، لكنه اضطر الى الانسحاب حيث دعته الى ذلك بعض المشاكل الداخلية فى مصر . وقد خلف سلفيكوس من أنطيوخوس الثانى على عرش سورية سلفيكوس الثالث (٢٢٦ - ٢٢٣ ق.م.) الذى أغتيل بيد بعض ضباط جيشه ، فخلفه فى الحكم أنطيوخوس الثالث ، الملقب بانطيوخوس الكبير (٢٢٣ - ١٨٧ ق.م.) وقد بدأ باخماد ثورات التمرد التى كانت قد شبت فى بعض ولاياته . على أنه فى عام ٢١٧ ق.م. هزمه بطليموس الرابع عند رفح واضطره ذلك الى التنازل عن أرض فلسطين . وفى الفترة من ٢١٢ الى ٢٠٤ ق.م. قاد حملات عسكرية الى الشرق ، مما جعله يرسخ أركان مملكته حتى تخوم الهند . ثم ما لبث أن عاود الحرب ضد ملوك مصر ، واسترد منهم فلسطين ، وتوجه غربا فوصل الى ثراكى ، وفى عام ١٩٨ ق.م. بلغ أوج سلطته . وفى عام ١٩٢ ق.م. سارت جيوشه متوغلة فى أرض اليونان الا أنه اصطدم هناك بالرومان الذين ردوه على أعقابه ، وفرضوا عليه الجزية . واتجه الى بلاد الفرس من أجل اقامة معبد هناك ، فهلك فى الطريق . وقد خلفه فى العرش ابنه سليفكيوس الرابع «فيلوباتور» أى «المحب لابيه » (١٨٧-١٧٥ ق.م.) الذى ما لبث أن اغتيل على يدى أحد وزرائه ، فحل مخله أخوه أنطيوخوس الرابع ابيفانيس (١٧٥ - ١٦٤ ق.م.) وقد تمكن من غزو مصر ، وكان على وشك الاستيلاء على عاصمة الملك وهى الاسكندرية ، لولا ان تصدى له الرومان .

وقد عرف انطيوخوس الرابع بحروبه ضد اليهود تحت قيادة آل مكافيوس الذين تحرروا من سلطان السليفكيين . ومثل ابيه فقد حياته وهو فى طريقه الى بناء المعبد الذى أراد أبوه من

قبله بناءه . وقد تتابع بعد ذلك على عرش آل سليفكيوس على مدى مائتى عام ملكان حملا اسم سليفكيوس ، وملكان حملا اسم ديمتريوس ، وتسع ملوك حملوا اسم انطيوخوس . وكان آخرهم انطيوخوس الثالث عشر الملقب بالأسيوى . وقد نصبه على عرش سورية الامبراطور الرومانى لاكولوس ولكنه أقصى عن العرش بأمر بومبى أو بومبيوس ، الذى ضم سورية الى الامبراطورية الرومانية ، جاعلا منها مجرد ولاية من ولايات تلك الامبراطورية وليست مملكة مستقلة .

٣٢ - جاء فى الاصل المترجم « لا تخش الليستريجونات والسيكلوبات ولابوسيدون الغاضب » وقد آثرنا أن تأتى ترجمتنا العربية متخففة من ذكر «الليستريجونات» و «السيكلوبات» وهى فى حقيقتها غيلان ومردة ورد ذكرها فى الأساطير الاغريقية . كما ورد فى النص المترجم « أسواق فينيقية » وترجمناها «أسواق سورية» ذلك أن فينيقية هذه هى أرض الشام وسورية .

وبوسيدون فى الميثولوجيا اليونانية القديمة آله البحر ، يخشاه البحارة ، ويسعون الى اتقاء غضبه . وهو يسكن أعماق البحار ، ويطلق العواصف والاعاصير ، فتعلو الامواج وتتلاطم . فتغرق السفن ويهلك من عليها .

وقد كان بوسيذون هو الاله الوحيد الذى لم يتورع عن الاتصال بالميديوزا ، التى كانت جدائل شعرها ثعابين متلوية وأنيابها طويلة جارحة ، ونظراتها تحيل من يقع بصره عليها الى حجر . وقد أنجبت ميديوزا من بوسيدون بناتا لا تقل عنها دمامة ، واثارة للذعر ، هى السيكلوبات اللاتى يوقعن الرعب فى

القلوب ، ويفترسن البحارة .

اما الليستريجونات ، فكانت مردة عمالقة من آكلة لحوم البشر ، وقد هاجمت أوديسيوس ورفاقه عندما رست سفنهم بأحد الموانئ الايطالية ، والقت عليهم الحجارة الضخمة ، وخربت سفنهم . وان كان ملك ايثاكا أوديسيوس قد استطاع ان ينجو منهم فى رحلة العودة الى جزيرته الا ان عددا كبيرا من ملاحيه وقعوا فى ايدى الليستريجونات فأفترستهم ، ولقوا حتفهم على ايديها .

٣٣ - كان هيروديس اتيكوس (١٠٣ - ١٧٩ أو ١٠١ - ١٧٧ ميلادية) رومانيا من أثرياء اثينا . وكان راعيا للفنون . ولعل واحدا من أفضل الأبنية التى شيدها فى أثينا هو «الأوذيون» ولازال مستخدما لاحياء حفلات الموسيقى وتقديم العروض المسرحية . وهذه القصيدة هى الاشارة الوحيدة لأثينا فى مجموعة أعمال كافافيس الناضجة . وقد استقى كافافيس واقعة كرم ضيافة هيروذيس اتيكوس الحكيم النابه فى القرن الثانى الميلادى لغريمه أسكندر السليفكى - استقاها من كتاب «حياة الحكماء» لفيلوستراتوس أما تعليقات التلاميذ على نجاح هيروذيس فهى كافافية تماما .

٣٤ - المشهد والشخصيات متخيلة . والمتحدث هو ملك شرقى من الاصاغر ، يفترض أنه كان يسود فى القرن الأخير قبل الميلاد فى منطقة جبال زاغروس ، فى غرب ايران . وهو فى القصيدة يعطى تعليماته الى سيثاسبيس ، والأغلب انه من ناقلى الرسائل ، بشأن اقامة نصب تذكارى له أو سك عملة

لدويلته . و «ايفراطا» مدينة فارسية ، يبدو أنها كانت فى الشمال الغربى من آسيا الوسطى على مقربة من بحيرة «فان» . وقد اتخذت مقرا شتويا للملكة . (انظر أيضا ٥٠) .

٣٥ – هذه الرواية عن تتويج أبناء كليوبترا مأخوذة مع شئ من التعديل عن «حياة انطونيوس» لبلوتارخوس ، وكان «ملك الملوك» هو اللقب الذى اسبغه أنطونيوس على قيصرون عام ٣٤ قبل الميلاد . (انظر أيضا مسرحية أنطونى وكليوبترا لشكسبير) ونقلا عن بلوتارخوس ، نصب قيصرون الذى كان ابنا ليوليوس قيصر مع امه كليوباترا ملكا على مصر ، ومنح أخواه الآخران ، اسكندر وبطليموس (المحب لأخيه) ممالك عدة ذكرها كافافيس فى قصيدته . وكان من ابتداع مخيلة كافافيس ما أضفاه على قيصرون من وسامة ، وأيضا تلك التفاصيل فى ملبسه ، مثل باقة زهر الياكانثوس والاشرطة . والماسات الوردية . أما بلوتارخوس فقد اقتصر على ذكر أن الاسكندر الصغير كان يرتدى لهذه المناسبة حلة فارسية ، ايماء الى احدى ممالكه الجديدة . أما بطليموس الصغير ، فكان يرتدى زى قائد عسكرى مقدونى . والطريف فى الأمر أن الرومان – وليس أهل الاسكندرية كما تقول القصيدة – هم الذين ارتأوا فى كل ذلك مجرد مشهد فى مسرحية .

٤١ – من الجدير بالذكر أن كافافيس كان قد كتب فى عام ١٩٠٣ قصيدة بعنوان «زهور صناعية» . وقد ظلت هذه القصيدة غير منشورة رغم أن موضوعها شبيه بموضوع القصيدة الحالية ، لكنها على أى حال لا يمكن ان تعتبر صياغة باكرة لهذه القصيدة .

٤٢ - ليسياس اللغوى أو فقيه اللغة شخص متخيل . وقد نشر كافافيس بين عامى ١٩١٤ و ١٩١٨ خمس قصائد عن اضرحة هى «قبر ليسياس» (٤٢) ، «ضريح افريونوس» (٤٤) و «قبر ياسيس» (٦٣) و «قبر اغناتيوس» (٦٨) و «قبر لانيس» (٧٦) .. وفيما بعد ، وعلى الأخص خلال عام ١٩٢٨ نشر كافافيس قصائد فى هذا الاتجاه ذاته . ومن هذه القصائد قصيدة «كيمون بن ليارخوس» (١٢٨) التى كانت فى أول الأمر تحمل عنوان «قبر ماركوس» .

٤٣ - راجع التعليق على القصيدة (٥٣) .

٤٤ - كل الشخصيات المنوه عنها فى هذه القصيدة متخيلة . وينحدر افريونوس الوسيم عن أب أغريقى ، وعن أم يهودية ، وكان يدرس فى طيبة الأدب الدينى لمصر القديمة . ومن ثم تلاقت عند هذه الشخصية ثقافات ثلاثة .

٤٦ - كان الرقيق المعتق وعالم الخطابة ثيذوتوس عميلا للبطالمة من جزيرة خيوس . وقد حرض المصريين على قتل بومبيوس أو بومبى (عام ٤٨ ق.م.) وذلك عندما جاء هذا الأخير للاقامة بمصر كلاجئ بعد هزيمته من يوليوس قيصر فى فارسالوس (أنظر ٢٥) . ولكن ثمة شواهد مؤكدة على أن ثيوذوتوس هو الذى جلب رأس بومبيوس الى يوليوس قيصر . (حياة يوليوس قيصر لبلوتارخوس) .

وفى النصف الاول من القصيدة ، كما فى قصيدة «الخامس عشر من مارس» يتحدث الشاعر عن قيصر رمزى . وليس بلازم أن يكون محددا فى التاريخ والمكان . أما فى النصف الثانى من القصيدة ، فان كافافيس يوجه خطابه الى أى شخص يستمع اليه .

٤٧ – تحمل القصيدة كعبارة تمهيدية سطورا ثلاثة من «حياة أبولونيوس التيانى» لفيلسوستراتوس . ثم فى بداية القصيدة يقدم كافافيس ترجمة غير حرفية لها .

٥٠ – كان اورفيرنيس ابنا مزعوما للملك ارياراثيس الرابع ملك كابوذوكيا وكانت امه ابنة الملك انتيوخوس الثالث الكبير (انظر «معركة مغنيسيا« ٥٤) وكانت جدته ستراتونيكى ابنة انتيوخوس الثانى ملك سوريا . وقد اولاه ديمتريوس ملك سوريا حمايته (انظر «اوجه استياء الملك السورى» ٥٦ و «ديمتريوس سوتيروس» ٨٩) وساعده على ارتقاء عرش كابونوكيا لفترة قصيرة حوالى عام ١٥٧ ق.م. ولكن اورفيرنيس انقلب بعد ذلك على حاميه وولى نعمته ، وحاول ان يسلب العرش منه .

ويقول مافروكورذاتوس أحد مترجمى ديوان كافافيس الى الانجليزية أنه عثر فى كتاب المؤرخ البريطانى أدوين بيفان عن «أسرة سليفكيوس» (طبعة ١٩٠٢) على لوحة تصور عملة اغريقية قديمة نقش عليها رأس أورفيرنيس . كما أشار المؤرخ البريطانى الى اورفيرنيس فى كتابه (ص ١٥٧ ومن ص ٢٠٥ الى ٢٠٩) وليس ثمة شك كبير لدى مافروكورذاتوس فى ان ما ورد فى مؤلف بيفان عن أورفيرنيس كان مصدر الهام كافافيس عندما كتب قصيدته .

٥٤ - كان فيليب الخامس ملك مقدونية قد هزم عام ١٩٧ ق.م. من الرومان فى معركة كينوسكيفاليا دون ان يهرع انتوخوس الثالث ملك سوريا الى نجدته . وبعد هذه الهزيمة بسبع سنوات هزم انطيوخوس ملك سوريا من الرومان فى معركة مغنسيا ، مما ارسي السيادة الرومانية على الشرق الهلينى (انظر قصيدة «صانع الآنية» ١٠١) .

ولم يغتفر الملك فيليب المقدونى منذ معركة الهزيمة الأولى للسوريين انهم لم يهرعوا لنصرته والوقوف الى جانبه ساعة الخطر .

واذا كان فيليب قد اعتبر فى حديثه السوريين والمقيدونيين أبناء جنس واحد ، فذلك لأن الامراء السوريين ، مثل فيليب نفسه ، ينحدرون عن القواد المقيدونيين الذين رافقوا الاسكندر الاكبر فى حملته الى الشرق والتى وصل فيها الى مشارف الهند .

٥٥ - عمانويل كومنينوس امبراطور بيزنطى (١١٢٠ - ١١٨٠ ميلادية) كانت له طباع الفرسان الاشداء ، لكنه كان ايضا يؤمن بالخرافات ، وكان شغوفا بالاسفار وبالحسان . وقد تزوج مرتين من أميرتين من الفرنجة الأولى المانية والثانية فرنسية . وراح يتشبه بالأمراء الغربيين ، الذين دخل معهم فى احلاف تارة وناصبهم العداء تارة أخرى . وقد آنتهى الامر به الى هزيمة نكراء على أيدى الأتراك عام ١١٧ فى معركة ميريوكيفالون بأسيا الصغرى ، وقد بدا فى هذه المعركة أدنى بكثير مما كانت تمليه عليه واجبات الامارة . وقد وقع فى نهاية حياته فريسة للمنجمين وقراء الطوالع . وعلى فراش موته أوعز

اليه رجال الدين أن يرتدى حلة من حلل الرهبان ، وهو ماكان شائع الحدوث فى بيزنطه . وقد استقى كافافيس رواية ممات كومنينوس مما كتبه المؤرخ اليونانى نيكيتاس عن هذا الامبراطور البيزنطى فى مطوله التاريخى .وقد تفرد هذا المؤلف بالحديث عن السنوات الأخيرة لحكم هذا الامبراطور الذى توفى فى العشرين من سبتمبر ١١٨٠ .

٥٦ - هذا الملك السورى هو ديمتريوس الأول ، وهو واحد من الملوك المتأخرين من أسرة سليفكيذيس (سليوكوس) وكان قد نفى فى العشرين من عمره الى روما . وفى عام ١٦٤ ق.م. جاء الى روما ابن عمه بطليموس المحب لأمه ، ساعيا لدى مجلس الشيوخ ان يعينه على أخيه بطليموس المحب للآحسان الذى كان قد أقصاه عن عرش مصر . (انظر أيضا ٥٠ و ٨٠ و ٨٩ و ١٤٩) .

٥٩ - المتحدث في القصيدة شخصية متخيلة . أما انذيميون فيروى عنه انه كان أكثر البشر وسامة . وقد وقعت سلينى (أى القمر) فى غرامه ، وطلبت من زيوس كبير الآلهة ان يبقيه نائما الى الابد ، حتى تستطيع ان تزوره كل ليلة . وعلى جبل لاتموس قرب ميلتوس بأسيا الوسطى عثر على قبر منسوب اليه .

٦١ - المشهد وريمون متخيلان . وقد كانت أسروين مملكة قائمة فيما بين النهرين أى فى العراق . وكان خارميذيس قريبا لأفلاطون ، وقتل فى صراع سياسي .وقد خلده الفيلسوف فى محاورة تحمل اسمه ، حيث نجد سقراط ، تحت تأثير مقتل خارميذيس الباكر ، وشبابه الذى ضاع هدرا ، ومن أجل المبادئ السياسية التى كان يعتنقها ، يحاول أن يعرف الحكمة بأنها

معرفة كل من الخير والشر معا .

٦٢ - المشهد يجرى فى واحدة من المدن الاغريقية التى أطلق عليها أسم سليفكيا على نهر دجلة . وقد شيدت عام ٣١٢ قبل الميلاد بواسطة سليفكيوس الاول الملقب بالمنتصر الذى اتخذها عاصمة لملكته .

٦٣ - ياسيس شخصية متخيلة .

٦٦ - كل من أمونيس المصرى وروفائيل القبطى ، شخصية متخيلة .

٦٧ - فى التقويم المصرى القديم يعتبر شهر هاتور شهر آلهة القبور والتعلق بالجسد ، وهو يقابل شهر نوفمبر فى التقويم الميلادى الحالى ، فهو الشهر الحادى عشر فى السنة الفرعونية (وربما القبطية من بعدها) .

ويعتبر متخيلا ما ورد فى القصيدة من أثر يفض نقوشه ، وأيضا ليفكيوس شخصية متخيلة .

٦٨ - كليون اجناتوس أو اغناطيوس شخصية متخيلة . أما تغير اسمه عند دخوله المسيحية ، فهو تقليد متبع لدى الرهبان .

٧٠ - نشر كافافيس خمس قصائد بعنوان « أيام ...» هى أيام ١٨٩٦ (١٣٣) وايام ١٩٠١ (١٣١) وأيام ١٩٠٣ (٧٠) وأيام ١٩٠٨ (١٥٣) وأيام ١٩٠٩ و١٠ ١١ (١٤٠) .

٧٣ - كان قيصرون أو قيصر الصغير أو بطليموس السادس عشر إبنا ليوليوس قيصر وكليوبترا . وقد أضفى عليه

أنطونيوس عام ٣٤ ق.م. لقب «ملك الملوك» (انظر «ملوك الاسكندرية» ٣٥) وبعد هزيمة انطونيوس (انظر «عندما تخلت الآلهة عن انطونيوس » ٢٦ و «الاسكندرية : ٣١ ق.م. - ١١٣ وغيرها من القصائد) امر الامبراطور أوغسطس (جايوس يوليوس قيصر أوكتافيانوس) بقتل قيصرون بناء على مشورة من قناصله بأنه ليس من حسن السياسة أن يكون هناك أكثر من قيصر على قيد الحياة . وكذلك فقد جرت نهاية النص المترجم بالآتى : لازلت آملا أن يشفق عليك ، الاشقياء الذين كانوا يتهامسون «أكثر من قيصر» وقد أجرينا فى الترجمة بعض التعديل لتجاوز هذه الخصوصية التاريخية المحدودة .

٧٦ - كل الشخصيات فى القصيدة متخيلة . ولانيس اسم يونانى ، وراميتوخوس اسم مصرى ، .وماركوس رومانى . وياكانثوس شخصية ميثلوجية ثانوية الأهمية ، وهو فتى من بنى البشر أحبه أبوللو وقتله زفير الغيور . ومن تدفق دمه نبتت الزهرة التى تحمل اسم ياكانثوس أو «ياسينت» .

٧٧ - فى ربيع عام ٦٨ بعد الميلاد ، دعى جالبا ، الذى كان حاكما رومانيا على أسبانيا ، من قبل الجيش الى ان يحل محل نيرون (انظر «وقع الاقدام» ١٣) الذى سرعان ما انتحر بعد ذلك بوقت قصير . وكان نيرون قد زار آخايا (باليونان) واستشار العراف هناك سنة قبل ذلك . (انظر «حياة نيرون» لسيوتوس) .

٨٢ - يشير الناقد اليونانى تيموس مالانوس بالنسبة لهذه القصيدة الى مؤلف رينان « تاريخ بنى اسرائيل» - المجلد الخامس - الفصل الخامس .

وقد نصب هيرودس الاكبر على غير ارادته اريستوفولوس شقيق زوجته ماريامنى كبيرا للكهنة ، ولم يكن قد بلغ من العمر آنذاك سبعة عشر عاما ، ولكن بعد بضعة شهور من ذلك وفى عام ٣٥ ق.م. على وجه التحديد دبر له ان يموت غرقا فى بركة للسباحة ، وان كان قد بدا الأمر قضاء وقدرا .

وقدكانت كيبروس أم هيرودس ، وسالومى أخته . وكانت اليكسندرا حماة هيرودس ، وأم زوجته ميريامنى واخيها اريستوفولوس . وكانت على علاقات طيبة بكيلوباترا ملكة مصر ، كما حاولت أن تثير اهتمام انطونيوس بابنها وابنتها اللذين كانا على قدر غير عادى من الجمال .

ولهذا فمن اجل القضاء على تطلعات أسرة الاسامونيين (أى المكابيين) فى عرش اليهودية (أنظر «اليكساندروس واليكسندرا » ١٤٥) دبرت مؤامرة اغتيال اريستوفولوس بتحريض من كيبروس وسالومى .

٨٤ - هذه القصيدة ، مثل عدد من قصائد كافافيس الاخرى ، تبدو وكأن الشاعر قد استعرض فيها حياة شخصيته بكل تفاصيلها وظروفها التاريخية . ثم أجري تلخيصا مبدعا لتلك الحياة وتلك الظروف فى بضعة سطور ركز فيها مصير الشخصية كله . وعلى ذلك فان ايميليانوس مونائى ، مثل ايمينوس (٨٧) وايضا ياسونوس بن كلياندروس شاعر كوماجينى (١٠٢) يبدو كما لو آنه خاتمة مطاف لقصيدة طويلة اما ان كافافيس قد كتبها اول الأمر مطولة ثم عمد فى صياغة أخيرة الى ذلك الايجاز الذى بدت عليه ، واما ان كافافيس لم يكتب كل تلك التفاصيل قط ، وانما فكر وعاش فيها فحسب ، وعندما

جلس يكتب قصيدته أودعها العصارة واللب .

٨٥ – يانثيس بن انطونيوس شخصية متخيلة . وعلى الرغم من انه يهودى فانه يحمل اسما يونانيا . كما يحمل ابوه اسما رومانيا . فهو اذن يهودى متأغرق يعيش فى العصر الرومانى . وتضع القصيدة بطلها هذا ، حسب التاريخ الوارد فى العنوان ، فى اعقاب الاضطرابات التى كانت قد نشبت ضد اليهود تحت حكم جايوس كاليجولا ثم حكم كلوديوس الذى أعاد امتيازات اليهود السكندرين ، رغم انه لم يمنحهم حقوقا مساوية لتلك التى كان يتمتع بها اليونانيون .

٨٧ – ايمنوس شخصية خيالية ، جعله الشاعر يعيش تحت حكم الامبراطور البيزنطى ميخائيل الثالث الملقب «بالسكير» (٨٤٢ – ٨٦٧ ميلادية) وقد اغتيل عام ٩٦٧ بيد صفيه وخليفته المنتظر فاسيليوس المقدونى . وقدتخيل كافافيس بطله ايمينوس هذا يعيش فى صقلية أثناء السنين الأخيرة للاحتلال البيزنطى لهذه الجزيرة .

٨٩ – ديمتريوس سوتيروس أي المخلص هو حفيد الملك انطونيوس الثالث الكبير ، الذى هزمه الرومان فى مغنيسيا عام ١٩٠ ق.م. (انظر «معركة مغنسيا» ٥٤ و «صانع الآنية» ١٠١) وابن الملك سليفكيوس الرابع ، الملقب «فيلوباتور» أى «المحب لأبيه» وقد أمضى ديمتريوس سنى شبابه فى روما (انظر «أوجه استياء الملك السورى » ٥٦) حيث أرسل اليها فى طفولته كرهينة ، بينما كان عرش سوريا مغتصبا من قبل عمه انطيوخوس الخامس . وفى عام ١٦٢ ق.م. هرب ديمتريوس من ايطاليا وكان فى الثالثة والعشرين من عمره ، واسترد عرشه ،

منتزعا من الرومان الاعتراف بحكومته . وامضى اثنى عشر عاما يحارب من أجل استعادة وحدة وتماسك سورية تحت زعامته ، وقد جعلته كفاءته مرهوبا من جيرانه ومثار الاشتباه فى نواياه من قبل روما . وقد صنع لنفسه أعداء عديدين حتى من بين الذين بسط عليهم حمايته (انظر «أورفيرنيس» ٥٠) وقد أفضى ذلك الى ان صار متوترا حاد الطبع ، وانكب على الشراب . وفى عام ١٥٠ ق.م. لقى الهزيمة ، وقتل على يدى أحد مدعى الملك ، هو المغامر الأفاق اسكندر فالا (انظر «صفى اليكساندروس فالا» ٩٧) متواطئا معه هيراكليديس الوالى السابق لبابليون (انظر «صانع الآنية» ١٠١) واتالوس الثانى من بيرغاموس ، وبطليموس السادس فيلوميتور (المحب لأمه) (انظر «اوجه استياء الملك السورى» ٥٦ و «رسل من الاسكندرية» ٨٠) (وراجع مؤلف المؤرخ البريطانى بيفان عن «أسرة سليفكيوس» المجلد الثانى) .

ويقع الجزء الأول من مونولوج كافافيس قرب نهاية سنوات النفى . ثم يمضى فى قصيدته ، فيعكس الاحساس المرير بالاحباط الذى يفترض الشاعر أنه استبد بديمتريوس قبيل وفاته .

وقد أجرينا تحويرا بسيطا فى الترجمة عندما قلنا ... «هى ليست سوى وطن للافاقين اللئام ، بينما النص الأصلى يجرى بالآتى « هى ليست سوى وطن لهيراكليدس وفالا» .

٩١ - عنوان القصيدة مقتبس من «حياة أبولونيوس التيانى» أو «الطيانى» وهى سيرة كتبها فيلوستراتوس عام ٢٠٠ ميلادية . وقد ولد أبولونيوس اربع سنوات قبل المسيح فى تيانا (أنظر «مثال تيانى» ١٩) وبعد ان درس الفلسفة اليونانية ،

اختار حياة الزهد التى أوصى بها فيثاغوراس الفيلسوف اليونانى ، ثم قام بعدة رحلات الى الشرق إمتدت الى الهند ، وأصبح معروفا بقدراته الخارقة . وقد أمضى السنوات الاخيرة من حياته فى افيسوس . رغم ان احدى الروايات تقول انه تبخر واختفى عن العيان عند معبد الالهة اثينا فى ليندوس بجزيرة رودس . وفى رواية أخرى يقال انه صار أثرا بعد عين عند معبد الالهة ذيكتينا ، وهى احدى الآلهات المينوتية فى كريت .

وقد روى فيلوسوستراتوس المولود فى ليمنوس حوالى عام ١٧٢ ميلادية عن كثير من خوارق ابولونيوس . ويقول فى مؤلفه الذى كتبه بتكليف من جوليا رومنا زوجة الامبراطور الرومانى سيفريوس أنه اعتمد فى معلوماته عن ابولونيوس التيانى على مذكرات تلميذ أشورى من تلامذته اسمه ذاميس ، وقد استقى كافافيس قصيدته الحالية من كتابات فيلوستراتوس الذى راح يرصد الروايات المختلفة عن وفاة أبولونيوس التيانى – وقد اختار كافافيس زمنا لقصيدته أيام حكم الامبراطور يوستينوس بين عامى ٥١٨ و ٥٢٧ ميلادية ، أى فى عهد التعصب الشديد للمسيحية . وقد اقتصرت الصياغة الأولى للقصيدة على جزئها الاول فحسب . ثم جاء الجزء الثانى من القصيدة ليعزو هذا المنولوج الى واحد من أهل الاسكندرية لم يعتنق المسيحية عن ايمان بها ، وكان يعيش فى عهد الامبراطور يوستينوس الاول (٥١٨ – ٥٢٧) ، وقد استخدم كافافيس نص فيلوستراتوس المذكور فى قصيدتين أخريين هما ٤٧ و ١١٩ .

ويشير ذيماراس وارسنر فى تعليقهما على هذه القصيدة فى ترجمتها الفرنسية لقصائد كافافيس (ص ٢٥٢) الى ان

جوستاف فلوبير الروائى الفرنسى فى روايته «اغراء القديس انطوان» قد استوحى من ذاميس رفيق أبولونيوس التيانى صورة رمزية لما يجب ان يكون عليه التلميذ .

٩٢ - كانت اناه كومنينوس (١٠٨٣ - ١١٤٦) الابنة الكبرى للامبراطور البيزنطى اليكسيوس كومنينوس (انظر ١٢٩) وقد حاولت عبثا ان تنتزع ولاية العرش من أخيها لحساب زوجها نيكيفوروس فرينيوس الذى حرمتها وفاته عام ١١٣٧ من كل أمل دنيوى ، فاعتزلت العالم منسحبة الى الدير .

ولما كانت هذه الاميرة صاحبة قلم ، فقد كرست سنوات حياتها الأخيرة للأدب ، وكتبت «الالكسيادة» وهى سيرة أبيها التى استعار كافافيس بعض عباراتها فى قصيدته .

وقد نقلت الكلمتان «السفيه» و «الوقح» الواردتان فى نهاية القصيدة عن المؤرخ البيزنطى نيكيتاس خونياتيس الذى يقول أن الابن الأكبر يانيس كان المفضل عند ابيه ، بينما كانت أناه هى المفضلة عند الأم التى اتهمت ابنها بعيوب كثيرة منها السفاهة والقحة .

٩٤ - سيذونوس مدينة من المدن الاغريقية التى كانت واقعة على الساحل الفينيقى .. الشخصيات والمشهد فى القصيدة من وحى الخيال . على ان التاريخ الوارد فى العنوان يستأهل التوقف عنده مليا . فهو ذات التاريخ الذى ورد فى قصيدتى «مسرح سيذونوس ٤٠٠ ميلادية» (١٠٩) و «تيميثوس الانطاكى ٤٠٠ ميلادية» (١١٨) وربما كان فى هذا التاريخ ما يومئ الى

اقتراب غروب النفوذ الهلينى عن بلاد آسيا (فى انتظار البرابرة ١٦) . وقد كان ميلياجير (١٠٠ ق.م.) وكريناغوراس (٧٠ ق.م.) وريانوس (٢٧٥ ق.م.) من اصاغر شعراء الهلينية . ويفترض ان العبارات التى أنشدها الممثل كانت قد كتبت بمعرفة ايسخيلوس (٥٢٥ - ٤٥٦ ق.م.) كنص يوضع على شاهد قبره بعد وفاته . وتجرى عبارات هذا النص المنسوب الى اسخيلوس بالآتى : «فى هذا القبر يرقد اسخيلوس ، ابن افوريون ، مواطن اثينى مات فى صقليه . وتعرفه احراش المارثون حق المعرفة ، كما يعرفه الميديون طوال الشعور (الفرس) الذين عاينوا بأسه» وكان ذاتيس وارتافيرنيس على رأس الحملة التأديبية التى شنها الفرس على أرض اليونان وباءت بهزيمتهم فى معركة المارثون (٤٩٠ ق.م.) حيث دحر اليونانيون ، ومن ضمنهم اسخيلوس ، جيوش الغزاة .

وقد كان اسخيلوس الشاعر التراجيدى المفضل لدى كافافيس وان كان ذلك لا يبدو كثيرا فى أعمال كافافيس المنشورة حال حياته . وعلى أى حال ، فقد كتب كافافيس بعض القصائد المستوحاة مباشرة من اسخيلوس . وان ظلت هذه القصائد غير منشورة ، ووجدت بين أوراقه بعد مماته ، وهذه القصائد المستوحاة عن اسخيلوس هى قصيدة «قسم أثينا» (١٨٩٤) و «المعركة البحرية» (١٨٩٩) و «عندما رأى الحارس بارقة الضوء» (١٩٠٠) ، وقد ترجم ادموند كيلى وفيليب شيرار هذه القصيدة الأخيرة وضمناها مجموعتهما لقصائد كافافيس المترجمة الى الانجليزية ، والتى نشرتها دار النشر اللندنية (هوجارث بريس) عام ١٩٨٣ .

وقد وجدت مرثية اسخيلوس لنفسه ضمن أوراق مشكوك فى نسبتها اليه . وانه لمثار جدل كبير ما اذا كانت هذه المرثية منسوبة الى اسخيلوس أو أنه كتبها بنفسه لنفسه . وهذا الجدل حول نسبتها الى ايسخيلوس أمر على جانب من الاهمية ، لأن هذه المرثية لا تقول شيئا عن تراجيدياته الشعرية ، وتقتصر على تسجيل واقعة أنه حارب الفرس فى معركة المارثون ، حيث هزمت جيوش الفرس تحت قيادة ذاتيس وارتافيرنيس عام ٤٩٠ ق.م. على ان هذا الاغفال قد يعنى فى نظر البعض مبلغ اعلاء الاغريق للوطنية على أى اعتبار آخر ، حتى على أعمال الشعر التى خلد اسم اسخيلوس بفضلها ، وليس بفضل اشتراكه فى معركة المارثون . أما الشاب الغيور على الأدب فى قصيدة كافافيس فيعتبر هذا الاغفال من قبل الممثل الذى جاء الى سيذونوس منشدا روائع الأشعار «تخاذلا» ليس من قبل ايسخيلوس فحسب ، بل ومن الممثل ذاته ، وغير مقبول منه ان يرضى - وهو الفنان الذى جاء ينشد قصائد من عيون الشعر - بترديد هذا النص الذى لا يغتفر .

وقد حلا لكافافيس فى هذه القصيدة أن يقرب بين مرحلتين فى التاريخ اليونانى يفصل بينهما ما يقرب من تسعمائة عام ، فمن ناحية هناك مرحلة الحروب مع الميديين (أي الفرس) ويشير اليها فى القصيدة بالعبارة التى اوصى اسخيلوس أو يفترض أنه أوصى فيها بأن توضع بعد وفاته على قبره ، رغم انه يقتصر فيها على ذكر أنه حارب فى صفوف الجند فى معركة ماراثون ، مغفلا عطاءه الأدبى بأسره . ومن ناحية أخرى ، هناك مرحلة تنتمى الى اخريات الامبراطورية البيزنطية ، وعلي وجه التحديد حوالى عام ٤٠٠ ميلادية ، أى مرحلة الانحدار .

وفى هذه القصيدة نجد كافافيس يجعل شبانه اليونانيين أبناء سينونوس الذين عنوا بزينتهم أشد العناية ، وضمخوا أجسامهم بالعطور الفواحة ، يصغون بشغف يصل الى حد الوله الى أبيات ايسخيلوس . ولا يعنى كافافيس فى قصيدته هذه أن يبين عن حال الامبراطورية البيزنطية فى انحدارها ، ولكن الذى تركز عليه القصيدة هو استمرارية الثقافة الاغريقية ، أيا ماكانت الظروف والاوضاع الواقعية . ومثلما فى قصيدة «داريوس» (٩٥) فان الشئ الذى سوف يبقى ويدوم ليس الفتوحات والحروب بل أعمال الفن والشعر الكبيرة ، فهذه وحدها تطاول الزمن .

٩٥ - كل من المشهد وفيرنازيس (وهو اسم فارسى) من خيال الشاعر . والراجح أن المشهد يجرى عام ٧٤ ق.م. ، فى عصر الملك ميثريداتيس السادس (وهو الملك الذى استلفت اهتمام راسين الشاعر التراجيدى الفرنسى أيضا) وفى مدينة أميسوس ذات الموقع التجارى الهام بآسيا الصغرى على ساحل بونطوس (أى البحر الأسود) وقد سقطت هذه المدينة بعد ذلك فى أيدى الرومان عام ٧١ قبل الميلاد .

اما داريوس أو دارا الاول (٥٢١ - ٨٤٦ ق.م.) فهو واحد من أكبر ملوك الفرس . وذلك على الرغم من آن كتاب التاريخ الاوروبيين لا يعرفونه الا بهزيمته فى معركة ماراثون عام ٤٩ ق.م. عندما أرسل حملة عسكرية لغزو اليونان . ويحيط الغموض والريب بالظروف التى ارتقى فيها داريوس عرش الفرس .

اما ميثريداتيس السادس الملقب بالأب العطوف فهو ملك بونطوس الفارسى المتأغرق (١٢٠ - ٦٣ ق.م.) وقد ارتقى العرش حوالى عام ١١٥ ق.م. مع اخيه ، الذى مالبث

ميثريداتيس أن قتله ، وانفرد بالعرش . وقد وصفه شيشيرون الرومانى بأنه أعظم الملوك بعد الاسكندر الاكبر . وأشد خصوم الجيش الرومانى بأسا . وقد لقى الهزيمة فى النهاية على يدى بومبيوس عام ٦٦ ق.م. ، وخلع عن العرش بواسطة ابنه فارناسيس الذى دفعه أيضا الى الانتحار .

٩٦ – المتحدث فى هذه القصيدة شخصية من وحى الخيال ، ربما كان كافافيس قد استوحاها ، ولكن ليس بحذافيرها ، من شخصية البيزنطى ميخائيل السابع الذى نحى عن مقامه الكنسى عام ١٠٧٨ من قبل نيكيفوروس الثالث فوتانياتيس الذى ما لبث ان أسقط بدوره عن العرش عام ١٠٨١ بواسطة اليكسيوس كومنينوس زوج الاميرة ذوكيانى . وقد كان الامبراطور نيكيفوروس فوتانياتيس يتخذ من ميخائيل السابع مستشارا له . ثم مضى هذا الأخير فأصبح من رجال بلاط الامبراطور اليكسيوس كومنينوس الذى كان استيلاؤه على الحكم بفضل زوجته الشابة ايرينى ذوكيانى ، التى ما لبث أن حاول التخلص منها بعد أن حقق مآربه فى الوصول الى العرش . ويبدو أن هذا النبيل البيزنطى الذى تتحدث عنه قصيدة كافافيس كان ممن حرضوا اليكسيوس كومنينوس على زوجته ، ولكن أسرة أيرينى ذوكيانى بمالها من نفوذ أحبطت المؤامرة ، وبقيت أيرينى فى الحكم . وقد تعرض خصومها بعد ذلك لانتقامها . وكان من جراء ذلك أن أقصى ذلك النبيل عن البلاط ، بتهمة التورط فى الاشتراك مع أحد المحاسيب الجشعين فى رفع أسعار الدقيق والتلاعب فى الميزان ، وذلك على حد قول المؤرخ جيبون الذى يضيف قائلا أن هذا النبيل رغم تدينه ودراسته للحكمة وانخراطه فى سلك الرهبنة تورط فى تلك

المخالفة المشينة . وعرف لذلك بلقب «بارابيناكيوس» وفى هذا كناية عن اللوم الذى وجه اليه . وكان من جراء ذلك ان اقصى هذا النبيل عن البلاط ، ونفى الى حيث ما عاد له كى يقتل الوقت سوى ان يمارس تلك الهواية المفضلة لدى متأدبى بيزنطة ، ألا وهى نظم الأشعار تقليدا للشعراء القدامى .

٩٧ – يبدو أن البطل المجهول الذى يتحدث عن نفسه فى القصيدة شخصية من وحى الخيال ، وكذلك الظروف التاريخية التى يتحرك فى اطارها . أما فالا ، ملك سوريا (١٥٠ – ١٤٥ ق.م.) فهو ذلك الأفاق المغامر المشار اليه فى قصيدة «عن ديمتريوس سوتيروس» (٨٩) .

وقد كان اليكسندروس فالا ابنا مزعوما لانطيوخوس ابفانى ، استولى على عرش سوريا عام ١٥٠ قبل الميلاد ، بعد ان أقصى ديمتريوس سوتيروس عن الملك . وقد كان فالا ماجنا فاسقا ، ولم تكن له أية موهبة سياسية ، فهو لم يكن سوى نهاز للفرص . وسرعان ما أسقط عن العرش واغتيل عام ١٤٥ ق.م. وليس بطل القصيدة سوى واحد من محاسيب فالا دون تحديد ، وقد كانوا كثيرين .

١٠٠ – ان ذكر بورفيروس فى هذه القصيدة (وكان واحدا من أكبر الداعين للافلاطونية الجديدة وتلميذا لافلوطين) يجعل كتابة البحث المشار اليه ، وهو فى الغالب بحث من وحى خيال الشاعر ، راجعا الى ما بين عامى ٣٠٥ و ٢٦٣ ق.م. فى صقلية أو فى روما . أما الموقف الذى يعد بورفيريوس أطروحته عنه فهو موقف حدث فى بلاد الفرس حوالى عام ٤٨٠ ق.م. . فقد كان ذيماراتوس ملكا على اسبارطة من عام ٥١٠ الى ٤٩١ ق.م.

ويشاركه فى الملك كليومينيس الاول ، الذى تواطأ مع ليتوخيذيس للاطاحة بذيماراتوس ، وقد حل محله فعلا فى الحكم ما أن تحقق ما تآمرا عليه . فقد توصلا الى رشوة عرافة ديلفى فأذاعت أن ذيماراتوس لم يكن ابنا شرعيا للملك اريستون ، مما آلب عليه شعب أسبارطة ، فأضطر للفرار الى بلاد الفرس ، حيث استضافه ملكها ذاريوس الاول (انظر ٩٥) وأكرم وفادته وعينه فى بلاطه خبيرا فى الشئون اليونانية . ومن ثم صاحب كسيركسيس فى حملته التأديبية الفاشلة على أهل اليونان .

١٠١ – الواقعة موضوع القصيدة وبطلها من نسج الخيال . اما معركة مغنسيا أو معركة الهزيمة الثانية فهى حادثة تاريخية وقعت عام ١٩٠ ق.م. (انظر القصيدتين ٥٤ و ٨٩) ولهذا فان زمن هذه القصيدة هو عام ١٧٥ ق.م. عندما كان هيراكليديس أمينا على خزائن الملك أنطيوخوس الرابع ابيفانيس (أنظر القصيدتين ١٠٧ و ١١٨) .

ويشير الناقد اليونانى تيموس مالانوس ، أحد المتخصصين المبرزين فى شعر كافافيس ، الى ان العناية التى اولاها كافافيس لتاريخ القصيدة ، بنسبتها الى عام ١٧٥ ق.م. هو أمر مقصود من جانب الشاعر للايماء الى اللحظة فى بدايات حياة هيراكليديس ، الذى سيكتسب سمعة سياسية غير طيبة فيما بعد ويذهب الى روما على رأس بعثة دبلوماسية لحساب انتيوخوس ابيفانيس . ثم يطرده ديمتريوس سوتيروس خليفة انتيوخوس هذا عام ١٦٢ ق.م. ثم يعود فيظهر كمآزر لاليكساندروس فالا فى مغامراته لاغتصاب الحكم . (انظر القصائد ٥٤ و ٥٦ و ٨٠ و ٨٩ و ٩٧) .

١٠٢ - العنوان الأصلى لهذه القصيدة هو «مخاوف ياسونوس كلياندرو ، شاعر من كوماجينى ٥٩٥ ميلادية» .

وياسونوس شخصية متخيلة مثله فى ذلك مثل فيرناسيس الشاعر الملحمى فى قصيدة «ذاريوس» (٩٥) والشاعر تيميثوس فى قصيدة «تيميثوس الانطاكى عام ٤٠٠ ميلادية» (١١٨) . وقد كانت كوماجينى (انظر القصيدة ١٠٧) ذات يوم دويلة صغيرة مستقلة فى شمال سورية (٨٢ ق.م. - ٧٢ ميلادية) وكانت جزءا من الامبراطورية البيزنطية حتى عام ٦٣٨ حيث احتلها العرب . ويحسب عنوان القصيدة ، فان نجاوى ياسونوس التى أودعها قصيدته انما ترجع الى ثلاثة وخمسين عاما سابقة على غزو هوسرويس الاول ملك الفرس لهذه المدينة وبعد أربع سنوات من معاهدة السلام الموقعة بين الامبراطور البيزنطى مافريكيوس وملك الفرس هوسرويس الثانى .

١٠٣ - بطل هذه القصيدة من نسج خيال الشاعر . وتجرى أحداث القصيدة فى أخريات حياة أمونيس ، الملقب ساكاس ، نسبة الى مهنته الاصلية وهى «حمل أجولة الدقيق» وقد كان الى حد كبير فيلسوفا مسيحيا من فلاسفة الاسكندرية درس فى الاسكندرية عام ٢٣٠ ميلادية ، ولقب بسقراط الافلاطونية الجديدة . وكان من تلامذته كثير من النابهين أمثال لونجينوس وبلوتينيوس . وقد توفى ساكاس عام ٢٤٣ .

١٠٤ - المشهد الذى تدور فيه القصيدة من صنع خيال الشاعر ، وأيضا ذلك الشاب الذى يتمسح فى أعقاب انطيوخوس الرابع المشجع للفنون ، والمحب للملذات ، والملقب ابيفانيس أى المبرز المرموق (١٧٥ - ١٦٣ ق.م.) شخصية متخيلة . (انظر ايضا «تيميثوس الانطاكى ، عام ٤٠٠ ميلادية » ١٨٨) ولكن

يمكن تصور أن هذه الشخصية والحدث الذى تعايشه فى هذه القصيدة يعودان الى حوالى عام ١٦٩ ق.م. وقد كان انطيوخوس الرابع ابنا للملك انطيوخوس الثالث الكبير (٢٢٣ – ١٨٧ ق.م.) الذى هزمه الرومان عام ١٩٠ ق.م. فى معركة مغنسيا (انظر القصيدة ٥٤) وكان اخوه الملك سليفكيوس الرابع الملقب فيلوباتور أي المحب لابيه (١٨٧ – ١٧٥ ق.م.) قد أغتيل أثناء ثورة فى البلاط عام ١٧٥ ق.م. كما تزوجت لاوذيكى ابنته من بيرسيوس آخر ملوك مقدونية . وقد سبق للمقدونيين ان تلقوا هزيمة أخرى من الرومان عام ١٩٧ ق.م. فعاودوا جمع الشمل وتوحيد الصف للحفاظ على استقلالهم ، الا أن محاولة المقدونيين هذه باءت بالفشل ومنى بيرسيوس بهزيمة ساحقة على أيدى الرومان عام ١٦٨ ق.م. فى معركة بيدنا . وكانت هزيمة حاسمة ونهائية .

اما «تير» أو «صور» فكانت مدينة مزدهرة على الشواطئ الفينيقية ومركزا لتجارة الارجوان ، وكما فى القصيدة ٥٤ «معركة مغنسيا» يبين لنا كافافيس كيف كان أمراء الأغريق فى أرض الوطن الأم عاجزين عن تحقيق الوحدة بين صفوفهم ، فعجزوا عن الصمود فى وجه الرومان .

١٠٥ – نلتقى بمنشد لعبارات تبجيل وتقدير جرت بها أبيات القصيدة . وهو شخص غير معروف الاسم ، والارجح أنه من نسج خيال كافافيس وقد نظم هذا النشيد فى عام ١٠٩ قبل الميلاد متحدثا عن أحداث تاريخية ترجع الى عام ١٤٦ ق.م. كما ان هذا المنشد مغترب لاجئ الى الاسكندرية فى عهد بطليموس التاسع (الملقب «لاثيروس» أى «حمص» رمزا لتفاهته) وقد حكم

مصر على فترات متقطعة من ١١٧ الى ١٠٧ ثم من ٨٩ الى ٨١ ق.م. .

والاخيون هم الشعب الذى سكن فى الأصل القطاع الشمالى لأقليم بوليبونيسوس أو البليبونيز باليونان . وقدكان تحالف الأخيين الذى قام بين أقاليم البيلوبونيز وفى مقدمتها اركاديا وارجوليذو واجينا وكورينثوس (٢٨٠ - ١٤٦ ق.م.) المحاولة الاخيرة ليونانيى الأرض الأم للحفاظ على استقلال اليونان وتماسكها . ولكن هذا التحالف كان أيضا مسئولا الى حد كبير عن حروب أهلية عديدة ، منها الحرب ضد اسبارطة ، وقد استنفدت هذه الحروب قوى البلاد ، مما مهد الطريق أمام الرومان لأكتساح قوى التحالف فى النهاية . وقد انفرط عقد هذا الاتحاد وانهارت دعائمه نهائيا عام ١٤٦ ق.م. وذلك عندما لقى القائدان ذيوس وكريتولاوس فى ذلك التاريخ الهزيمة عند ليفكوبيترا فى كورينثوس على يدى ميميوس (انظر ١١٦) .

وفى قصيدة «أولئك الذين حاربوا من أجل الوحدة الايونية» أجرينا بعض التصرف فى الترجمة تمثل فى اننا ترجمنا السطر الثالث من القصيدة قائلين «فالخطأ لم يكن خطأكم» بينما الترجمة الحرفية يجب ان تجرى بالآتى «فالخطأ خطأ ذيوس وكريتولاوس» وقد استبعدنا فى ترجمتنا هذين الأسمين ، وذلك للحفاظ على جماليات اللغة التى نترجم اليها ، والتى يجدر أن تنفذ الى قلب المستمع سلسة . وهذه السلاسة فى النص العربى يعكر من صفوها ورود أسمى ذيوس وكريتولاوس . بينما المقصود ان أولئك الشجعان الذين هزموا رغم أستبسالهم فى القتال الى حد الاستشهاد لم يخطئوا فى هذا ، بل كان الخطأ

المسبب للهزيمة مرده الى هذين القائدين اللذين لقيا الموت بدوريهما جزاء للهزيمة على يدى الرومان المكتسحين .

١٠٧ - ربما كان أستاذ البلاغة كاليستراتوس وأخت الملك ، بل وهذه الكلمات على الضريح ذاتها - كل ذلك من صنع خيال الشاعر . أما انطيوخوس فهو شخصية تاريخية ولكن ينقصها فى القصيدة بعض التحديد . فانطيوخوس الوارد ذكره يمكن ان يكون واحدا من الملوك الشرقيين المتأغرقين الذين حملوا هذا الأسم ممن حكموا كوماجينى ، وهى أقليم فى شمال سورية وعلى مشارف الدولة الرومانية . قد حمل اسم انطيوخوس أربعة من ملوك كوماجينى فضلا عن ثلاثة عشر ملكا من أسرة سليفكيوس (سليوكوس) .

وقد حدث تعديل عند الترجمة فى بعض الأسماء التاريخية ، فنحن نقول فى الترجمة العربية «انتيوخوس ملك سورية» اما فى الاصل اليونانى ، فانتيوخوس هذا ملك «كوماجينى» ... وكوماجينى كانت دويلة على نهر الفرات فى شمال سورية وعاصمتها ساموساطا أو ساموساطه و ساموصات وعندما استولى الرومان على سورية عام ٦٤ ق.م. احتفظوا لملك هذه الدويلة ، باستقلال دويلته التى تعاقب على حكمها ملوك يونانيون حمل كل منهم اسم انتيوخوس الى أن ضمت هذه الدويلة نهائيا الى الامبراطورية الرومانية عام ٧٢ م. وهو ما حدث أيضا فى قصائد أخرى تاريخية مثل القصيدة ١٠٤ حيث ترجمنا «انتيوخوس ابيفانى» بـ «ملك سورية» وقد استبعدنا أيضا المدينة التى وجد بها القصر الذى نذره الشاب وهى مدينة « تير » أو « صور » ولا يغير ذلك من عصب القصيدة كثيرا .

وعندما ذكرت فى القصيدة « بيدنا » أضفنا اليها أنها حيث وقعت المعركة . فان القارئ العربى الذى ليس بلازم أن يكون ملما بالتاريخ الثانوى لهذه الحقبة بحاجة الى أن يتلقى صدمة القصيدة مباشرة وذلك أفضل من ان يتلقاها بعد مراجعته سجلات التاريخ .

١٠٨ - كتب كافافيس فى الفترة من ١٨٩٦ الى ١٩٣٣ على الأقل سبع قصائد بشأن الامبراطور يوليانوس (٣٦١ - ٣٦٣ ميلادية) وهى القصائد «يوليانوس ازاء الاسرار» (وهذه ظلت فى أوراقه ولم ينشرها حال حياته) و «يوليانوس يسجل عدم الاكتراث » وهى هذه و «يوليانوس فى نيقوديميا» (١١١) و «موكب كبير من رجال الدين وعامة الشعب » (١٢٧) و «يوليانوس وأهل انطاكية» (١٢٦) و «اذن ، انت لم تفهم» أو «لم يحدث ان فهمت» (١٧) و «على مشارف أنطاكية» (١٥٤) وقد أطلق المؤرخون على يوليانوس لقب «المرتد» لأنه على الرغم من أنه مسيحى الأصل ، فقد حاول احياء الوثنية محاولا اقامتها من جديد على دعائم من الفلسفة الافلاطونية الجديدة ، زاعما أن العقيدة الوثنية مصوبة بالأفلاطونية الجديدة بها فى أمور الدنيا والدين خطوط أكثر انضباطا مما أتت به الكنيسة المسيحية الباكرة . والعبارة التى تجرى على لسان يوليانوس فى القصيدة مستقاة من خطاب له حرره فى يناير عام ٣٦٣ ميلادية منصبا به ثيوذوروس رئيسا للأساقفة فى آسيا . وفى هذا الخطاب يردد ما سبق آن عبر عنه من آراء فى خطاب سابق منه الى ارساكيوس أسقف بلاد الغال (فرنسا القديمة) . وربما اقتبس كافافيس أيضا البيت الأخير فى قصيدته من خطاب آخر ليوليانوس الى شعب الاسكندرية يعاتبه فيه على اغتيال الاسقف

الأريوسى يورغيوس غريم اثاناسيوس ويختم يوليانوس عبارات خطابه هذا بقوله أنه سوف يكتفى بتوقيع أخف العقوبات عليهم لما بدر منهم ، وذلك لأنه يقدر أنهم من أصل يونانى ، ولا يزالون يحملون بقية من نبل الخصال وكرم المحتد المنحدر اليهم عن أسلافهم القدامى .

كما استقى كافافيس كثيرا مما كتبه من قصائد عن يوليانوس من كتاب هذا الاخير بعنوان «كاره الذقون» وهو يحمل بشدة على رجال الكنيسة . ويرصد مبادئ السلوك التى يرجو أن يرها مطبقة من قبل أولئك المستأهلين لبركات الآلهة القديمة .

١٠٩ - بالنسبة لسيدونوس والتاريخ الذى أورده عنوان القصيده ، نحيل الى القصيدة ٩٤ . وتعتبر شخصية المتحدث فى هذه القصيدة من وحى الخيال وغير معروفة . أما ذوو المسوح السوداء الذين يتشدقون بالاخلاقيات والمواعظ فيقصد بهم المنخرطون فى سلك الرهبنة .

١١٠ - تلاعبنا فى ترجمتنا لهذه القصيدة بالضمائر . وساعدتنا على ذلك اللغة اليونانية ذاتها . واستخدمنا فى اللغة العربية كلمة «حبيب» فتحقق لنا ما أردنا . كما يجدر أن نشير فى هذا المقام الى أن المذكر يمكن ان يطلق فى اللغة العربية على المذكر والمؤنث أيضا .

١١١ - يجرى المشهد حوالى عام ٣٥٢ ميلادية ، ولا زال يوليانوس فى العشرين من عمره ، ومنتميا رسميا الى المسيحية وتحت رقابة عمه الامبراطور قسطنطيوس الثانى الذى كان غيورا على المسيحية . وكان يوليانوس قد شرع آنذاك يتحول سرا الى الممارسات الوثنية ، ويبدى تعاطفا معها (انظر ١٠٨)

اما خريسانثيوس فكان فيلسوفا منتميا الى «الافلاطونية الجديدة» وقد فتح ليوليانوس هو وصديقه اللاهوتى ماكسيموس الذى كان من افيسوس ابواب السحر وطقوسه . اما غالوس فكان أخا غير شقيق ليوليانوس ، ودعى قيصرا عام ٣٥٠ ميلادية من قبل ابن العم الامبراطور قسطنطيوس الثانى ، ولكن غالوس هذا أعدم عام ٣٥٤ ميلادية ورشح يوليانوس خلفا له . وفى عام ٣٦٠ ميلادية نصب امبراطورا من قبل جيشه ، لكنه لم يرتق العرش الا فى عام ٣٦١م وكان عليه أن يخفى مشاعره المناوئه للمعتقدات المسيحية قبل اعتلائه العرش وصيرورته امبراطورا (انظر ١٠٨) اما مارادونيوس فكان محبا للهلينية ، ومعلما خصوصيا ليوليانوس . وقد تولى تربيته منذ سن السابعة .

١١٣ – بطل هذه القصيدة والمشهد التاريخى فيها من خيال الشاعر . وعلى أى حال ففى سبتمبر عام ٣١ ق.م. كان انطونيوس وكليوبترا قد منيا بهزيمة نهائية على يدى أوكتافيوس فى معركة اكتيوم البحرية على مشارف الساحل الغربى لليونان . ورغم ذلك حاولت كليوبترا ان تخفى هذه الحقيقة المريرة عن رعيتها ونظمت عودة مظفرة الى الاسكندرية تظاهرت فيها بأن انطونيوس حقق النصر على أعدائه ، (انظر ٢٦ و ٣٥ و ١٢٥) .

١١٤ – يجري المشهد فى بيزنطة عام ١٣٤٧ بعد تبوء يوانيس كانتاكوزينوس العرش . ويبدو ان منشد القصيدة هو أحد النكرات الذين عادوا الامبراطور الجديد ، ولم يستطيعوا ان يتحولوا الى ممالأته فى الوقت المناسب .

وقد كان يوانيس كانتاكوزينوس نبيلا بيزنطيا ، وصفيا لاندرونيكوس الثالث باليولوغوس الذى أحبه أكثر من زوجته وأولاده . وقد عهد اليه اندرونيكوس وهو على فراش الموت ولاية المملكة عام ١٣٤١ مما أشعل ضغائن وصراعات بينه وبين الأميرة اللاتينية الأصل اناه دي سافوى ، أرملة اندرونيكوس ووالدة وريث العرش إبنها البالغ من العمر آنذاك أحد عشر عاما . وقد عاضدها فى مطالبها بطريرك القسطنطينية . وكان كانتاكوزينوس رجلا على كفاءة سياسية عالية . وبعد سبع سنوات من الصراع الداخلى على السلطة لم يكف طوالها كانتاكوزينوس عن ارتداء ثياب الحداد على اندرونيكوس ، كتب له النصر ، وتوج فى ١٢ مايو ١٣٤٧ امبراطورا ولقب يوانيس السادس ، مقصيا بذلك عن العرش ابن سيده السابق ، يوانيس الخامس باليولوغوس . ويرجع الفضل فى انتصار كانتاكوزينوس الى حد كبير أيضا الى نشاط زوجته الوفية المتدفقة بالحيوية ايرينى اسان . وقد شاركته مراسم التتويج (انظر ١١٧) .

وعلى أى حال ، فانه فى عام ١٣٥٤ ثبطت همة كانتاكوزينوس بسبب عداوات كثيرة جعلته يزهد فى الحكم ، فتخلى عن العرش للوريث الشرعى ، وانخرط هو فى سلك الرهبنة منسحبا من الدنيا الى دير قصى على قمة جبل آثوس ثم دير آخر فى ميسترا حيث مات عام ١٣٨٤ .

وقد كان كانتاكوزينوس شديد الانشغال باللاهوت طوال حياته . وفى المنازعات الدينية التى استبدت بالامبراطورية ، انحاز الى المذهب الذى نادى بأن الايمان لا يكتمل الا حيث تلقى

الروح سكينتها .

ومثلما ألف كافافيس فى كثير من القصائد التاريخية ، فانه لم يعالج هذه الشخصية الا على نحو مراوغ . ولم يواجهها كما جاء ذكرها فى التاريخ ، بل كما وردت صورتها عبر التاريخ الى مخيلته .

١١٥ - يتمسك الشاعر المشار اليه فى هذه القصيدة بسلطان الهوى ويعليه على الكتب . ولكنه بالنسبة لهذا الحب ، وهو الحب الجسدى ، ينادى أيضا بحرية الشكل الذى يفرغ فيه وايما كانت المعارضة على الافراط فى ممارسة هذه الحرية شديدة ، الا أن الشاعر عرف كيف يستخدم قصيدته للدفاع عن رأيه .

١١٦ - كان جنوب ايطاليا وصقلية فى الأصل جزءا من «اليونان الكبرى» فقد كانت الجاليات أو المستوطنات اليونانية ممتدة الى هذه البقاع ومنتشرة فيها . وقد عرفت كثير من هذه المستوطنات بثرائها وترف الحياة فيها ، الى ان دمر الرومان كورنثة عام ١٤٦ ق.م. كما نقلوا ما لم تدمره المعارك الحربية من الثروات والتحف الى روما (انظر ١٠٥) .

وتاريخ الأحداث التى ترويها القصيدة ترجع الى عام ١٤٦ ق.م. عندما اجتاح القنصل الرومانى موميوس كورنثة عقب هزيمته لقوات التحالف الايونى فى معركة ليفكوبترا (انظر ١٠٥) وقد عمل موميوس التقتيل فى الرجال ، وعمد الى سبى النساء والأطفال ، ونهب الديار .

وعلى ذلك فان تلك الغنائم والسبايا التى يراها الشاب

اليونانى المقيم بايطاليا هى الغنائم المستجلبة من كورنثة بعد استيلاء موميوس عليها عام ١٤٦ ق.م. ولنا ان ندرك كم كان منغصا للشاب الذكور ومكدرا له أن يرى أبناء جلدته يمتهنون امام عينيه ، ويساقون الى حياة العبودية .

١١٧ - جرت عام ١٣٤٧ مراسم تتويج يوانيس كانتاكوزينوس وايرينى آسان ، وفى الوقت ذاته مراسم زواج ابنتهما هيلينا من يوانيس الخامس نجل باليولوجوس فى كنيسة قصر فلاخيرينى ، وليس فى كاتدرائية القديسة صوفيا ، اذ كان صراع اناه سليلة أسرة سافوى ضد كانتاكوزينوس على السلطة قد انهك موارد الامبراطورية فما عادت الميزانية تسمح بترميم الكاتدرائية ، ولا بالبذخ فى الاحتفالات الملكية .

ويبدو أن كافافيس تأثر بوصف هذا الحفل ، الذى اشترك فى مراسمه امبراطوران هما يوانيس .الخامس باليولاغوس ويوانيس السادس كانتاكوزينوس ، وثلاث أمبراطورات هن اناه دى سافوى ، وايرينى آسان ، وهيلينا الصبية ذات الثلاثة عشر ربيعا ، ابنة الامبراطور الراحل اندرونيكوس من زوجته الامبراطورة آناه دى سافوى اللاتينية الأصل .

وقد احتفل بمراسم التتويج والزفاف فى جو من مظاهر العظمة والانسجام . رغم ان كل هذه المظاهر كانت خداعة البريق ، لأن الاضطرابات والمتاعب التى كانت قد جرت مؤخرا آنذاك فى البلاد بددت موارد الدولة ، بل واستنزفت كنوز السراى . وقد قدم الطعام والشراب على المأدبة الملكية ليس فى صحاف من الفضة أو الذهب بل فى صحاف من القصدير أو النحاس أو الفخار ، وكم كان الفقر فى تلك الايام التى غاب

فيها الذهب والمجوهرات مثارا للفخر . وحل التقشف والزهد محل معالم الثراء والجاه ، دون أن ينتقص من ذلك الزجاج الرخيص الملون ، وقطع الجلد المطلية بماء الذهب (انظر ١١٤) .

١١٨ - تيمثيوس هذا شخصية خيالية . وعن عام ٤٠٠ ميلادية أنظر أيضا ٩٤ و ١٠٩ وعن انطيوخوس الرابع (١٧٥ - ١٦٤) الوارد فى عنوان القصيدة ، انظر أيضا ٦٠٧ وكانت ساموصاته عاصمة كوماجينى (انظر أيضا ١٠٢ و ١٠٧) .

١١٩ - الواقعة التى تتحدث عنها القصيدة مأخوذة من حياة أبولونيوس لفيلوستراتوس والكلمات المستخدمة مستقاة من أقوال أحد الحكماء فى ذم شاب من رودس تفاخر انه أنفق اثنتي عشرة قطعة من الذهب على بناء وتجميل داره ، بل وأنه على استعداد أن ينفق أكثر من ذلك بكثير لذات الغرض ، ولكنه لم يكن يكترث أن ينفق على تعليم نفسه وتثقيفها شيئا . وما كان جهله يضايقه فى شئ وكأن متع الروح لا قيمة لها ، وكل الاهتمام منصرف الى متع الجسد (انظر ايضا ٩١) .

١٢٢ - كليتوس شخصية خيالية ، مثله فى ذلك مثل ابن ليارخوس (أنظر أيضا ٩١) .

١٢٣ - كل شئ فى القصيدة متخيل . وليس تاميذيس المروى عنه شخصية تاريخية .

١٢٥ - أحداث القصيدة من صنع الخيال وهى تتحدث عن أمور يفترض أنها تجرى عام ٣١ ق.م. وفى هذا العام أوقع اوكتافيوس هزيمة ساحقة بأنطونيوس فى معركة اكتيوم البحرية (انظر أيضا ١١٣) ويقول الناقد تيموس مالانوس انه وجد ضمن

أوراقه كلمة قال له فيها كافافيس عن هذه القصيدة انها تصور المنحى الفكرى لأهالى المدن اليونانية الصغيرة ، أثناء صراعات القوى بين طغاة الرومان ، تلك الصراعات التى ما كانت تعود بأى نفع على هذه المدن ، مما يجعلها لا تكترث بما اذا كان من يحكم العالم اسمه انطونيوس او اسمه اكتافيوس . وهذا النوع من عدم الاكتراث أيضا سنجده فى قصائد كثيرة لكافافيس مثل قصيدة «ملوك الاسكندرية» (٣٥) .

١٢٦ – العبارة الافتتاحية من عمل تهكمى ليوليانوس (انظر ١٠٨) حيث يهاجم فيه أهل انطاكية التى دخلت المسيحية ، لموقفهم العدائى من محاولاته لاعادة الوثنية مجددة على نحو من تفسيره واعداده . وقد ابانت اقامته فى انطاكية (٣٦١ – ٣٦٢ ميلادية) انه لا يعيش زمانه على الاطلاق ، ويحاول عبثا استعادة شئ ضاع الى الابد . (انظر ١٠٨ و ١١١ و ١٢٧ و ١٥٤) وهذه القصائد كلها مثل القصيدة الحالية تتحدث عن الامبراطور يوليانوس الذى دأب على محاولاته لزعزعة المسيحية واقصائها عن الوجود ، من أجل اعادة الوثنية وتعددية الالهة . وقد استقبل يوليانوس فى انطاكية عندما زارها عام ٣٦٢ ميلادية أسوأ استقبال . وبعض هذه المتاعب التى لقيها فى انطاكية أشار اليها فى كتابه «كاره الذقون» الموجه الى أهل انطاكية على وجه الخصوص . ويبدأ هذا الكتاب بعبارات مهذبة ، وينتهى بالسباب والشتائم .

والعبارات التى وضعها كافافيس قبل الدخول الى القصيدة مستقاة من كتاب يوليانوس المشار اليه . اما قسطنطيوس الثانى فهو ابن عم يوليانوس وسلفه فى العرش .

١٢٧ - بعد زيارة يوليانوس لانطاكية لقى مصرعه وهو يحارب الفرس عام ٣٦٣ ميلادية وخلفه على العرش لمدة سبعة أشهر فحسب الامبراطور المسيحى جوفيانوس أو جوفيان ، ويبدو ان النص مستوحى من فقرة فى كتاب «التاريخ الكنسى - جزء ثالث» لثيودريه الذى يصف فى هذه الفقرة ابتهاج المؤمنين بموت يوليانوس المرتد عن الايمان .

١٢٨ - الشخوص والمشهد من نسج الخيال . وقد كان السرابيوم هو معبد سرابيس فى الاسكندرية . وقد شيد بمعرفة بطليموس الأول سوتيروس حوالى عام ٣٠٠ ق.م. ولقى هذا المعبد التدمير عام ٣٩٢ ميلادية فى خضم ملاحقة الامبراطور ثيوذوسيوس للوثنيين والتنكيل بهم .

١٢٩ - كان اليكسيوس كومنينوس امبراطورا فى الفترة من ١٠٨١ الى ١١١٨ وعندما تأهب للخروج الى الحرب عام ١٠٨١ عهد الى أمه اناه ذالاسينى رسميا مقاليد الحكم فى المملكة . وقد أشارت ابنة الامبراطور فى كتابها عن ابيها بعنوان «الالكسياده» الى المرسوم الامبراطورى الذى صدر فى هذا الشأن . وقد تركت والدة الامبراطور عن نفسها فى التاريخ انطباعا بالتدين والحزم والكفاءة .

١٣٠ - وفقا لبعض الروايات فان أيو ، ابنة ايناخوس ملك آرغوس سخطت بقرة بقرار الاله زيوس ، حتى يخفى أمر حبه لها عن زوجته الغيور هيرا . وقد طاردتها هيرا فى تجوالها المجنون بعد ان أغراها زيوس حتى انتهى بها الطواف الى سوريا ، حيث ماتت . وقد بنى اخوتها معبدا ومدينة هناك على شرفها (أيوبوليس) . وفى الموقع ذاته أسس الملك المقدونى

الأصل سلفيكيوس الأول نيكاتور (المنتصر) أنطاكية عاصمة سورية (٣٠٠ق.م.) وسماها على اسم اخيه انتيوخوس تخليدا لذكراه . وقد استجلب لها سكانا من مدينة قريبة اسمها «انتيغونيا» وقد أصبحت انطاكية عاصمة مملكة آل سليفيكوس الذين شيدوا بها كثيرا من العمائر والنصب البديعة ، وجعلوا منها المنافسة الاولى للاسكندرية البطلمية . وقد استولى عليها الرومان عام ٦٤ ق.م. وجعلوا منها مقرا للوالى الرومانى على سوريا . وقد ظل أهل أنطاكية يواصلون الاحتفاء بتلك العلاقة القديمة بينهم وبين آرجوس اليونانية .

ويروى الناقد تيموس مالانوس ان كافافيس كان ميالا الى انطاكية ، وكان سعيدا اذ اكتشف ان هذه المدينة السورية بدورها ، مثل الاسكندرية ، ذات انتماءات هيلينية عميقة الجذور .

١٣١ - انظر ٧٠ و ١٣٣ و ١٤٠ و ١٥٣ .

١٣٣ - انظر ٧٠ ، ١٣١ و ١٤٠ و ١٥٣ .

١٥٣ - عن عام ٢٠٠ ق.م. انظر ايضا ١٥٢ وهذا التاريخ يضع المستوطنة اليونانية غير المحدد اسمها ، عشر سنوات قبل معركة مغنيسيا .

١٧ - يمكن اعتبار هذه القصيدة تكملة لقصيدة « يوليانوس يسجل عدم الاكتراث» (١٠٨) فبعد ان عاب يوليانوس على أهل انطاكية عدم فهمهم للاناجيل ، وعدم ملاحظتهم ان ماورد بها ليس الا مجرد تحوير غير موفق للأصول التقليدية للعقيدة الوثنية ، يخلص الى ان معتقداتهم المسيحية «قرأها ، وفهمها ،

وادانها » فيرد عليه شيوخ انطاكية بقولهم «آجل ، انت قرأت ، ولكن أن تكون فهمت فهذا لم يحدث ، والا لما أدنت» .

ويذكر سوزومين ، وهو مؤرخ بيزنطى من القرن الخامس الميلادى ، فى كتابه «تاريخ الكنيسة» (الجزء الخامس) هذه الواقعة ، كما يورد العبارة التى وجهها يوليانوس فى آحدى خطاباته الى قساوسة المسيحية ، ويسجل أيضا اجابة هؤلاء القساوسة عليها .

وقد كان نقد يوليانوس موجها على الاخص للصياغة الهوميرية للترانيم الكنسية التى وضعها أبوليناريس أسقف لاوديكيا واسع الثقافة .

ومن المفيد أن تقرأ قصائد كافافيس عن يوليانوس معا ، لمزيد من الفهم والتذوق .

١٣٨ - المشهد والجناز متخيلان . وقد كانت كيرينية أو قورينائية مركزا تجاريا وثقافيا فى البلد الذى يسمى الآن ليبيا . وهى مسقط رأس كل من الفيلسوف أريستوبوس والشاعر كالياخوس .

١٣٩ - كان ملك أسبارطة كليومينيس الثالث (٢٣٥-٢١٩ ق.م.) آخر المدافعين عن النظام الاسبارطى . وقد طلب من الملك بطليموس الثالث ملك مصر أن يساعده فى حربه ضد المقدونيين والاتحاد الايجى . وقد وافق بطليموس على شريطة ان يرسل كليومينيس والدته كراتسيكليا (انظر١٤٦) وأولاده الى الاسكندرية ليحتفظ بهم بطليموس كرهائن . وقد انحدر ملوك اسبارطة فى الاساطير اليونانية عن هرقل ، أما البطلميون فهم

أدنى منهم مقاما ، وأقل عراقة ، ولم تكن مملكتهم تتجاوز عام ٣٠٠ ق.م. مما كان يعد سبه في حق ملك أسبارطة ان يقبل ارسال الملكة الأم واولاده اليه للاحتفاظ بهم عنده كرهائن . ولكن للضرورة أحكاما . وكان لابد من أن يذعن الملك الاسبرطى نزولا على مقتضيات الحاجة ، فقد كان في حرب ضروس ضد جيرانه المحدقين به ، أما الملك البطلمى فقد اعتبر أن احتجازه لهذه الرهائن بالاسكندرية أمرا يرفع من مقامه كثيرا ، وعلى أى حال فقد عالج الاسبرطيون الأمر بحكمة وشجاعة ، وذلك بفضل الملكة الأم (انظر أيضا ١٤٦) .

١٤٠ - أنظر ٧٠ و ١٣١ و ١٥٣ ، ومن المفيد قراءة قصائد «الايام» معا لمزيد من التذوق .

١٤١ - بطل هذه القصيدة والموقف ، من صنع خيال الشاعر . وجدير بالذكر أن ليبيا كانت فى القديم الاسم الذى ألف اليونانيون اطلاقه على أفريقيا بصفة عامة . ومن ثم ليست ليبيا المذكورة فى القصيدة هى ليبيا الحالية لزاما .

وعلى أى حال ، فقد كان اسم منيلاس أو منيلاوس شائعا فى ليبيا ازاء تواتر الاقوال عن نزوح منيلاس أو منيلاوس بطل هوميروس الى أفريقيا بعد حرب طروادة .

١٤٢ - تتعلق هذه القصيدة كما في قصيدة «داريوس» (٩٥) بملك بنطوس (البحر الاسود) ميثريداتيس السادس الذى كان عدوا ضاريا للرومان . وها نحن من جديد نعود الى عام ٧٤ ق.م. فى العهد الذى كان ميثريداتيس قد دخل الحرب للمرة الثالثة ، ضد روما . أما تلك الحكاية التى ترويها القصيدة عن الالتقاء بالعراف ، فهى من صنع خيال كافافيس ، أو ربما كان

الادق أن نقول أن الشاعر قد بدل فى بعض لحظات التاريخ ووقائعه ، كى يتوصل الى ابداع قصيدته .

والنصيحة الطيبة التى قدمت الى ميثريداتيس الأول أحد أسلاف ميثريداتيس السادس الكبير استقاها كافافيس من كتاب «حياة ديمتريوس» للمؤرخ بلوتارخوس . فقد كان انتيغونوس ملكا على مقدونية عام ٣٠٠ ق.م. وقد ضم الى بلاطه ميثريداتيس ، الابن الشاب لأحد أتباعه الآسيويين ، ولما كان انتيغونوس قد اشتبه فى عدم ولاء تابعه هذا فقد قرر أن يجهز على الاثنين ، الأب والأبن معا ، ولكن ميثريداتيس الشاب كان صديقا عزيزا لديمتريوس أبن أنتيغونوس الذى سيصبح بدوره فيما بعد ملكا على مقدونية (٣٤٠ - ٢٨٤ ق.م.) وقد أراد بلوتارخوس فى سيرته لحياة ديمتريوس أن يبين كم كان ديمتريوس شهما ونبيلا ووفيا لأصدقائه . وفى هذا المقام يحكى كيف انقذ حياة مثرادتيس الذى كان آنذاك شابا يافعا فى بلاط أبيه انتيغونوس . واذ يعرف ديمتريوس من أبيه ما انتواه بتابعه وابنه فانه يحجم عن مصارحة صديقه بنوايا أبيه فى شأنه ، ذلك أنه كان قد أقسم لأبيه الا يبوح بالسر لأحد . ولكنه أثناء اللعب مع ميثريداتيس وجد الفرصة السانحة كى يوحى له بالنهاية المرسومة له دون أن يبوح بالسر ، فنقش بطرف رمحه على الارض كلمات فهم ميثريداتيس مغزاها فهرب من البلاط فى الليلة ذاتها . ليصبح فيما بعد «ملك بنطوس» وقد استتب له ولأسرته الملك من بعده ، حتى جاء من الأسرة الملك ميثريداتيس الكبير عدو الرومان اللدود .

ويختلف جوهر الحكاية فى أصلها التاريخى اذن عن

الحكاية كما استخدمها كافافيس . فقد كانت النصيحة - كما جاءت عند المؤرخ بلوتارخوس - توجيها الى الشاب ميثرايدتيس «للهرب من قتلته» أما فى قصيدة كافافيس فهى مجرد نصيحة أخلاقية الى رجل متعطش للحروب هو ميثريداتيس السادس أو الكبير .

١٤٣ - هذه اطول قصائد كافافيس المنشورة . البطل والمشهد من صنع الخيال . وتضعنا القصيدة فى حقبة تاريخية اتسمت بالجيشان السياسى والدينى . فالصراع متأزم بين أبناء الامبراطور قسطنطين الأكبر ، والشقاق الدينى بين مؤيدى كل من آريوس واثناسيوس فى الاسكندرية على أشده ، ويفضى هذا الشقاق الى نفى الاخير الى روما .

بالنسبة للسرابيوم أنظر ١٢٨ .

١٤٥ - كان الكسانروس يانيوس وزوجته الكسندرا أميرين يهوديين سليلى أسرة «مكافيوس» التى حكمت فى الفترة من ١٠٣ الى ٧٦ ق.م. وعلى الرغم من ان تمرد يهوذا مكافيوس ضد أنطيوخوس المبرز (ابيفانى) قد أحبط بقسوة (عام ١٦٨ ق.م.) الا أن هذا التمرد تبعته سلسلة من الانتفاضات تمكنت من خلالها الأسرة المذكورة أن تحقق استقلالها ، واستمرت تحافظ عليه قرابة مائة عام ، ولكن ليس بغير تنازلات .

١٤٦ - تعتبر هذه القصيدة امتداداً للقصيدة ١٣٩ وقد كان «النصيب» الذى سارت اليه كراتسكليا هو اعدامها فى أحد سجون الاسكندرية ، غداة انتحار ابنها كليومينيس الثالث ورفاقه الذين زج بهم فى السجون بدورهم فى مصر التى جاءوا اليها يطلبون عبثا معونات ، بعد الهزيمة فى معركة سيلاسى .

وكى نفهم الشحنة العاطفية المختزنة فى هذه القصيدة ، والتى افرغت فى قالب خشن غير عاطفى ، فلنقرأ عند بلوتارخوس روايته للمأساة التى جرت عام ٢١٩ ق.م. ، والتى لا يعرض لنا كافافيس منها ، وفقا لمنهجه ، سوى المدخل اليها .

.... بشجاعة ، وبلا نواح غير مجد ولا أنين ذليل أقدم كليومينيس ورفاقه على الانتحار باستثناء بنتيوس ، بطل معركة ميغالوبوليس ، الذى كان صفيا للملك كليومينيس ، كما كان أشجع جنود أسبارطه الشبان . وقد كانت الأوامر الصادرة اليه الا يقدم على الانتحار الا بعد أن يتأكد من ان رفاقه جميعا قد فارقوا الحياة . ولهذا ظل يقترب تباعا من كل من أولئك الرجال الممددين على الأرض صرعى وينخسه بطرف حسامه للتأكد من انه لم يبق فيه رمق من الحياة . وعندما اقترب من الملك لكزه لكزة خفيفة فلمح على وجهه اختلاجة ، فقبله ، وجلس الى جواره منتظرا أن يفارق بدوره الحياة . وعندما لفظ الملك آخر أنفاسه ، قبله بنتيوس من جديد ، وقتل نفسه ، فخر صريعا على جثمان كليومينيس .

ثم أصدر بطليموس أوامره بأن تقتل الأم وأولاد كليومينيس الصغار ومن فى معيتهم وكان من بينهم زوجة بنتيوس التى كانت من نبيلات أسبرطة ، وتتفجر حيوية وصحة وجمالا ، ولم يكن قد مضى على زواجها من بنتيوس زمن طويل . على ان الشقاء خيم على أحلى أيام عمرها ، بسبب ولائها وزوجها للملك . ولئن كان أهلها لم يسمحوا لها بمصاحبة بنتيوس الى مصر ، الا انها فى غفلة منهم دبرت لنفسها جوادا وبعض النقود ، وانطلقت تحت جنح الظلام ، فأدركت الشاطئ ، واستقلت سفينة اتجهت بها

الى مصر ، حيث التقت بزوجها ، ووقفت الى جانبه وشاركته فى الغربة آلامه ، بكل رضاء وطيب خاطر . وقد كانت هى التى أخذت بيد كراتسيكليا وساعدتها على رفع طرف ردائها الملكى الطويل ، وهى تسير الى جلادها . وظلت تشد من أزرها حتى النهاية . وليس ذلك لأن كراستيكليا كانت تهاب الموت ، بل ان المطلب الوحيد الذى طلبته ، كان أن تقتل قبل أحفادها الصغار ، ولكنهم أبوا عليها هذه الرغبة وذبحوهم أمام عينيها . ثم جاء دورها ، وفى آلمها الشديد لم تنبس بغير هذه الصيحة «أين انتم الأن ، ياصغارى المساكين ؟» ولم تفقد زوجة بنتيوس رباطة جأشها ، رغم الظلمات المدلهمة حولها ، ولملمت فى حجرها أجساد الموتى ، وأجرت تجهيزها قدر الأمكان للدفن . وعندما أعدت كل شئ ، مضت بدورها الى حتفها بكل شجاعة . وبدون حاجة الى أن يقدم لها أحد ما قدمته هى للآخرين من عون ، محتفظة حتى في موتها بكبريائها وعزة نفسها .

١٤٨ - استعمل كافافيس فى هذه القصيدة «جاء يسأل عن الصنف» كلمة «هيئة» فبددت احتمال انحصار هذه القصيدة فى علاقة حسية بين رجلين . وعندما يقول الشاعر «مارا أمام حانوت صغير ... لمح فى الداخل (وجها) استلفته ، رأى (هيئة) دفعته الى الدخول ...» ما عاد من حق القارئ ان يتصور أن هذا الوجه وجه رجل أو ان تلك الهيئة هى هيئة رجل .. بل يمكن ان تحمل القصيدة على انها لقاء عارض بين عابر سبيل وبائعة فى محل ، اشتعل فى لحظة حتى صار دعوة الى تبادل الحب ، وليس فى ذلك ما يخدش ، وانما تبقى القصيدة فضلا عن ذلك لوحة تصور ببراعة لحظة ثانوية ، وان كادت تتكثف فيها عواطف انسانية صامته . يتعطل الحوار ، ويصل السؤال

الصامت الى اجابة بدورها صامته ولكنها أبلغ فنيا من كل مجاهرة ومباشرة فى الحوار .

١٤٩ – البطل شخصية خيالية وضعت ما بين عامى ١٢٨ و ١٢٣ ق.م. وكاكيرغيتيس (فاعل الشر أو الشرير) كان اللقب الذى عرف به بطليموس الذى أطلق على نفسه كاليرغيتيس (أى محب الخير) ١٤٦ – ١١٧ ق.م. وكان يعرف أيضا بفيسيكون أي الفقاعة . وكان والدا لبطليموس الملقب بالمخلص وان كان يعرفه العامة «بلاثيروس» أى «حمص» رمزا لتفاهته . (انظر «أولئك الذين حاربوا من أجل الوحدة») أما «زابيناس» ويعنى الرقيق أو الأسير ، فقد كان الاسم الذى أطلق على الابن المزعوم لالكسندروس فالا (أنظر ٨٩ ، ٩٧) الذى اغتصب عرش سورية ما بين عامى ١٢٨ و ١٢٣ق.م. ثم قتل بيد انطيوخوس الثامن ملك سورية الملقب جريبوس أى صاحب الأنف الافقى .

أما يوانيس هيركانوس فهو ابن سيمون ماكافيوس (أنظر ١٤٥) وكان ملكا على اليهودية من ١٣٤ الى ١٠٤ ق.م. وقد استفاد بالطبع من الصراعات الدائرة حول عرش سورية . وليس بلازم أن تكون كل هذه الشخصيات التاريخية المذكورة قد تعاصرت فنحن ازاء عمل شعرى ، وليس تأريخا بمعنى الكلمة .

١٥٢ – كانت المعارك الكبيرة التى دحر الاسكندر الأكبر فيها الفرس ثلاثا . جرت أولى هذه المعارك عند نهر غرانيكوس (٣٣٤ ق.م.) والثانية عند أيسوس (٢٣٣ ق.م.) والثالثة قرب أربيلا (٣٣١ ق.م.) .

ويقول بلوتارخوس فى حياة الاسكندر الاكبر ان هذا القائد الكبير أراد أن يجعل الاغريق جميعا مشاركين فى هذه

الانتصارات التى أرست الهلينية فى آسيا ، ولهذا فقد جرى نقش هذه العبارة : «الاسكندر بن فيليب والأغارقة جميعا ، فيما عدا اللاقيديمونيين حققوا النصر على الأسيويين » .

وقد وضع كافافيس هذه العبارة فاتحة لقصيدته . ويفترض أن الذى يقرأها يونانى غير معين بالأسم (ومن المحتمل أنه من أولئك الأغارقة السكندريين الذين يحب الشاعر ان يعتبر نفسه واحدا منهم) وهو يقرأها فى عام مائتين قبل الميلاد ، أى بعد مائتى وثلاثين عاما على انتصارات الاسكندر الاكبر ، وقبل معركة كينوسكيفاليا التى منى فيها فيليب الخامس بالهزيمة على أيدى الرومان ، وقبل عشر سنوات من هزيمة انطيوخوس الثالث التى كانت ايذانا باجتياح الرومان للعالم الآسيوى الهلينى . (أنظر ٥٤ و ١٠٧) .

ويتأمل قارئ النقش المذكور أثناء قراءته لهذا النقش عملية اغرقة آسيا التى تمخضت عن حملة الاسكندر الأكبر ، وكانت حملة لم يشارك فيها اللاقيديمونيون (الاسبارطيون) ربما لأنه استبدت بهم نعرة التعالى ، فرفضوا الاشتراك فى حملة الاسكندر المقدونى . وقد ظلت أسباب وظروف عدم اشتراكهم هذا على أى حال غامضة . ولكن الشئ المقرر أنهم وحدهم دون المدن الأغريقية الأخرى رفضوا أن يرسلوا ممثلين عنهم الى المؤتمر الذى عقد فى كورنثة عام ٣٣٨ق.م. وهو المؤتمر الذى اختار فيليب ملك مقدونية ، والد الاسكندر ، رئيسا للتحالف اليونانى .

وقد صارت اللغة اليونانية الدارجة (كينى) بفضل فتوحات الاسكندر هى اللغة المتحدث بها لمدة لا تقل عن ٦٠٠ عام فى

الشرق والممالك التى دخلتها المسيحية فيما بعد . وكانت فاكتريا ولاية بين شمال افغانستان وجنوب أوزبكستان ، وقد ظلت تحت النفوذ اليونانى حتى ١٣٠ ق.م.

وقد كتب كافافيس عام ١٦٢ قصيدة بعنوان «يونانيون فى فاكتريا» ظلت ضمن أوراقه غير المنشورة حال حياته .

ولمزيد من الايضاح أيضا عن أصل « اللاقيديمونيين» نشير الى انه كان «لاقيديمون» فى الميثولوجيا اليونانية القديمة ملكا على إقليم لاقونيا بأرض البيلوبونيز (المورة) . وكان هذا الملك ابنا لزيوس كبير الآلهة الاغريقية ، أنجبه من تايتو التى كانت واحدة من شقيقات سبعة دارت حولهن أساطير عديدة . وقد لاذت تايتو بعد أنجابها لاقيديمون بجبل عال بأقليم لاقونيا . وبعد ان تولى لاقيديمون ملك لاقونيا أصبح شعبه يسمون اللاقيديمونيين نسبة اليه . وقد تزوج لاقيدميون من فتاة اسمها « أسبرطة » ابنة الملك افروتاس ، فسمى عاصمة ملكه باسم زوجته . ولهذا ففى كثير من الاحيان تسمى «أسبرطة» «لاقيديمون» فى قصائد الشعراء اليونانيين . ولدى هوميروس نجد أن الملك مينيلاس حكم اسبرطة ، اما أخوه أغاميمنون فقد تولى ملك آرغوس . وقد قدر لاسبرطة أن تكون تابعة لارغوس ، الى ان انتهت هذه التبعية بزواج أورست وهو ابن أغاميمون من هيرميون ابنة مينيلاس .

١٥٣ – أنظر أيضا ٧٠ و ١٣١ و ١٣٣ و ١٤٠ .

١٥٤ – دفن مسيحيو أنطاكية جثمان شهيدهم المطران فافيلاس فى حدائق أبوللو على مشارف المدينة . وقد أمر يوليانوس بازالة الجثمان من مكانه فور علمه بذلك . وفى ذات

تلك الليلة التى صدر فيها الأمر (الثانى والعشرين من أكتوبر ٣٦٢ ميلادية) نشب حريق فى معبد أبوللو الذى كان يوليانوس قد أجرى ترميمه . وقد ورد ذكر هذه الأحداث فى كتاب «كاره الذقون» ليوليانوس ، كما جاء ذكرها فى سيرة يوليانوس التى كتبها آميين مارسيلين الذى كان ضابطا فى حرسه وشاهد عيان على الحريق الهائل الذى هلك من جرائه المعبد والصنم ، وكان تمثالا من العاج والذهب لابوللو ابدعته أنامل المثال الاثينى برياكسيس . وقد وجهت التهمة الى المسيحيين بتدبير الحريق ، ولكن لم يثبت ضدهم شئ (أنظر أيضا ٢٦ و ١٠٨ و ١٢٧) .

قراءة فى بعض القصائد

١٩ – قد أكون مخطئا ، ولكن من الطريف أن نلمح فى هذه القصيدة سخرية كافافيس اللاذعة ، رغم تسترها الشديد ، وتخفيها بحيث قد لا تظهر للعيان الا لمن تهيأ لتقبل هذه السخرية المضمرة . ان المثال دامون الذى أبدع تمثال «موكب ديونيسيوس» (اوباخوس الرومانى)» اله الخمر سوف يدخل السياسة ، ويضحى عضوا بمجلس الشيوخ ، ويتابع الخطباء المتبارين ، وقد يصل به الأمر – ياللسعادة – أن يتبارى هو أيضا معهم . كل ذلك لقاء ما نحته عن آله الخمر ، ومعيته من سكارى ومساخيط ماجنين ، ويبدو أن المقارنة أو التقارب بين موكب آله الخمر والمجون ومواكب السياسة وارد ، وعلى الرغم من أن السياسة التى سوف يدخلها دامون هى واقع ، وتمثال موكب اله الخمر خيال ، الا ان العمل الفنى كثيرا ما يكون رمزا للواقع . كما اننا هنا نجد أن التلاقى بين السياسة وتمثال موكب ديونيسيوس قد جرى فى مخيلة دامون لا أكثر ولا أقل . وهكذا يتداخل عالما الخيال والواقع عند كافافيس .

كما يلاحظ من واقع هذه القصيدة ان الذى يعول عليه فى دخول عالم السياسة والأسواق ليس هو الفن فى ذاته ، بل المال . ونرى دامون هذا المثال الاريب الصنعة ، يحول فنه الى مال . وسوف يدفعه ثمنا لدخول عالم الوجهاء . فالفن فى حد ذاته ليس بالنسبة لدامون غاية ، انما هو مجرد وسيلة واداة لبلوغ مأرب .

وكثيرا ما يقرن كافافيس شعره بفن آخر نبغ فيه اليونان والرومان فأبدعوا أعمالا ظلت تداعب خيال الشاعر بجمالها ، وفتوتها ، ورقتها ، ورشقاتها ، هذه الأعمال هى التماثيل التى

تغالب الزمن ، وتبقى طويلا حتى بعد موت من صورتهم ومن صورها ، كذكريات محاطة بالشجن والاعجاب والشوق . (أنظر على سبيل المثال قصيدة «مثال تيانى» - ٢٩) وهذه التماثيل الجميلة ، وجد فيها كافافيس لوجدانه ملاذا من ذلك الخوف الذى راح يؤرقه منذ أولى أيام شبابه من بشاعة الموت ودمامة الشيخوخة ، وعجز الجسد الكهل عن اثبات ومواصلة وجوده فى العالم الذى تتوالد وتموت فيه المادة الجميلة الى ما لا نهاية ، وبلا رحمة أو رجاء . ولهذا ، فقد حاول كافافيس أن يخلد فى قصائده ، كثيرا مما خلدته التماثيل الاغريقية والرومانية . فهى بدورها جهاد مستميت ضد الفناء والتخثر . وهى بالنسبة للشاعر أيضا ايماءات ورموز الى عوالم وبشر اندثرت ولا زال الفكر يسأل أهى اندثرت حقا ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟ ومن ثم راح كافافيس ينطقها ويتحاور معها ، وينقل فى أشعاره ما لا تبوح به الروح الا الى روح مثلها .

ولا نمل القول بأن كافافيس كان يخشى الضياع فى ركب الزمن الآبق ، والسقوط خارج الذكرى ، ولهذا فهو يعول فى قصائده على فن النحت ، فالتماثيل انما صنعت للحفاظ على أصحابها ماثلين أمام أحفاد أحفادهم . وبذلك فالتمثال رديئا كان أو جيدا هو مصارعة للزمن . وهذا شأن فن الشعر أيضا .

٢١ - وفى هذه القصيدة التى يمكن أن يكون عنوانها «هذا هو» أو «هوذا الرجل» أو «هاهوذا» أو «انه لرجل عظيم» يتحدث كافافيس عن معاناة شاعر ، كيف قضي عليه أن يمضى يكتب فى الظل مغمورا مجهولا ، لا يسمع عنه أحد ، يعانى أشد المعاناة فى نظم القصيدة ، وضبط الأوزان والقوافى ، وأحكام

اللغة ، ولا أحد يعيره اهتماما ، وهو بشق الانفس يبنى قصائده . وفى النهاية بلغ عطاؤه ثلاثة وثمانين قصيدة - فهو بدوره - ربما مثل كافافيس من بعض النواحى - مقل ومتأن فى ابداعه ، فلم يكن الشعر بالنسبة له مجرد كلمات ترص وتتكاثر بلا فكر جاد أو انفعال حقيقى . وفى النهاية ماذا جنى هذا الشاعر الذى لم يكن من شعراء الارتجال ؟ حط عليه التعب من فرط الحرص على ان يجئ العمل متقنا ، فيرضى عنه ، ويضمه الى عطائه الذى لم يكن يتنامى بسهولة ، وبلا احساس بالمسئولية ، مسئولية الكلمة تلك التى تجعل الشعر مهمة صعبة على عاتق من آلى على نفسه أن يأخذها محمل الجد . ولعلنا نذكر هنا أيضا أحزان أفيمينيس الشاعر الشاب فى قصيدة «أولى درجات السلم» (٤) .

ولكن ما الذى يجعل الشاعر ، والفنان ، يمضى فى طريق فنه المحفوف بالمخاطر والمتاعب ؟ أهو مجرد استعذاب للألم والعناء لذاتهما ؟ كلا ، فليس الشاعر بالشخص الذى يعانى مرضا من أمراض النفس ، فيهوى تعذيب النفس لذات العذاب . بل هو يتحمل ثقل المعاناة من أجل أن يسمع الصوت الوافد من الاعماق ، من أعماق الحلم ، ليطمئنه ويرد اليه اعتباره ، ويمنح الراحة لقلبه وعقله وجسده معا ، ذلك الصوت الذى يجعل لمعاناة الشاعر معنى ، حتى لو لم يحدث فى النهاية أن جاء ذلك الصوت المعزى يقول للشاعر : «هو أنت، وهو الصوت الذى سبق أن سمعه فى الحلم لوقيانوس من قبل بعد معاناة من هذا النوع .

٣٤ - وفى قصيدة «حبيب الهلينية» نلمح حوارية كافافيس .

ففى كثير من الأحيان يصوغ الشاعر قصيدته على أنها حوار أو خطاب موجه الى آخر ومن هذه الصيغة الحوارية تنبثق «نبضة مسرحية» لدى كافافيس وقد كان قارئا محبا لشكسبير شاعر المسرح الكبير . وهذه الخصيصة تعطى قارئ قصيدة لكافافيس الفرصة كى يلون القاءه لها بحسب مسار الحوار فيها . ومن ثم ، لا تجئ القصيدة «خطابية» وتيرة النغمة ، مما قد يجعل المستمع يعرض عنها سريعا .

وفى «حبيب الهلينية» يصور لنا كافافيس ملكا من ملوك اليونان ، أبقاه الرومان على ملكه ، ولهذا فهو وان كان يريد أن يكتب على قبره الذى يعده لنفسه بعض كلمات المديح الا أنه يخشى أن يغضب الرومان لذلك ، ويعتقدون أنه يتطاول عليهم ، ويتعمد أن يجعل مقامه أعلى من مقامهم . ومن ثم فهو يتحفظ فيما سيختار من كلمات المديح لنفسه . ولكنه على أى حال يتمسك بأن يكون فيما سوف يكتب عنه بعض المديح ، ولو بالاشارة الى عمل أو موقف منسوب اليه .

أما على الجانب الأخر من النصب التذكارى (أو ربما من العملة) ، فسوف يحفر منظرا من مناظر اليونان القديمة ، ولا ضير فى هذا من الناحية السياسية ، ولكنه افصاح بأن حب القومية القديمة لا زال فى أعماق القلب ينبض تحت الرماد . ثم هو حريص ان يضاف الى أسمه لقب «حبيب الهلينية» أو «حبيب اليونان» وفى ذلك فوائد كثيرة ، أوليس ثمة مضار ، على أى حال . فكثيرون ممن هم أقل منه ارتباطا باليونان انتقوا لأنفسهم هذا اللقب وتمسكوا به . ومن ناحية أخرى ، هل يليق أن يأتى لزيارة المملكة من هم قادمون ليتزودوا من الهلينية بزاد

لهم – وكان «التأغرق» فى ذلك الوقت من سمات التحضر – فيجدونه أكثر تنكرا للهلينية من البرابرة ؟ وهكذا ، سوف نجد خصيصة أخرى من خصائص شعر كافافيس هنا ، فقصائده مغزولة ليس بخيط واحد فحسب ، بل بأكثر من خيط ، وربما بأكثر من لون . ومن ثم ، كانت شخصياته ومواقفه شديدة التعقيد والكثافة ، وان بدت لأول وهلة على غير ذلك . ومن تضاد التيارات بداخلها ، وأحيانا من التضاد بين خارجها وداخلها ، تتولد حرارة الشخصيات ان لم يكن سخونتها ، وذلك كله دون أن تتخلى لغة كافافيس عن حياديتها الأصولية .

٣٦ – ومن الطريف ان نقارن هذه القصيده التى تنضح ايمانا وقومية بعدد من قصائد كافافيس الأخرى (راجع أيضا قبر اغناتيوس – ٦٨ وكاهن سيرابيس – ١٢٨) التى يبين فيها أبطالها ، بل وربما كافافيس نفسه أحيانا ، يحنون الى آلهة الاجداد وأرض اليونان القدامى ، وعندئذ سوف نتبين صفة أصولية فى عطاء كافافيس ، وهى التعددية ، فكل من ابطاله يتحدث بلغته ويعبر عن معتقداته وبلغته هو وليس عن معتقدات أو لغة الشاعر المحايد .

وفى قصيدة «أورفيرنيس» سنلاحظ شيئا هاما على موقف كافافيس من احدى شخصيات التاريخ . ان وسامة اورفيرنيس ، كما احتفظت لنا بها عملة الأربعة درخمات ، لم تكن كافية لدى كافافيس للأعجاب بذلك الفتى صاحب المحيا الجذاب . ولم يشفع له اعتناقه وممارسته لمذهب اللذة الحسية كى يبدى الشاعر أى دفاع عنه . بل أن الشاعر قد حكم عليه بما سبق أن حكم عليه التاريخ ، أى بالتجاهل ، والاقصاء الي ظلمات النسيان ، دون

أمل في استرجاع لذكراه . فالوسامة اذن ليست كل ما يستوقف كافافيس فى رجال التاريخ ، وحتى الشعر عندما يستعيد ذكرى هذا الرجل الوسيم ، فلن يستطيع أن يغفل جشعه ، واكتنازه للأموال على حساب الشعب الذى أختاره . أذن ، «فالوسامة» ليست العنصر الأوحد الذى يستلفت أنظار كافافيس . فهناك زوايا أخرى أكثر انسانية لاستعادة الذكريات التاريخية .

وكثيرا ما يحدث عند كافافيس أن تعرض للجزئية التاريخية المعتنى باستخراجها على محمل مخالف لمحملها فى مصدرها التاريخى ، بل وعلى محمل معاكس للأصل .أحيانا . ونضرب مثلا على ذلك بتناول كافافيس للتاريخ فى قصيدة عمانوئيل كومنينوس (٥٥) .

وفى قصيدة «ثيوذوتوس» (٤٦) نلمح ايضا احدى معالجات كافافيس للتاريخ فى قصائده ، فهو فى النهاية لا يؤرخ بل يكتب شعرا . ولهذا فهو يتعامل مع مادة التاريخ تعاملا رحبا حرا . وفى كثير من الأحيان نجده يومئ الى أحداث وشخصيات عرفها التاريخ ولكنه لا يتناولها فى شعره بالتحديد الذى يجعل بامكان القارئ أن يقول ان هذه القصيدة هى عن هذا الحدث أو عن هذه الشخصية على وجه التحديد . فهو فى قصيدة «ثيوذوتوس» على سبيل المثال لا يتحدث عن ثيوذوتوس بعينه ، بل يتحدث عن أى ثيوذوتوس من حولى أو من حولك .

٥٣ – و «ذات ليلة» قصيدة من قصائد الهوى عند كافافيس وهى تحكى عن لحظة متوقدة ، مختلفة تماما عن الوسط المكانى المرتبط بها . فالمكان كما ترى من وصف كافافيس له – وهو وصف مركز شديد الكثافة والحساسية – مجرد غرفة فقيرة

رخيصة ، منزوية فوق حانة مشبوهة ، تطل على زقاق قذر ، يؤمه أناس من حثالة القوم . وهم فى خضم انشغالهم التافه ، مقصون تماما عن اللحظة التى اختارها كافافيس بؤرة لقصيدته . الليل ، الحى الفقير ، الزقاق الموحل ، السرير الرخيص ، الاطار الرث المضجر ، بل والمستهلك المنحدر الى الحضيض . كل هذا يحيط بلحظة متوقدة على الأقل بالنسبة لمن القى بهما القدر فى بوتقتها . انها لحظة شاعرية بجوار النثر الرتيب الذى تدور سطوره على اطار الحياة المجاورة . الشعر الى جوار النثر ، الرتابة المألوفة الى جوار المثير غير المباح ، الانطفاء الى جوار التوقد . ركامات الرماد حول جمرة متقدة .

ثم تمضى الحياة كلها ، لحظات الرتابة والاثارة على حد سواء ، الى الزوال . فما عاد للغرفة الفقيرة ، ولا للسرير الرخيص ، ولا للزقاق القذر ، ولا للاعبى الورق ، ولا حتى للحظة الاثارة والمتعة والانتشاء – لم يعد لكل ذلك وجود بعد ان مضت السنون وولت . ولكن لابد ان شيئا ما يبقى من الماضى الذى كان له وجود ، وهذا الذى يبقى هو الذكرى . والذكرى بالنسبة للشاعر هى العزاء ، هى لحظة التوهج بعد الانطفاء . ولا يلبث الواقع المعاش ذات يوم ان يستثار ، فيعود الى التوقد ، وتعود بذلك الطاقة الابداعية للشاعر الى الانتشاء .

فانت ترى أيها القارئ أن قصائد كافافيس الحسية ليس الحس مقصودا فيها لذاته . انها تذكارات ومرثيات للحظات نفض الشعر عن قسمات وجهها ركامات التراب الذى علق بها وطمسها ، مثلما طمست السنين من قبل آديم «المرآة العجوز» (١٥٠) فى قاعة بيت العز الكبير .

والذى يمكن أن نخلص اليه فى هذا المقام أيضا أنه ليس المهم هو «موضوع الذكرى» بل الذكرى فى حد ذاتها ، ليس المهم هو فحوى ما تستعيده الذكرى ، فهذه قد تكون جزئية ذاتية بحت ، وقد لا تعنى غير صاحبها ، ولكن الشئ الرائع هو عملية التذكر فى حد ذاتها . «فالقدرة على التذكر» هو قيمة انسانية كبيرة يمجدها كافافيس فى شعره ، ويعتبرها هى الدرع الذى يقى كيان الانسانية ذاته ، ممثلا فى تراثها الضخم – مهما كانت مادته ذاتية أو حسية – من الضياع . ولكن الأمر أيضا لا يمكن ان يكون للأسف الا نسبيا ، فالذكرى ذاتها تصاب بالتخثر ، وتضعف وتصبح غير قادرة على أداء وظيفتها . ومن ادراك هذه الحقيقة تنبع شجنية بعض القصائد الكافافية . وعلى سبيل المثال ففى قصيدته «بعيدا» (٤٣) يقول بجزع وحسرة «... اكانت حقا فى أغسطس تلك الأمسية ؟ ...» .

٦٠ – يلاحظ ان صاحب العينين الرماديتين فى هذه القصيدة يظل مبهما ، فلا يعرف ، ولا يصرح الشاعر ، ما اذا كان رجلا هو أو أمرأة . وكذلك فى القصيدة ٧٨ «المنضدة المجاورة» يظل جنس الشخص الجالس الى المنضدة المجاورة غير محدد .

٦٦ – ونرى فى هذه القصيدة ترديدا لفكرة من افكار كافافيس الأصولية ، وهى ان الفن اداة مرغوب فيها لتخليد الذكريات ، فالأشعار ، والتماثيل والنصب التذكارية وغيرها من أعمال الفن تحقق حاجة ملحة من حاجات الانسان ، وهى الحاجة الى مغالبة الزمن – وهذا لو تغلب الفن عليه – ولكن القدر المتيقن على أى حال هو وجود هذه الرغبة الدفينة . وثمة

أسطورة قديمة فى هذا المقام تحكى عن أن أول صورة وجه رسمتها فتاة لحبيبها الذى جاءتها الاخبار انه قتل فى الحرب ، فرسمت له صورة كى تحتفظ بذكراه ماثلة أمام عينيها ، وكلما تطلعت الى الصورة التى رسمتها استعادت هيأة الفقيد الغالى

وسوف نجد فى هذه القصيدة أيضا أن ترجمة العواطف والاحاسيس يمكن ان يتم فى لغة أجنبية أيضا ، كما أن المنحنى الجنسى قد مس هنا برهافة لا تقلل من الأقبال على تذوق هذه القصيدة التى يطلب فيها صديق من شاعر أن يخلد له بلغة الشعر صورة صديق له مات ، وكان محبوبا أشد الحب لوسامته .

٧٩ - فى «قبر لانيس» علاقة حب أو مودة قوية بين رجلين . لكن القصيدة يمكن ان تتقبل وتمر ، ذلك أن القصيدة لا تتكلم عن مدى هذه العلاقة ، ولا عن نوعها . ومن ثم فهى بعموميتها وعدم تركيزها على ماهو عشق للجنس تنطلق الى آفاق رحيبة من آثارة التأملات ، وابتعاث الرموز .

٨٠ - على الأرجح فان المشهد مبتدع ، اما الملكان البطلسيان المتصارعان على السلطة ، وهى هنا عرش مصر ، فهما بطليموس السادس الملقب بفيلوميتور أي المحب لأمه ، (أنظر «أوجه استياء الملك السورى» - ٥٦) وبطليموس الثامن الملقب افيرغيتيس أى المحب للخير وان كان قد شاع عنه لقب المحب للشر كاكيرغيتس (انظر «كان الاجدر بها» - ١٤٩) وقد احتفظ المحب لأمه بالعرش بتأييد من الرومان عام ١٥٧ قبل الميلاد . ولكن ليس ثمة سند من التاريخ للاشارة التى وردت فى

القصيدة من أن الاخوين المذكورين أحالا خلافهما الى عرافات دلفوس أو ديلفي قبل أن يلقى الخلاف حسما من حكام روما .

٨١ - «منذ التاسعة» كتبت فى نوفمبر ١٩١٧ وطبعت عام ١٩١٨ وتبعا لترتيب كان كافافيس قد أجراه بنفسه لقصائده ، وضعت هذه القصيدة فى مقدمة مجموعته الخاصة المعنونة «قصائد ١٩١٦ - ١٩١٨» .

وفى هذه القصيدة يمكننا ان نلمح قدرة الشاعر على ان يعرض بأقل الكلمات حياة بأسرها . ونستطيع أن نعجب فى هذه القصيدة كيف استخدمت الكلمات لتبين لنا كم هى قصيرة الحياة ، كيف تجرى السنين والساعات سريعة وتخلف مجرد ذكريات يمكن ان تختزن فى مجرد لحظات أمسية ، وان كانت هذه الذكريات هى الحياة كلها ، ثم كيف تختزل حتى الامسية فى بضع كلمات .

٨٢ - فى قصيدة «اريستوفولوس» أو «اريسطوفولوس» يبدو كافافيس تراجيديا ممتازا يستخدم الصراع الذى هو جوهر فن التراجيديا على أعلى مستوى ويحدثنا عن لحظة تضاد بين ما تبدو عليه الحقيقة فى الظاهر وما هى عليه فعلا . ويلقى بنا بأقل الكلمات فى قلب صراع أميرة تعرف أن ماحدث لابنها لم يكن ميتة عادية ، بل كان اغتيالا وقتلا . وعلى الرغم من انها تعرف ذلك ، وتعرف من الذى خطط وتآمر ، فياللأسى لا تستطيع أن تجاهر بالأمر ، فقد كان المتآمر زوج ابنتها ، وتضطر الى أن تتظاهر بأنها تصدق ماتقوله عدوتاها كيبروس وسالومى عن الحادث وتصويرهما الزائف ، بل الداعر ، له . تسمع ما يقال ، وتعرف حقيقة ما يقال ، ولا تستطيع أن تجاهر بما تخفيه

الأقوال . هذا الصراع الذى تبدو فيه الحقيقة مغلوبة على أمرها ، محبطة ومقهورة هى لحظة تراجيدية ، أجاد فيها كافافيس الاستفادة من تراث المسرح اليونانى القديم ، وأضاف الى الشخصيات التراجيدية شخصية جديدة هى شخصية كبيرة الأميرات اليكساندرا أم اريستوفولوس : وصراعها هو صراع استكمل كافة مقومات اللحظة التراجيدية الفائقة وفق مقاييس نيتشة نفسه ، فهو صراع بين ضرورتين تتنازعان الشخصية على ذات مستوى القوة والالحاح ، ولا يكون البطل بينهما بقادر أن يختار الا بأقصى صعوبة ، وايما اختار ففى هذا الاختيار هلاكه .

وفى قصيدتى «اريستوفولوس» و «عن اليهود» (٨٥) يوسع كافافيس الرقعة الجغرافية لعالمه ، مع بقائه فى الحقبة الزمنية ذاتها وهى من حوالى ٣٠٠ قبل الميلاد الى ٤٠٠ بعد الميلاد . فنراه ، يتحدث عن أحداث تجرى فى سورية ، وملوك اليهود ، الذين دخلوا الى القومية الهلينية .

٨٥ - يجب أن يوضع فى الاعتبار أن الاشارة الى «اليهودية» فى هذه القصيدة لم ترد لذات «اليهودية» بل لأن «اليهودية» باعتبارها دينا سماويا ، يمكن ان تمثل مستوى أعلى من الأخلاق المثالية ، والتجرد من دنس الجسد ، والارتقاء الى حب روحى ، كان قادرا ، لو نسبيا ، أن يخلص المؤمنين المتمسكين بها من ممارسات شبقية متردية . ولكن يبدو أن تعاليم اليهودية رغم قدسيتها لم تكن بقادرة أن تنقذ بطل هذه القصيدة من التردى فى الرذيلة ولا أن تمكنه من ان يكون ما اراد على الدوام ان يكون عليه . وهنا نجد الصراع فى ذات

البطل بين ما يريده ويتمناه ، وهى الانا العليا ، وبين ماهو عليه فعلا ، وهى الأنا السفلى ، ويبين لنا ما يومئ اليه كافافيس بهذا النحو من صراع فرويدى يوقع الفرد فى تمزقات وصراعات ، رغم التماسك الظاهرى . ونجد أن التقاليد والقيم الاغريقية الحسية فى سنوات الانحدار تنحاز الى الأنا السفلى ، وتذكى نيرانها ، بينما القيم الدينية (اليهودية) تؤازر الأنا العليا ، ولكن بغير ما فاعلية كبيرة على المستوى الواقعى . هذه اذن قصيدة وان بدت مركزة ومباشرة الا انها تنطوى على أكثر مما تفصح عنه . ولا يغير من الأمر شيئا بالنسبة لهذه القصيدة أن نكون بصدد «اليهودية» أو بصدد غيرها من الأديان السماوية فهذه كلها أديان أتت بدرجات متفاوتة مما يسمى بالحب الروحى ، ونهت عن التردى فى عبودية العشق الجسدى الذى لا يورث الا الأحزان والألم . فهو عابر باطل ولا يبقى لمارسه شيئ . كما لا يغير من الأمر شيئا ايضا أن نكون بصدد «الهلينية» أو «الايذونية» فان عشق الشهوات ممارسة انسانية معروفة وممتدة عبر العصور والمجتمعات مهما تنوعت المسميات أو تبدلت معالم الديكور .

٨٦ - يمكن أن تفهم الصورة فى قصيدة «جاءت لتستقر» على انها لرجل وامرأة ، يتلاقيان فى امسية حارة من يولية فى حانة من حانات الاسكندرية فى أوائل هذا القرن . ومن الطبيعى فى الصيف أن يكون رداء كل من المرأة والرجل خفيفا متحررا ، مما يكشف بين الثنايا عن بعض أجزاء الجسد .

وهذه اللقطة الفنية التى لا يمكن أن يلتقطها الا رسام مرهف العين والقلم ، اختزنتها مخيلة الشاعر سنين وسنين ،

وعلى حد قوله سته وعشرين عاما . والآن وهو يكتب قصيدته ، يكتشف انه لازال يحتفظ بها ، وجاءت لتستقر فى كلمات قصيدته .

٨٧ – هذه ليست قصيدة منحلة ، رغم ما يكتبه الشاب ايمينوس فى رسالته عن الشهوات والمتع الحسية المنحرفة . بل هى قصيدة تاريخية ، وان شئنا الدقة هى قصيدة نابعة عن انشغال «بفلسفة التاريخ» اذ انها تريد ان تقول ان انحلال الفرد انما يكون عرضا من أعراض انحلال المجتمع ، فلو لم يكن أيمينوس يحيا فى العهد المنحل للملك ميخائيل الثالث لما أصاب هذا الشاب انحلال ، فانحلال ايمينوس من انحلال الملك ميخائيل الثالث وعصره . ومرة أخرى نجدنا أمام قصيدة ماكرة بارعة ، فبأقل الكلمات ، وبلغة بسيطة مباشرة ، ينقلنا كافافيس الى مجالات التأمل فى فلسفة التاريخ ، لنتعلم من خلال قصيدة مركزة ما يبذل جهابذة علم السياسة من جهد لتعليمه لتلامذتهم . أن العصر المنحل يفرز أفرادا سيئيين ، والحكم المنحل يخرج مواطنيين فاسدين . وعندما تلقى فردا منحلا مثل ايمينوس فلا تقنع بأن أسبابا فردية هى التى قادته الي الفساد بل يجب ان نتروى ثم نقول أن أيمينوس هذا هو سمة العصر ، وأحد الدلائل عليه .

ويقول بعض الثقاة ان نظرية المتعة الحسية التى نادى بها أيمينوس أخف وطأة بكثير مما كان يجرى عليه الحال فى تلك الأيام التى نسبت اليها القصيدة ، وهى أيام «العربيد» ميخائيل الثالث .

ففى كثير من الاحيان اذن يجعل كافافيس التدهور الخلقى

والتعيهر لدى ابطاله مواكبا ورامزا لتدهور وتعيهر الزمن الذى يحيون فيه ، والمجتمعات التى يخالطونها . لهذا فان هذه القصيدة تتحدث - على سبيل المثال - عن ايمينوس الذى كان «داعرا عاهرا» فى الزمن «الداعر العاهر» للامبراطور ميخائيل الثالث .

٩٠ - فى «شمس الظهيرة» تظل كل من شخصية مستأجر الغرفة وشخصية من كان يمارس معه الحب فيها ، مبهمة الجنس .

ونوصى القارئ بأن يأخذ القصيدة على محمل أن من يتحدث فيها ويروى أحداثها أمراة . وليس بمستغرب على الشاعر ، أى شاعر ، ان يتقمص شخصية امراة ، ويتحدث فى قصيدته بلسانها ، فان ضمير الـ «أنا» فى قصائد الشعر ، وهذا أمر مستقر ومعترف به ، ليس بلازم أن يكون الشاعر نفسه ، فقد يكون غيره من البشر مهما اختلفوا عنه جنسا أو مكانة أو موطنا أو زمانا أو تجارب . بل قد يكون هذا الغير «طائرا» أو «حيوانا» أو «ملاكا» أو غير ذلك . واذا لم يضع القارئ نصيحتنا هذه موضع اعتباره ، فانه سوف ينقص من قيمة القصيدة ويهبط بها الى حسية قد تنبو عن الذوق ، وليس هذا ما ندعو اليه فى فهم ضمير المخاطب عند كافافيس .

كما نود الا يفوتنا أن ننبه القارئ الى عناية الشاعر بوصف الحيز المكانى ومحتوياته وصفا تفصيليا . وعلى الرغم من أنه يبدأ بالقول بأن الغرفة كانت مألوفة ومعروفة له جيدا ، الا أنه لما كان يصف من الذاكرة ذلك الحيز المكانى ومحتوياته ، وقد يكون قد مضى وقت طويل على استرجاع تلك الذكرى ، فهو

ليس متأكدا من مكان الاشياء على وجه التحديد فى الغرفة . فهل كان الدولاب أو المرآة الى اليمين منها ، أم فى المواجهة .

ثم لاحظ كم يعامل الشاعر الاشياء بمودة ويعتبرها مثل البشر عنما يدركهم الاهمال ، لابد انها أو أنهم مكومون فى مكان ما ، «لا زال لهذه الأشياء المسكينة ، ولا شك ، فى مكان ما ، وجود» .

٩٤ – فى قصيدة «شبان سيذونوس» (٤٠٠ ميلادية) يعتز كافافيس بالشعر والشعراء ، ويعتبر ان ممارسة الفن فى حياتهم لا يقل شرفا عن الانتصار فى المعارك والحروب ضد الاعداء . ويبدى الشاب عاشق الأدب شكوكه القوية أن يكون الشاعر الأغريقى الكبير أيسخيلوس صاحب التراجيديات الكبيرة قد كتب لنفسه ما كتب على ضريحه ، فقد جاء على ضريح ايسخيلوس أنه حارب مع من حاربوا ضد آرتافيرنيس ملك الفرس ، وقائده داتيس شديد المراس . ولا يشير الشاعر الكبير على نصب ضريحه ، الى ما كان أولى بالأشارة ، أو على الأقل لا يقل شأنا عن استبساله فى القتال دفاعا عن الوطن ، الا وهو كتابة الشعر ، وأى شعر ! فقد ترك ايسخيلوس لنا تراثا من الشعر الدرامى ، كان فخرا له ولأمته على مر الأجيال .

وتركز القصيدة على استهجان ما ألفه الناس من تقليل شأن الفنون والآداب ، فكاتب القصيدة أو راويها يستبعد ، كما قلنا أن يكون ايسخيلوس نفسه قد أوصى أن تكتب تلك الكلمات على قبره ، بل هى فى نظره من وضع اناس آخرين وضعوها على قبره بعد مماته ، وهؤلاء الناس ممن لا يعتدون بقيمة الفنون والآداب ويبخسون الشعر حقه من التكريم والتبجيل . ومن ثم ،

انصرفوا الى تسجيل اشتراك ايسخيلوس فى معركة المارثون ضد الفرس ، واغفلوا معركته الكبيرة التى تفرد بها وبرز فيها ، معركة الشعر رغم ان هذه المعركة هى التى يجب ان يعتز بما حققه على ساحتها من انتصارات . ولئن كان وقوف الشاعر جنديا فى صفوف أبناء أثينا دفاعا عن الوطن ، هو بدوره مفخرة اعتز ايسخيلوس نفسه بها الا انه مفخرة تضاف الى أمجاده الحقيقية ، التى قل أن يحقق آخرون مثلها ، وهذه الأمجاد هى التراجيديات الرائعة التى كتبها ايسخيلوس لبنى قومه ، ثم للأجيال التالية .

ويستنكر راوى القصيدة ، أن ياتى ذلك الاغفال لقدر الشعر ، وما حققه فيه ايسخيلوس من انتصارات تفرد بها - يأتى ذلك الاغفال ممن كان بدوره شاعرا ، وجاء الى سيذونوس ، لينشد ضمن ما اختار فى أمسيته الشعرية تلك المرثية التى يغفل من كتبها انتصارات شاعر فى مجال الكلمة والفن ، مقتصرا على التنويه بالانتصار فى معركة المارثون التى اشترك فيه ايسخيلوس نفرا ضمن انفار من حاربوا . ولهذا فقد هب عاشق الادب الشاب غض الاهاب وكان من شبان سيذونوس الخمسة الذين حضروا الأمسية - هب واعترض على الممثل الذى اختار ضمن ما اختار لينشده مرثية ايسخيلوس المذكورة ، وقد أبدى الشاعر الشاب وجهة نظره التى ارتكن اليها فى الاعتراض ، ولكنه وجه أيضا لوما لذلك المنشد اذ اختار تلك المرثية المرفوضة لتخاذلها عن ذكر أمجاد ايسخيلوس الحقيقية ، فقد اعتبر عاشق الشعر جبنا من المنشد الذى آتى الى سيذونوس أن يرضى بقصيدة تقتصر على تسجيل واقعة ليست أهم حدث أو انتصار فى حياة ايسخيلوس . كما يهيب عاشق

الشعر بالمنشد أن يحسن الاختيار فى المستقبل . وان يكرس حتى فى أوقات المحن ، بل وعلى فراش الموت ، كل انشغاله لما يكتب أو ينتقى من قصائد الشعر ، ما دام قد اختار لنفسه أن يكون شاعرا .

وربما امكن اعتبار هذه القصيدة امتدادا لقصيدة كافافيس «أولى درجات السلم» (٤) .

كما يراعى أخيرا ، اننا فى قصيدة «شبان سيذونوس» حذفنا من آخرها اسمى أرتافيرنيس ملك الفرس وقائده ذاتيس . واكتفينا بالأشارة الى «ملك الفرس وقائده» .

٩٥ – وفى قصيدة «داريوس» يزيدنا كافافيس ايضاحا عما يتطلبه من الشاعر كواجب حتمى عليه . وهو ما بدأ فأشار اليه فى نصيحة الشاب غض الأهاب عاشق الأدب بقصيدة «شبان سيذونوس ٤٠٠ ميلادية» (٩٤) فها هو هنا فى «داريوس» يوضح لنا من جديد كيف ان الشعر بالنسبة للشاعر قدر ومصير . أن فيرنازيس قد وجد فى لحظة محنة حقيقية ، اذ خربت مشاريعه بسبب دخول بلده الحرب ضد الرومان ، والامل ضئيل عنده فى الانتصار على جيوش الرومان ، الذين هم أشد الأعداء إثارة للرعب فى النفوس ، بل ان المدينة التى يحيا بها ، وهى مدينة تمارس التجارة ، لا تتمتع باستحكامات حصينة تصد جحافل الجيوش الغازية عند الهجوم عليها . وقد كان الشاعر فيرنازيس على وشك ان يبلغ انتصاره الساحق على نقاده وحاسديه بانجاز ملحمته عن داريوس ، الجد الأكبر الذى ينحدر عنه الملك الحالى ، وعلى الرغم من كل المهالك والأخطار المحدقة بفرنازيس فهو لا يتوقف عن التفكير فى قصيدته . بل ان معانيها تروح

وتجيء فى خاطره حتى وان دنت نهايته ، فهو للقصيدة خادم وراع ، وعليه ان ينجزها مهما كلفه ذلك من عناء ومهما أدلهمت من حوله خطوب الزمن .

٩٦ – وقصيدة «نبيل بيزنطى ينظم شعرا فى المنفى» نموذج للقصائد التاريخية التى كتبها كافافيس ، وايما كانت براعة صنعته الا أن الاستمتاع بها لا يستغنى عن الالمام بدقائق اللحظة التاريخية التى يتخذها مادة لقصيدته . وعدم الالمام هذا بدقائق اللحظة التاريخية فى حد ذاته قد يضع حائلا بين تذوق هذه القصائد من جانب المتذوق الذى لا يعرف ابتداء تاريخ اليونان والرومان القديم ، وتتجلي هذه العقبة بشكل أكبر بالنسبة للمتذوق الأجنبى ، وان كان هذا لا يمنع وقد عرف القارئ مكانة كافافيس الشعرية ، من ان ينشط الى تتبع الخلفيات التاريخية لشعره . ولهذا كان من المجدى ان نلحق بترجمة القصائد بعض الاشارات اللازمة لاستجلاء جوانبها التاريخية وهو ما اتبعناه اقتفاء لأثر مترجمى شعر كافافيس الى الفرنسية والانجليزية أيضاً .

١٠٠ – كتبت «ذيماراتوس» لأول مرة فى أغسطس ١٩٠٤ ثم أعيد كتابتها فى نوفمبر ١٩١١ وطبعت فى سبتمبر ١٩٢١ . وليسمح لى القارئ أن أطلب منه الاعجاب بهذا الشاعر الذى ما كان الشعر بالنسبة له عملية عفوية ، تتم فى لحظة عابرة دون اناة ولا معاناة . آن كافافيس كما هو واضح من تواريخ كتابة قصائده ، وطبعها ونشرها ، كان فى كثير من الأحيان يعكف على صياغتها المرة تلو المرة وهو بذلك يعطى الشعراء ، وعلى الاخص الشعراء المحدثين المتعجلين للنشر والشهرة ،

درسا ذا دلالة عميقة ، وهو التأنى ، فليس الفن لعبة ، بل هو معاناة حياة .

واذا أمكن أن تعلو الابتسامة شفتينا ، ونحن نتابع فى حسرة الشاعر فيرنازيس (٩٥) الذى رغم كل المحن المدلهمة من حوله ظل ذهنه متعلقا بفكرة القصيدة التى يكتبها ، فان الابتسامة لا يمكن أن تعلو الشفاة ، ونحن نعاين ذيماراتوس ، وقد تكالبت عليه الأقدار ، واوقعت به من الظلم ما لم تعمد بعد ذلك الى رفعها عنه . فقد ذيماراتوس بن أريستون ملك أبيه وتواطأ فى ذلك عراف الآلهة الذى ارتشى فأذاع – ربما على غير الحقيقة – ان ذيماراتوس لم يكن إبنًا شرعياً لأبيه الملك ولئن تنازل ذيماراتوس عن كل شئ ، وارتضى ان يحيا مثل عامة بنى شعبه فى هدوء وبعيدا عن الاضواء ، فان خصومه لم يقنعوا بذلك بل مضوا فوجهوا اليه أشد الاهانات أمام الجماهير فى الاحتفالات الشعبية التى كان يقيمها اليونانيون فى شتى المناسبات . فشد ذيماراتوس رحاله الى أرض الفرس ، حيث لقى الأكرام من ملكيها المتعاقبين . وقد قدر ذيماراتوس أن عودته الى عرش مدينته المسلوب مرتبطة أشد ارتباط بدخول الفرس أرض اليونان غزاة منتصرين . ولكن جهوده فى النصح والارشاد لما يجب أن تفعله جيوش الفرس من أجل غزو اليونان لم تكلل بالنجاح . وما ان اشتبك الفرس فى معركة فاصلة مع اليونانيين بانت بوادر الهزيمة تحيق بالفرس وبالتالى تنهار آمال ذيماراتوس الذى يكون بذلك قد ظلم من القدر مرتين . وأن كانت التراجيديا الكافافية تعود فتصحح من التوازن بين الكفتين ، وتعطى الحجج المضادة للملك الشاب دعما متمثلا فى انه انما لا يستحق سوى ما حاق به من اندحار ، فهذا غضب من

الآلهة وعقاب على خيانته لمدينته ومقدساته بانضمامه الى صفوف الاعداء . ولعل «ذيماراتوس» من الشخصيات التى يجدر ان نضمها بدورها الى قائمة الشخصيات التراجيدية لدى كافافيس .

١٠١ - وفى قصيدة «صانع الآنية» يتذكر صانع الآنية صديقه الذى قتل فى معركة مغنسيا منذ خمسة عشر عاما مضت . ويحاول ان يعتصر ذاكرته كى يستحضر كافة التفاصيل . وبهذا يجمع كافافيس فى قصيدته بين زمنين . ونتابع فى قصيدة «صانع الآنية» أو «خزاف جرار النبيذ» تداعيات الصبا ، والجمال واللهو ، والجندية ، ثم الهزيمة والموت . ويحاول الفنان ان يثبت فى عمله هذه المعالم الاساسية العالقة بذاكرته لا عن حياة الشاب الذى يرسمه فحسب بل وعن حياة الانسان بصفة عامة . وان الانتقال من البستان والزهر وجداول المياه الى ساحة الحرب حيث الدمار والموت . هو انتقال دبره الشاعر بذكاء ، ولم يكن مجرد نزوة تصويرية فحسب ، وكذلك أيضا فان الاشارة الى الجسد الفتى العارى ، لم يكن هنا لانشغال شبقى بل لاتاحة الاحساس كاملا بعد ذلك بتخرب الجسد الوسيم وتخثره وفساده مثل الزهرة التى يعتريها الذبول ، بجوار جدول ماء منساب ، فهذا بدوره ايحاء رهيب بالخلود والابدية .

١٠٤ - تكمل قصائد كافافيس بعضها بعضا . وتبدو فى النهاية حبات فى عقد محكم ، ومن الامثلة على ذلك قصيدة «ملك سورية» (١٠٤) فهى ترتبط بقصائد أخرى مثل القصائد أرقام ٥٤ و ٥٦ و٨٠ و ٨٩ و ١٩٧ وأيضا تلك المتعلقة بيوليانوس أرقام

١٠٨ و ١١١ و ١٢٦ و ١٢٧ .

وفى قصيدة «ملك سورية» استبحنا لأنفسنا أن نجرى بعض التعديلات في الاسماء . فبينما ترجمنا عنوان القصيدة «ملك سورية» فان هذا العنوان فى اليونانية هو «انطيوخوس ابيفانيس وانطيوخوس ابيفانيس أو انطيوخوس المبرز كان ملكا على سورية فى الفترة من ١٧٥ الى ١٦٤ ق.م. وهذا ما جعلنا نختار عنوانا للقصيدة «ملك سورية» وحيثما ورد فى القصيدة اسم «انطيوخوس ابيفانيس» أحللنا محله فى الترجمة «ملك سورية» مع مرعاة أيضا أن اسم انطيوخوس منسوب الى مدينة انطيوخيا عاصمة سورية قديما ، وهى بالعربية «انطاكية» ولهذا فاننى آعتقد ان التعديلات التى أدخلناها فى الترجمة مبررة .

١١١ - وفى قصيدة «يوليانوس فى نيقوميذيا» يعود كافافيس الى رسم صورة مركزة وشديدة التعبير عن شخصية منافقة مرائية . تتصنع الغيرة الشديدة على المسيحية ، بينما هى وثنية المعتقد محبذة للآلهة القدامى ، باسم القومية أو الاصولية ، التى ترى أن المسيحية جاءت تهديدا جسيما لها ، ولما كان الافصاح عن العقيدة الوثنية وممارسة خوارق السحر للطبيعة فى زمن صار فيه للكنيسة اليد الطولى ، والقوة الحقيقية ، هو من الأعمال الخطرة التى قد تعرض المفصح عن وثنيته للأذى ، الذى قد يصل الى حد الاعدام كما حدث فعلا لغالوس شقيق يوليانوس . لهذا فعندما شاعت بين الناس شائعة عن ارتداد يوليانوس ، ولم يكن مستشاروه من الحكمة أن ينبهوه الى مغبة الافراط فى الظهور بمظهر المنحاز للآلهة الوثنية ،

أضحى الخطر الذى يهدد يوليانوس كبيرا ، وكان يجب - على حد قول ماردونيوس مربيه وولى أمره - قطع دابر الشكوك والاشاعات . ولهذا ، فقد عمد يوليانوس الى الفعل الذى لا يروق لقلبه ، ولكنه اضطر اليه اضطرارا اذ كان يجب أن يخرس الألسنة الحداد التى شرعت لايذائه ، فعمد الى تمثيل دور رجل الدين المسيحى الذى يقرأ الاناجيل بخشوع ويرتعش صوته وتعلو وتنخفض نبراته من فرط الايمان والحب لما يقرأ . والجدير بالملاحظة فى هذه القصيدة التى ترقى الى مستوى فن التراجيك - فارس الحديث ، أن الجماهير البريئة الساذجة كادت تصدق فعلا هذا الدعى ، وتعجب به لشديد ورعه ، وايمانه بالمسيحية .

١١٢ - سوف نلاحظ على قصيدة «قبل ان يغيرهما الزمن» تفرقة كافافيس بين صورتى الانسان ، صورته فى شبابه ، وصورته فى شيخوخته ، وكيف ان الذكرى يمكن أن تحتفظ بصورة الصبا ، حية دائما ، رغم انها لاتضحى مطابقة للواقع فى لحظة ما ، وذلك عندما يمضى الزمن قدما ، ويدفع بالانسان ، شاء أو لم يشأ ، الى خريف العمر . وسوف تظل الصورتان حقيقيتين على المستوى الانسانى السيكلوجى ، وان لم تكونا كذلك على المستوى الواقعى البيولوجى . وهذه التفرقة بين الصورتين ، واستعانة كافافيس بفن الشعر كى يبقى «صورة الربيع» ويقصى الأخرى «صورة الشتاء أو الخريف» هى محاولة يدأب عليها كافافيس ويعملها فى كثير من قصائده . وهذا التشبث بفن الشعر ضد الموت والدمامة والتخثر ، وكلها نتاج لقوانين الطبيعة الصارمة ، تضفى على قصائد كافافيس شجنية تكسوها بجمال اضافى .

ونجد فى قصيدة «قبل ان يغيرهما الزمن» أيضا اشارة الى أن القدر بدوره يؤازر الشاعر فى ابعاد شبح الدمامة والتخثر عن الوجود الانسانى . وذلك بتدخل القدر موقعا الفراق بين الصاحبين مبكرا ، حتى يظل كل منهما يذكر صاحبه على صورته التى كانت له عند الفراق . فالقدر فنان أيضا ، ويجدر بالشاعر ان يمسك باللحظات التى يتجلى فيها القدر فنانا ، رغم قسوة تصاريفه . ولئن كان الفراق فى مظهره يبدو قاسيا مؤلما بعض الأحيان ، الا انه فى مخبره قد يكون ابداعا ، لأنه كما تجلى فى خصوصية هذه القصيدة قد حجب عن كلى الصاحبين ، صورة الآخر التى ستضحى دميمة متخثرة .

وهذه القصيدة ، رغم انها تومئ الى بعض العلاقات الحسية بين الصاحبين ، الا أن هذه الايماءات ليست صريحة سافرة ، ويمكن عدم الالتفات اليها . ومن ثم يتسنى تذوق القصيدة على المستوى الانسانى الذى يرقى اليه عديد من قصائد كافافيس ، رغم كل شئ .

١٢٥ – تتكلم قصيدة «فى مدينة بآسيا الوسطى» – وهى قصيدة تاريخية – عن موقف الشعوب من حكامها الذين لا ينتمون اليها ، ولاينبتون نبتا طبيعيا من أرضها . فهذه الشعوب تقف موقف المتفرج السلبى لما يحدث لأولئك الحكام ، ان كان شرا أو خيرا هذا الذى يحدث . ومن ثم ففى هذه القصيدة لا يعنى تلك المدينة اليونانية بآسيا الصغرى ان يكسب معركة اكتيوم البحرية أنطونيوس أو أوكتافيوس ، فكلاهما من اباطرة الرومان . وعلى ذلك فالأمر سيان بالنسبة لشعب تلك المدينة المغلوب على أمره . وهذا النوع من «عدم الاكتراث» سنجده فى

قصائد كثيرة من قصائد كافافيس ، مثل قصيدة «ملوك الاسكندرية» (٣٥) .

١٢٦ – ان المغزى الذى نستخلصه من قصيدة «يوليانوس وأهل أنطاكية» هو أن من الناس من لاتعنيهم الأفكار والقيم ، الا بالقدر الذى تحقق لهم منافعهم المادية . ومن هؤلاء أهل أنطاكية ، فهم مع المسيحية ، وهم أيضا مع الوثنية ، وهم فى حقيقة الأمر لا مع المسيحية فى حد ذاتها ، ولا ضد الوثنية ، بل هم مع هذه أو تلك ما دام أى منهما يتيح له أن يشبع شهواته . فالقيم والنظم المبنية على هذه القيم لا تعنيهم الابالقدر الذى يكفل لهم أن يمارسوا حياتهم ، وهم فى هذه الحياة ليسوا على خلق ، بل ان الفن ، فى نظرهم ، ليس هو الفن الرفيع ، الذى يرقى بالانسان الى أعلى المستويات المثالية ، بل هو الفن الذى يشبع الغرائز . وعلى ذلك فالفن بالنسبة لأهل أنطاكية ليس قيمة وغاية فى حد ذاته ، بل هو اداة لتحقيق ما قد يكون منحطا ودنيئا . فالمهم بالنسبة لهؤلاء الناس فيما يبشرون به من تعاليم دينية هو ما لا يصدع أدمغتهم ، ولا يأبى عليهم الانصياع للشهوات ونزوات الجسد .

وحرف « الميم » انما يرمز للمسيح . وحرف « القاف » يرمز الى قسطنديوس الذى كان عم يوليانوس وسلفه على العرش .

١٢٨ – فى قصيدة «كاهن معبد سيرابيس» أو «كاهن السيرابيوم » وهو الاله الثور الذى كان معبودا فى أماكن عديدة . ومنها الاسكندرية ، قبل مجئ المسيحية – فى هذه القصيدة يلتقط كافافيس لحظة درامية تثير فى قلب القارئ الشجن والحزن والحسرة . وتدفعه الى تأمل النحو الذى تقيم فيه

الظروف الخارجة عن ارادة الانسان منه عدوا ، لأحب الناس اليه . ولا شك أن الألم الممزق لأحشاء الابن مزدوج ، بسبب مايعانيه من صراع يذكرنا بالتراجيدية اليونانية القديمة . فالأبن يبكى وفاة الأب الطيب العجوز من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، يبكى لأنه قد وضع رغما عنه فى موقف يحتم عليه الا يبكى على المتوفى لأنه كان منتميا الى العقيدة التى كرهها الابن من كل قلبه ، وجدها منضما الى صفوف المسيحيين . وهل يبكى متدين مسيحى ، وثنيا يموت على وثنيته ؟ ولكن الا يتغير السؤال اذا كان هذا الوثنى المتوفى أباه الحبيب الذى ظل على حبه لابنه ، رغم انه خرج من عقيدة أجداده ؟ أيضن الابن ، ولوكان مسيحيا ، بدموع الوداع على أبيه العجوز الطيب ؟ والآن ، لعلنا لمحنا مدى ما يتأجج من أوار درامى أصيل فى هذه القصيدة المركزة المحكمة الصنعة ، عواطف تتضارب وتتطاحن وكلها على ذات المستوى من الالحاح والقوة ، فأنى للأبن العزاء ، والفرار من الآلآم المتصارعة . هذه التراجيديات . توجد على الدوام فى الفترات الانتقالية من تاريخ البشرية ، التى يظل يتجاذبها الصراع بين ماض لا يريد أن يتراجع ، ومستقبل لا يرحم . ألم يقل السيد المسيح عن رسالته : اننى أنما جئت لأفرق الابنة عن امها ، والكنة عن حماتها .

هكذا تلتقط اللبنات التى تبنى منها القصائد الخالدات . وعلى الرغم من أن عبادة أبيس قد أنقرضت الآن ، وكتب للمسيحية ، وبحق ، الانتصار والاستمرار ، الا أن لحظة مثل اللحظة التى يبكى فيها الابن أباه كاهن السرابيوم الملعون ، أباه العجوز الطيب العطوف ، سوف تظل من اللحظات التى تؤرق الأنسانية ، وتمنحها العزاء ايضاً .

١٤٥ - وقصيدة «الكساندروس والكسندرا» أو «اليكساندروس يانيوس والكسندرا» نموذج طيب على سخرية كافافيس المستترة ، والمكبوح جماحها ، فأولياء أمور اليهود فى الدولة اليونانية ، سنوات وسنوات مضوا يكافحون ، من أجل ماذا ؟ أمن أجل استقلال ، من أجل ثورة وقلب لنظام الحكم واحلال دولة يهودية محل الدولة اليونانية ؟ كلا ، أن كل ما سعوا اليه وطمعوا فيه ، وقد تحقق لهم في النهاية ، أن يرقوا الى مصاف السادة اليونانين ، وأن يعاملوا معاملة المتأغرقين الذين يتسيدون على أرض الشام . ومن أجل هذا فهم يتحدثون اليونانية ، ويتشبهون بعلية القوم من اليونان ، وذلك حتى يكون لهم مكانا فى البلاط اليونانى . ويضحوا من أعيان اليونان ، رغم أن هؤلاء اليونانيين أصبحوا تابعين للرومان بعد ذلك . فؤلئك اليهود يجاهدون من تحت الصفر الى الصفر . وليس الى ماهو أعلى من ذلك .

١٤٦ - ونعاين فى «هيا ، يا ملك اللاقيديمونيين» لحظة تراجيدية من لحظات كافافيس ، ونلتقى بالملكة الأم التى وأن أضحى كل شئ خارجا عن سلطانها ، فلا زالت تحتفظ بشئ واحد ، شئ واحد عزيز المنال ، وعظيم ، الا وهو كرامتها . فهى تطلب من ابنها «فى أسبارطة» (١٣٩) الا يدع أحدا من أهل أسبارطة يراه يبكى وهو يودع أمه الى منفاها حيث ينتظرها المجهول . فهى فى لحظة الخطر ، تطمئن ابنها المضطرب ، وتهدئ من روعه بحنان الأم وتقوى من عزيمته ، حتى يستطيع أن يواجه الشدة بإباء وصمت ، مرفوع الرأس مثلها ، دون أن يدع أحدا يتعرف على ما بداخله من لواعج الأحزان والألم . ويتجلى الصراع الدرامى من جديد بين مايصطخب فى الداخل من عواطف قوية ، وبين ما ينطبع على القسمات الخارجية من سكون

ورصانة . كما يتجلى الصراع بين لحظة الضعف وموقف الشجاعة المتخذ مهما كان الثمن . وانّ لحظة الهزيمة الحق بالنسبة لهذه البطلة التراجيدية سوف تكون لو تصرفت أمام أناس بتخاذل وضعف ، فعندئذ يكون عدوها قد تمكن منها وانتصر . فهذه البطلة المهزومة لا زال النصر تاجا على هامتها ، لأنها لم تركع لعدوها وتحنى الرأس أمام المحنة .

١٤٧ - كل شئ ينقضى بالموت ، ولكن الذكريات تبقى وأحيانا تكون طعنة نجلاء فى القلب . وعلى المستوى الجمالى فان العلاقة بين الزهر الأبيض ، والعلاقة المخفقة جديرة بالملاحظة . كما أن العلاقة الرباعية بين الزهر الأبيض ، والصبا الذى قطفه الموت ، والنعش الخشبى الفقير والعلاقة المخفقة جديرة بكل اعتبار أيضا ، لتنامى الاحساس العاطفى والتشكيلى جنبا الى جنب فى القصيدة . وتجلب هذه الملاحظة اجابة على التساؤل لماذا اختار الشاب زهرا أبيض ليضعه على نعش صديقه الذى اختطفه الموت شابا ، ويجدر أن نلفت الأنظار هنا الى أن كافافيس كان شديد الاهتمام بانتقاء التفاصيل الصغيرة فى قصائده .

١٥٠ - يمكن عند تذوق قصيدة «المرآة فى القاعة» أو «المرآة العجوز» أن نسقط من الحسبان أى ايماءة جنسية . ونتذوق القصيدة على أنها صورة رائعة من خلال تلك العلاقة بين مرآة عجوز نضبت الحيوية من عروقها ولكنها لا زالت تتوق الى الشباب ، الى شبابها بالأخص ، وليت الشباب يعود حقا ، فاذا لم يتسن للشباب أن يعود ، فلا أقل من ان تبحث المرآة لشبابها الغائب عن بديل . وقد انتظرته طويلا ، ورأت عبر سنيها

الطوال الكثير من الاشياء والوجوه ، وجثم على صدرها من الدمامات ما لم يكن لها قبل بطرحها ، عن أديمها ، وان مضت تقبلها فعلى مضض . وهذه حياتنا جميعا ، تمضى فى خضم ماهو مفروض علينا من علاقات ومواقف ، تمضى ساعاتنا مطمورة تحت ركامات من الرتابة ، والغثاثة بل وما لا يطاق ، وان كان فى الانسان جهاز داخلى يمكنه من التأقلم والتطبع ، وفى النهاية ارتضاء ما لا رضاء به فى البداية . هكذا تمضى حياتنا وفجأة تومض لحظة أو ربما ما هو أقصر من لحظة ، نشعر فيها اننا لم نعش من قبل قط ، وان العمر كله قد تبلور فى هذه اللحظة ، وقد لانكون بقادرين أن نمسك بها ونبقيها ، فوجودها يتأبى على تحكمنا ، فتزول هذه اللحظة ، ولكن لوقت أطول بكثير ، يظل الانطباع الذى تركته فى نفوسنا وتبقى عالقة بأذهاننا ووجداناتنا ، ذكرى هذه اللحظة العابرة الفالتة . وهذا ما عناه انطباع هيئة الصبى الوسيم على أديم المرآة العجوز . ولنا أن نتأمل على أى نحو كان عليه أديم تلك المرآة العجوز . أكان منطفئا باهتا ، فلا تنطبع عليه الصور الا على نحو معتم تحاصره الظلال والصدأ ؟ أم ان هذه المرآة العجوز مضت تختزن ما كان لها من حيوية منذ ثمانين عاما ، فظل اديمها وضاء يعكس الصور طلية مثل ماهى عليه فى واقعها ؟ ولنلاحظ فى هذا المقام أن كافافيس كان ينفر من الاسترسال فى الوصف ، وكان يقتصر فى صوره الشعرية على أقل التفاصيل . ولهذا جاءت صوره مفتوحة ، مبهمة ، موحية ، ويمكن أن نرصد فى هذا المقام أحد مقومات صنعة كافافيس الفنية ، الا وهو الميل الى الحذف أكثر من الميل الى الاضافة . انه «فن مقطر» . وفى هذا المقام يحضرنا الدرس الأريب الذى

أعطاه المثال رودان لأحد تلامذته . فقد وقف رودان وتلميذه أمام تمثال من عمل هذا الأخير ، تأمله الأستاذ ، ثم تناول المطرقة ، وهوى بها على ذراع التمثال . انزعج التلميذ وقد أصبحت فتاة التمثال بلا ذراع . وقال لأستاذه حزينا «ولكن الذراع كان جميلا» . فأجابه رودان بكل هدوء وثقة «ولهذا أزلته» ان الجمال ، يجب – سواء فى الشعر أو النحت – ان يكون موحى به ، وليس مطروحا كالبضاعة الرخيصة على الارصفة .

ومما يجعل هذه القصيدة أكثر تقبلا من القارئ العربى دون إنصراف الذهن لا ابتداء أو انتهاء الى أى أنشغال شبقى ، هو ان المرآة فى اللغة العربية مؤنثة . ومن ثم يكون أحتضان المرآة لهيئة الفتى الوسيم واحتواؤها له علاقة طبيعية لا يشوبها أدنى شائبة ، وقد لا يتأتى تذوق القصيدة على هذا النحو وبهذه السهولة فى اللغة اليونانية ، حيث «المرآة» (كاثريفتى) مذكر ، وعندئذ يكون الاحتضان ، والاحتواء من رجل لرجل ، ولكن حتى على هذا المستوى ، فلنعاين كم يتوق أى عجوز رجلا كان أو إمرأة الى الشباب . ان انطباع صورة الفتى الوسيم على المرآة العجوز فى قصيدة كافافيس ، انما يمثل اللحظات الفريدة الرائعة التى يجد أى عجوز نفسه وقد عاد الى شبابه ، ولو على المستوى المعنوى وليس بلازم الجسدى .

شكـــر وتقـديــر

اتوجه بالشكر والتقدير الى السيد / ينى دياكوميدس رئيس الجاليـة اليونانية بالقاهرة وصاحب مطبعة أطلس وإلى السيد / وهيب ابراهيـم والعاملين بالمطبعة على حسن الرعاية التى أولوها لكتابى هذا .

ن. ع.

المحتوى

الصفحة

– ١٩١١ –

الصفحة

الصفحة

– ١٩١٦ –

– ١٩١٧ –

الصفحة

– ١٩١٨ –

– ١٩١٩ –

الصفحة

الصفحة

- ١٩٢٣ -

- ١٩٢٤ -

- ١٩٢٥ -

- ١٩٢٦ -

الصفحة

الصفحة

- ١٩٢٩ -

- ١٩٣٠ -

- ١٩٣١ -

- ١٩٣٢ -

- ١٩٣٣ -

ديوان كاڤافيس – شاعر الأسكندرية
الطبعة الأولى – ١٩٩١
الطبعة الثانية – ١٩٩٣
الطبعة الثالثة – ١٩٩٥

تحت الطبع للمؤلف

- قصائد كافافيس غير المنشورة .
- الشعر والمتعة (دراسات عن شعر كافافيس) .
- الشعر اليونانى المعاصر بعد كافافيس .

« . . جلست أخيرا والوقت مساء والجو جميل فى شرفة مطلة على النيل فى منزل صديقى الكاتب الفنان الأستاذ نعيم عطية وهو يقرأ لى ترجمة لنص قصائد كافافيس شاعر الاسكندرية . ما أسهل الكلمات ، ما أبسطها ، ما أعذبها . المعانى مبرأة من التعقيد ومن الشطارة .

ليس المهم فى هذه القصائد ما تقوله ، بل ما تنم عنه . تحسب انك تقرأ حكاية من حكايات كل يوم ، عن لقاء عابر ، عن ليلة تضيئها الشموع ، فإذا ما تقرأ هو فى الوقت ذاته خلاصة مأساة الانسان ازاء قدره ، تلهفه على الموت وخوفه منه . . لم أر فى هذه القصائد غير الملعقة الذهبية الصغيره التى يدنيها كافافيس اليك ، بها رحيق يسقيك به مثل هذا البحر الزاخر بالأحاسيس . عنده كل ومضة شمس ، وكل قطرة عصارة الف عنقود . هذا هو الشعر فى بساطته وانسانيته ، أثره عند السامع لابد أن يتصاعد من الاعجاب إلى الطرب ، إلى اللذة إلى النشوة ، ثم إلى الهزة التى ترج الروح رجا ، لتبحر نحو الشاطئ من بعيد ، نحو الضباب ، نحو السراب ، لاتدرى» .

يحيى حقى

. فى كتابه «أنشودة البساطة» ص ٦٦

